إقرار المشرف

أشـهد أنَّ إعـداد هـذه الرسـالة الموسـومة بـ ((النثـرُ فـي كتـابِ(رَيْحَانَـة الْكُتَّـاب وَنُجْعَـة المُنْتـاب) للسـانِ الـدّينِ بْـنِ الخَطيـبِ(ت ٧٧٦هـ) دراسـةٌ فـي الموضـوعِ والفـنِّ)) للطالبـة ((غفـران جبـار حمـزة)) قـدْ جـرت تحـت إشـرافي فـي قسـم اللّغـة العربيّـة، كُليّـة الآداب، جامعـة القادسـيّة، وهـي مِـنْ مُتطلَّبـات نيـل شـهادة الماجستير في اللّغة العربيّة وآدابها / أدب.

التوقيع:

المشرف: أ.م.د. صلاح حسون جبار

التَّاريخ: / / ٢٠٢٢م

بِناءً على التوَّصيات المُتوافرة، أُرشّح هذه الرّسالة للمُناقشة.

التوقيع:

أ.م.د.ثائر عبد الكريم البديري

رئيس قسم اللّغة العربيّة

التَّاريخ: / / ٢٠٢٢م

اقرار لجنة مناقشة رسالة الماجستير

جامعة القادسية/ كلية:
لدراسات العليا

قر اننا اعضاء لجنة مناقشة طالب الماجستير :عفران ضيار حمزة----------

سم :اللغة العربية----------اطلعنا على التصحيحات والتعديلات التي تم اجرائها من

يل الطالب والتي تم اقرارها في المناقشة من قبلنا فهي جديرة بدرجة جيد جداً---------- في

اللغة العربية / أدب----------وعليه وقعنا.

عضاء لجنة المناقشة:

ت	الاسم	اللقب العلمي	التوقيع	الصفة
1	هناء جواد عبد السادة	استاذ		رئيسا
2	رفل حسن طه الطائي	استاذ		عضوا
3	ناهضة ستار عبيد محمد	استاذ مساعد		عضوا
4	صلاح حسون ضيار	استاذ مساعد		عضوا ومشرفاً

يصادق مجلس كلية الآداب / جامعة القادسية على قرار اللجنة

أ.د. ياسر علي عبد

العميـــــد

/ / ٢٠٢٢

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة القادسيّة/كليّة الآداب
قسم اللغة العربية

النثرُ في كتابِ(رَيْحَانَة الْكُتَّاب وَنُجْعَة المُنْتاب)للسانِ الدّينِ بْنِ الخَطيبِ(ت ٧٧٦هـ)دراسةٌ في الموضوعِ والفنِّ

رسالةٌ تقدَّمت بها الطّالبة

غفران جبار حمزة

إلى مجلسِ قسمِ اللغةِ العربيّةِ في كليّةِ الآدابِ/جامعةِ القادسيةِ وهيَ جزءٌ مِنْ مُتطلّباتِ نَيْل شهادة الماجستير في اللغةِ العربيّةِ وآدابِها/أدب

بإشراف

أ.م.د. صلاح حسون جبار

١٤٤٣-١٤٤٤هـ ٢٠٢١ -٢٠٢٢م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي(٢٥)وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي(٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِّسَانِي(٢٧)﴾

صدقَ اللهُ العليُّ العظيمُ

طه: ٢٥-

الإهـــداء

إلى....

روح والدتي التي فارقتني بعد أن أينعت الثمار واستوى الزرع على سوقه فلم تمهلها الأيام قطاف ما زرعت ولم تمهلني أن أرد بعض جميلها...

أبي الغالي... سقف بيتنا وعموده حباً وعرفاناً أهدي لك خير ما في هذا العمل...

أستاذي الفاضل الدكتور صلاح حسون جبار الذي لطالما بذلَ غايةَ المجهودِ والرعايةِ لإضاءةِ طريق دراستي، فكان والداً صبوراً على ابنتهِ.

أخواتي وإخواني...

الكاتبِ والشاعرِ... العلّامة لسان الدين بن الخطيب(رحمهُ اللهُ).

كُلّ مَنْ لهُ فضلٌ علَيَّ في إخراجِ نورِ هذهِ الدراسةِ المتواضعةِ.

إليهم جميعاً أهدي جهدي المتواضع هذا....

غُفران

الشُّكرُ والعِرفانُ

أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان إلى الّذين لم يضنوا عليّ بمحبّتهم وكرمهم الوافر عن طريق المساعدة والتشجيع وزرع الأمل، والشكر الأوّل أتوجه به – بعد الله سبحانه وتعالى والرسول الكريم وآل البيت الأطهار– إلى عميد كليّة الآداب المحترم، الأستاذ الدكتور ياسر علي عبد الخالدي، يتلوه شكرٌ خاصّ للسادة رؤساء قسم اللغة العربية، الأستاذ المساعد الدكتور حسام عدنان الياسري سابقاً، والأستاذ المساعد الدكتور ثائر عبد الكريم البديري حالياً.

وشكري واحترامي الجزيلينِ إلى أساتذتي الأفاضل في كلية الآداب قسم اللغة العربية جميعاً، لفضلهم الكبير وجهودهم العلمية .

ولا يفوتني في هذا المقام أن أتقدم بالشكر الجزيل للأخوة والأخوات الأكارم في مكتبة كلية الآداب، والمكتبة المركزية، والمكتبة العامة في الديوانية، والأستاذ حيدر عبد الباري الحداد، مسؤول وحدة الفهرسة وتصوير المخطوطات في شعبة إحياء التراث والنفائس التابعة لقسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العلوية المقدسة.

فجزاهم الله عنّي جميعاً خير جزاء المحسنين، إنّه سميع الدعاء.

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	أ ـ د
التمهيد: النثر في عصر لسان الدين بن الخطيب	١- 15
أولاً-الحياة السياسية والاجتماعية	٤- ١٣
• الحياة السياسية	٤- ٦
• الحياة الاجتماعية	٦- ١٣
ثانياً- الحياة الفكرية والثقافية	١٣- ١٥
• الحياة الفكرية	١٣- ١٤
• الحياة الثقافية	١٤- ١٥
الفصل الأول : حياة لسان الدين بن الخطيب	**١٦- ٦٨**
❖ المبحث الأول: سيرة لسان الدين بن الخطيب	١٧-٤٣
• اسمه ونسبه وكُنيته	١٨- ٢٧
• نشأته وأسرته وأخباره	٢٧- ٢٩
• شيوخه وتلامذته	٢٩- ٤١
• مقتله	٤١- ٤٣
❖ المبحث الثاني : أهم مؤلفاته وآثاره، كتابه(ريحانة الكُتّاب)	٤٤- ٦٨
• أهم مؤلفاته وآثاره	٤٥- ٦٥
• كتاب(ريحانة الكُتّاب ونُجعة المُنتاب)	٦٥- ٦٨
الفصل الثاني: فنون النثر في كتاب(ريحانة الكُتّاب ونُجعة المُنتاب)	**٦٩- ١٢٣**
المبحث الأول : الرسائل النثرية	**٧١-٩٠**

أولاً– الرسائل الديوانية:	٧٣- ٨٦
• الرسائل الموجهة إلى الأمراء والسلاطين	٧٥- ٧٧
• موضوعات الرسائل التي يكتبها بنفسه إلى الملوك والسلاطين:	٧٧- ٨٦
١– الاعتذار	٧٧- ٧٨
٢– الشفاعة	٧٨- ٨٠
٣– التهاني والتعازي	٨٠- ٨٣
٤– التوسل والشكر	٨٣- ٨٤
٥– تقرير المودّات	٨٤- ٨٥
٦– الفتوحات	٨٥- ٨٦
ثانيا– الرسائل الاخوانية:	٨٦- ٩٠
❖ المبحث الثاني: المقامات	٩١- ١٢٣
– أقسام المقامات الأندلسية :	٩٤
أولا– نمط تقليدي	٩٤– ٩٦
ثانياً– نمط غير تقليدي	٩٦– ٩٩
– أنواع المقامات في كتاب(ريحانة الكُتّاب ونُجعة المُنتاب):	٩٩– ١١٢
١– المقامة السلطانية	٩٩–١٠٢
٢– مقامة معيار الاختيار	١٠٢– ١٠٥
٣– مقامة خطرة الطيف ورحلة الشتاء والصيف	١٠٥– ١٠٨
٤– مقامة الإشارة إلى أدب الوزارة	١٠٨– ١١٢
❖ المبحث الثالث : المفاخرات وأوصاف التراجم	١١٣– ١٢٣
أولا–المفاخرات	١١٤– ١١٦
ثانياً– أوصاف التراجم	١١٦– ١١٧
– أنواع التراجم:	١١٧–١٢٣
أولاً– التراجم الذاتية	١١٧– ١١٨
ثانياً– التراجم الموضوعية أو الغيرية	١١٨– ١٢٣

🕮**الفصل الثالث:البناء الفني في نثر لسان الدين في كتاب(ريحانة الكُتّاب)**	١٢٤- ١٦٩
❖ المبحث الأول: التشكيل البنائي	١٢٥- ١٤٢
أولا- الكلية أو الشمول	١٢٧
ثانياً- التحولات	١٢٧
ثالثاً- التنظيم الذاتي	١٢٧- ١٢٨
- **المطلب الأول: البنية الفنية الداخليّة في نثر لسان الدين في كتاب(ريحانة الكُتّاب):**	١٢٨- ١٣٧
أولاً-محور اللغة	١٢٨- ١٣٣
ثانياً- التنويع بين الشعر والنثر	١٣٣- ١٣٤
ثالثاً- أسلوب الدعاء	١٣٤- ١٣٥
رابعاً- أسلوب الاعتراض	١٣٥- ١٣٦
- **المطلب الثاني: البنية الفنية الخارجية: (الافتتاح الغرض الخاتمة)**	١٣٦- ١٤٢
❖ المبحث الثاني:التشكيل الإيقاعي:	١٤٣- ١٥٥
أولاً- السجع	١٤٥- ١٤٦
ثانياً- الجناس	١٤٧-١٤٨
ثالثاً- الطباق	١٤٨- ١٥٢
رابعاً- المقابلة	١٥٢- ١٥٥
المبحث الثالث: **الأساليب البيانية عند لسان الدين بن الخطيب**	١٥٦- ١٦٩
أولاً-التشبيه	١٥٨- ١٦٠
ثانياً-الاستعارة	١٦١- ١٦٣
ثالثاً- المجاز	١٦٣- ١٦٦
رابعاً- الكناية	١٦٦- ١٦٩
🕮**الخاتمة**	١٧٠- ١٧٢
🕮**المصادر والمراجع**	١٧٣- ١٩٤
🕮**الملخص باللغة الانكليزية**	A-B

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهُ حمداً يليقُ بجمالهِ وجلالهِ وعظيمِ سلطانهِ، والصلاةُ والسلامُ على سيّدِنا أبي القاسمِ محمّدٍ وعلى آلهِ الطيبينَ الطاهرينَ وأصحابِهِ المنتجبينَ، وبعد..

يعتبر النثر لوناً أدبياً رفيعاً، وضرباً فنياً واسع العطاء، كثير الإيحاء، وقد عني به النقاد والأدباء، ونظرا لأهمية هذا اللون الأدبي فقد جاء موضوع بحثي عن النثر لسان الدين في كتابه(رِيحَانَةُ الْكُتَّابِ وَنُجْعَةُ المُنْتَابِ)، وقد حاولت في هذه الدراسة المتواضعة أن أصل إلى ما أبتغيه علمياً بقدر المستطاع وبخطوات جادّة .

ومن أسباب اختيار الموضوع هو رغبتي في اختيار موضوع لدراسة النثر الفني، فعرضَ عليَّ أستاذي المشرف الدكتور صلاح حسّون جبّار الموضوع وشجعني على اختياره، وكذلك رغبتي في التعرف على هذا الأديب والمؤرخ والعالم الذي ترك كمّاً واسعاً من الإرث الثقافي، لأتعرف من خلال ذلك على أحوال تلك العصور الماضية،كذلك محاولة إعطاء صورة واضحة عن حياته وثقافته وظروفه المختلفة.

أما أهداف الدراسة فهي تسعى في الرد على التساؤلات الآتية: من هو لسان الدين ابن الخطيب؟ وكيف استطاع ابن الخطيب أن يصل إلى هذه المكانة المرموقة في النثر الأندلسي؟ ومن هم العلماء الذين تتلمذ على أيديهم؟ وما أهم مآثره العلمية والأدبية؟ وما هي أهمية نثره الفني في عصره وأثره فيما بعده؟ وما هي أهم الفنون النثرية التي تناولها ابن الخطيب في كتاب دراستنا؟ وما هو أسلوبه النثري فيه؟

أما الرسالة فقد قسمتها إلى ثلاثة فصول، تسبقها مقدمة، ويلحقها التمهيد: وفيه تحدثتُ عن النثر في عصر لسان الدين بن الخطيب، والذي يتضمن كلاً من: الحياة السياسية والاجتماعية، والحياة الفكرية والثقافية لمملكة غرناطة في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، وهو عصر لسان الدين بن الخطيب، للوقوف على معرفة المحيط الذي عاش فيه الأديب، والنثر في عصر لسان الدين ودوره الأدبي فيه، ولهذه المحاور تأثير كبير على سيرة لسان الدين بن الخطيب، وتأثيرها على آثاره الأدبية عامة، وفنون نثره خاصة هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لها تأثيرها في شخصية ابن الخطيب ومواقفه الفاعلة فيها.

أما **الفصل الأول** فقسمته إلى مبحثين: المبحث الأول: تناولت فيه سيرة لسان الدين بن الخطيب: اسمه ونسبه وكُنيته، ونشأته وأسرته وأخباره، وذِكر أهم شيوخه وتلامذته، وأخيراً تحدث عن مقتله، والمبحث الثاني: كان عن أهم مؤلفاته وآثاره، وكذلك تحدث عن كتابه الذي كان موضوع رسالتي، وهو:(رِيحَانَةُ الْكُتَّاب وَنُجْعَةُ المُنْتَاَب)، ويعد من أبرز مؤلفات التاريخية والأدبية لابن الخطيب، وذلك بعد كتاب الإحاطة، ويشرح ابن الخطيب في كتابه هذا سبب تسميته يقول: (وسميته لتنويع بساتينه المشوقة وتعدد أفانيه المعشوقة:رِيحَانَةُ الْكُتَّاب وَنُجْعَةُ المُنْتَاَب).

وأما **الفصل الثاني:** فتحدث فيه عن فنون النثر في رِيحَانَةُ الْكُتَّاب وَنُجْعَةُ المُنْتَاَب، وفي هذا الفصل حاولت عرض الفنون النثرية التي وردت في كتابه فجاء في ثلاثة مباحث:المبحث الأول: الذي يشمل الرسائل النثرية منها(الرسائل الديوانية، والرسائل الاخوانية)،والمبحث الثاني: المقامات وقد ذكرت أنواعها وفق ورودها في الكتاب، وجاء في المبحث الثالث: المفاخرات وأوصاف التراجم، وهو نوعان: التراجم الذاتية الذي يتحدث فيها الكاتب عن نفسه فيكون هو المترجم ويؤرخ فيها عن نفسه من مولده حتى لحظة الكتابة، والنوع الثاني هو التراجم الموضوعية أو الغيرية، وتعني قيام الكاتب بترجمة حياة الآخرين، أي أشخاص غيره؛ لذلك سميت بالترجمة الغيرية، فالمترجم يؤرخ لحياة المترجَم له مولداً ونشأة حتى الوفاة.

أما الفصل الثالث والأخير: فتكلمت فيه عن البناء الفني في نثر لسان الدين في كتاب(ريحانة الكُتّاب)، وقد قسمته إلى ثلاثة مباحث: المبحث الأول: التشكيل البنائي: وقد قسمته إلى مطلبين:المطلب الأول: البنية الفنية الداخليّة في نثر لسان الدين في كتاب(ريحانة الكُتّاب):(محور اللغة، أسلوب التنويع بين الشعر والنثر، أسلوب الدعاء، أسلوب الاعتراض)، وفيه عرضت بإيجاز لنشأة البنيوية، ثم تعريفها وخصائص تلك المدرسة التحليلية النقدية، ثم شرعت في بيان أهم الأساليب الفنية في نثر لسان الدين، والمطلب الثاني: البنية الفنية الخارجية:(الافتتاح، الغرض، الخاتمة)، وفيه حاولت بيان أوجه الربط بين تلك العناصر في نثر لسان الدين في كتابه، أما المبحث الثاني فهو التشكيل الإيقاعي، وعناصره:(السجع، الجناس، الطباق، المقابلة)، وفي هذا المبحث حاولت الربط بين تلك المصطلحات قديما

وحديثا ثم قمت بعدها ببيانها في نثر لسان الدين، وبيان ما تجلّت تلك به الموسيقى وأثرها في النثر الفني عند لسان الدين في كتابه.

وأما المبحث الثالث فهو التشكيل البياني، وعناصره:(التشبيه، الاستعارة، المجاز، الكناية) ،وفيه حاولت فيه الربط بين عنصري التعريف والتطبيق، ثم قمت ببيان قيمة الصورة البيانية في نثر لسان الدين وتجليات أثر تلك الصورة لدى المتلقي،وفي نهاية هذه الفصول كانت خاتمة الرسالة التي أدرجتُ فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

وقد ظهرت لي خلال هذه الدراسة بعض الصعوبات التي لا يخلو منها أي جهد علمي، وأذكر من ذلك: صعوبة التنقل للحصول على بعض المصادر المهمة في الدراسة نظراً للظروف الصحية الطارئة في وطننا، وكثرة نتاج ابن الخطيب في فنونه المختلفة فقد أسهم بذكائه غير المحدود في الكثير من المجالات العلمية والأدبية المتميزة كفن الرسائل وفنون المقامات والرحلات وأوصاف التراجم والمناظرات، وقد تطلب منى هذا الجهد الكبير في معرفة فنونه المتنوعة، وخاصة وإن هذا التراث لم يصل إلينا كاملاً، وهذا ما تطلب مني الكثير من العناء للخوض في هذا النتاج لفهم نسيج تقنياته الفنية .

والشكر والعرفان لكل أساتيذي في قسم اللغة العربية؛ لما قدّموه لي من إرشاد وتوجيه فهم أهل لذلك الكرم العلمي، فجزاهم الله كل خير، وأتقدم إلى أستاذي المشرف الدكتور صلاح حسون جبار بالشكر الجزيل والثناء الجميل على نصائحه ومشورته العلمية المتواصلة التي كانت ولا تزال خير دعم وسند لي وأنا أفخر بتوجيهاته الثمينة طوال مدة الدراسة،حتى وصولها بهذه الصورة فجزاه الله عني خيراً.

وفي الختام أرجو أن أكون قد وفقتُ في مواجهة الصعوبات التي واجهتني بقدر المستطاع والإمكانيات المتواضعة، فإن أدركني التعثر والزلة، فحسبي أنني أبديتُ ما لدي من سعي المجتهد وشرف المحاولة، وما الكمال إلا لله تعالى، وأرجو قبول العذر في ذلك، وإن وُفِّقتُ، فالحمد الله الذي تتم بنعمته وتوفيقه الصالحات.

وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ

الباحثــةُ

التمهيـــــد

النثر في عصر لسان الدين بن الخطيب

الحياة السياسية والاجتماعية.

الحياة الفكرية والثقافية.

النثر في عصر لسان الدين بن الخطيب

تميزَ النثر في عصر لسان الدين بن الخطيب، أي في القرن السابع والثامن

الهجريينِ، بسهولة الكتابة والسلالة، وكان يعتمد على المحسنات البديعية، وكذلك يستخدم أسلوب السجع لأجل التنسيق والتزيين، وأسلوب السجع الموشّح بالاقتباس والشواهد من الذكر الحكيم، وقد حظي النثر، وفي مقدمته أدب الرسائل، باهتمام كبير من قبل الأندلسيين، إذ فهم المجتمع الأندلسي، بأهمية أدب الرسائل، وفي مقدمتهم الخلفاء عمالقة الكُتّاب البلغاء، بضرورة الحرص على قيمة الجمالية والفنية للرسائل، باعتبارها مرآة واقع الدولة، وقد أدى هذا الاهتمام إلى ظهور جديد في ديوان الرسائل لم يكن موجوداً من قبل[١] .

وقد أزدهر أدب الرسائل في القرن الرابع الهجري ازدهاراً كبيراً، وذلك من ناحيتين: أولهما الموضوعية، وثانيهما الفنية، فمن الناحية الموضوعية كثرت الرسائل الديوانية وانتشرت سيولها وتنوعت إغراضها، فبدأ الكُتَّاب يكتبون الرسائل الإدارية، والحربية والسياسية، وكذلك يكتبون العهود والمواثيق وما تتصل فيها من الموضوعات الأخرى، وأمّا من الناحية الفنية، فقد أصبح الكُتَّاب يظهرون اهتمامهم الكبير بعناصر البناء الفني للرسالة من حيث المقدمة والموضوع والخاتمة، فأصبحت الرسالة متكاملة من حيث بنائِها الفني، وذلك اهتموا باستخدام المحسنات البديعية المختلفة من السجع والمقابلة والأزواج، وكانوا يدعمون الرسائل بالشعر، وكانت الرسائل كثيرة الألقاب والجمل الدعائية في شتى أنواع الرسائل[٢].

الجدير بالذكر إن النثر أحد فنون الأدب لا يقل أهميته عن أهمية الشعر، بل له مكانة في الأدب الأندلسي، ويتميز بالسلالة والسهولة، فتناول الأندلسيون من خطب متميزة، ورسائل، ومناظرات،ومقامات،وغيرها من الفنون،وكذلك الإكثار من استخدام السجع،الذي يتضمن في ذكره الاقتباس من ذكر الذكر الحكيم، وكذلك يذكر الإشعار إلى غير ذلك من المحسنات البديعية، حيث يبقى أثرهُ في نفوس السامعين والمتلقين أيضاً، وذلك من حيث التعبير والأداء الجميل.

---

(١) ينظر: أدب الرسائل في الأندلس ، في القرن الخامس الهجري، فايز عبد النبي فلاح القيسي، دار البشير للنشر والتوزيع ، تنسيق وفهرسة: د. الشويحي ،جميع الحقوق محفوظة ، ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م : ٩١ ، وينظر: أثر القرآن الكريم في الخطاب النثري الأندلسي ، في القرن الخامس الهجري ، أعداد الطالب طارق محمد السلامين، إشراف د. فايز القيس، رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليا استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الأدب العربي قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة مؤتة ، ٢٠١٠ : ١٣.

(٢) ينظر : أدب الرسائل في الأندلس ، في القرن الخامس الهجري : ٩٥ -٩٦.

وإذا جئنا إلى الفن النثري وألوانه لدى لسان الدين بن الخطيب في ظل ما سبق ذكره من أثر أجواء الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية والثقافية، وجدنا أنّ هناك فنوناً عدة قد خطَّها يراع ابن الخطيب وبأسلوب أدبي متنوع الآفاق والأساليب، ومن ألوان النثر التي وردت لكاتبنا:الرسائل الديوانية، ومن ألوانها:(الاعتذار، الشفاعة، التهاني والتعازي، التوسل والشكر، تقرير المودّات،الفتوحات)، ومنها أيضاً الرسائل الاخوانية:(الدعابات والفكاهات)، وكذلك فن المقامات ومنها:(مقامة سلطانية، مقامة معيار الاختيار، مقامة خطرة الطيفِ ورحلة الشتاءِ والصيفِ، مقامة الإشارة إلى أدب الوزارة)، ومنها: فن التراجم، وكذلك فن المناظرات،وسنتناول هذه الفنون في الفصول القادمة عرضاً وتحليلاً.

كان فن الشعر في الأندلس له أهمية ثم يأتي النثر،ولذلك نجد الشعراء أكثر شهرة فضلاً عن الكُتّاب، لأن البلاغة بالشعر قد تكون أبْدَى من النثر، مع أن النثر يأتي بعد الشعر بحيث اسْتَهْوَى المرتبة الثانية، إلّا أنه شكل فاعل من أشكال البلاغة العربية، وقد اتجه الكُتّاب إلى حذو أساليب كبار الأدباء والكُتاب العرب،الذينَ برزت لهه مذاهب فنية في الكتابة، مثل مذهب الجاحظ وأسلوبه، ومذهب ابن المقفع وطريقته، وغيرهم[1] .

من خلال ما ذكرناه سابقاً يمكن أن نقول:إن الكثير من الكتّاب في الأندلس كانوا من فرسان الفنّينِ : الشعر والنثر، ولهذا الأمر فائدة ، فإنها تظهر بحسن اختيار الموضوعات، واختيار الألفاظ ومزيتها وأثرها في نفوس المتلقينَ التي تكون للنثر دون الشعر، ومن خلال ذلك فإن القارئ يجد أن هناك تنوعاً في الأساليب الفنية ومقوماتها بين الشعر والنثر وحسب درجة المقام[2].

ونلاحظ هناك نوعين من الكُتّاب في الأندلس،يسمّى النوع الأول(كاتب الرسائل)، هو الذي يَتَحَمَّل الكتابة عن الملك وعن الأمير، أما النوع الآخر من الكُتّاب فيسمّى (كاتب الزمام)[3]، وهو كاتب حسابي وصاحب الخراج، ذو منزلة مرموقة[1]،ولا

([1]) ينظر: بلاغة العرب في الأندلس، أحمد ضيف،سلسلة الدراسات الأدبية، دار المعارف للطباعة والنشر – سوسة – ط١، ١٩٢٤، ط٢، ١٩٩٨ :٢٨.

([2]) ينظر : اثر القرآن الكريم في الخطاب النثري الأندلسي، في القرن الخامس الهجري، أعداد الطالب طارق محمد السلامين، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، ٢٠١٠: ١٦-١٧.

([3]) ينظر : نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ،شهاب الدين أحمد بن محمد المقري (١٠٤١هـ -١٦٣١م) ،

يمكن لليهودي أو النصراني تولي هذا المنصب،وفضلاً عن هذه الأنواع هناك ما يُدعى بالكاتب الخاص، ولدى كل أمير من الأمراء مثل هذا الكاتب، كما أن بِنْية الكتابة شامِلة يطلق عليها الكتابة العليا[٢] .

ولم تكن الفنون النثرية مقتصرة فقط على الدواوين والرسائل، سواء أكانت قصيرة أم طويلة،في الذم أو المدح،بل شملت العيد من الاتجاهات والآفاق،وكان لذلك الأثر في الأدب العربي والبلاغة كأثر الشعر؛لاحتوائه على العديد من أغراض الكُتّاب، مثل وصف المباني الضخمة،وكذلك المساجد والكثير من مظاهر الحياة وتصويرها[٣].

-الحياة السياسية والاجتماعية:

بِشَكْلٍ عام فإنَّ للحياة السياسية والاجتماعية تأثيراً كبيراً على سيرة لسان الدين بن الخطيب، وتأثيرها على آثاره الأدبية عامة،وفنون نثره خاصة هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لها تأثيرها في شخصية ابن الخطيب ومواقفه الفاعلة فيها،وفيما يلي أهم المحاور:

- **الحياة السياسية :**

لم يبقَ لسان الدين بن الخطيب أن يكمل دَوْرَه حتى ظهر نجمه منيراً في سماء الشعر والنثر[٤]، وقد كان يوم ميلاد لسان الدين بن الخطيب على صعيد الحياة السياسية في غرناطة الأندلسية[٥]،مع رَيْعَان الصراع بين الإسلام والمسيحية، وخاصة مع أبي الوليد إسماعيل (٧١٣-٧٢٥هـ) سلطان غرناطة[٦].

تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٨م :١/ ٢١٧.

(١) ينظر: بنية الرسالة الأندلسية عند لسان الدين بن الخطيب "دراسة فنية " ، رسالة ماجستير : ١٠.

(٢) ينظر:تاريخ الأدب الأندلسي،إحسان عباس،المكتبة الأندلسية، ط٢، دار الثقافة، بيروت – لبنان،١٩٦٩: ٣٢٥.

(٣) ينظر: الأدب الأندلسي في الموسوعات الأدبية في العصر المملوكي، نضال سالم النوافعة،أطروحة دكتوراه ، جامعة مؤتة ،٢٠٠٨ : ٨٩- ٩٠،وينظر أيضاً: بلاغة العرب في الأندلس : ٢٨ .

(٤) ينظر : اللمحة البدرية في الدولة النصرية، لسان الدين بن الخطيب ، صححه ووضع فهارسه محبّ الدين الخطيب ،القاهرة ،١٣٤ ، المطبعة السلفية، لصاحبهما : محي الدين الخطيب وعبد الفتاح: ٥.

(٥) ينظر :فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب، المضامين والخصائص الأسلوبية ،د. محمد مسعود جبران ، دار المدار الإسلامي، بيروت : ٢٩/١.

(٦) ينظر:نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، محمد عبد الله عنان، العصر الرابع من كتاب دولة الإسلام في الأندلس، ط٣ ، ١٣٨٦ هـ – ١٩٦٦ م، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر: ١١٧.

وفي كتاب اللمحة البدرية:" قد أُرّخ لسلاطين دولة بني نصر أو بني الأحمر في غرناطة من لدن أولـهم مؤسس الدولة أبي عبدالله محمد بن يوسف إلى عهد سلطانه محمد الخامس"[١]

في حين كانت غرِيزَة التواصل بين سلطنة غرناطة وسلطة بني مرين تكون بين السلب والإيجاب، إلاّ أنَّ الغرناطيين دَاوَموا في استدعاء الاستنجاد من الدولة المرينية والتي بدورها بقيت تهيّئ الجيوش وتخوض الحروب أحياناً، عكس بني اشقيلولة إلى ناحية السلطان الغرناطي، وأحياناً إلى ناحية بني اشقيلولة عكس القشتاليين والسلطان الغرناطي[٢].

وقد تَعَقَّب مستقبل ابن الخطيب السياسي بسبب منصب والده، وكان عمره عندما توفي والده الثامنة والعشرين عاماً، حيث تولى أمانة السر لوزير السلطان أبي الحجاج يوسف الأول نصر بن الأحمر(٧٣٣- ٧٥٥هـ) وقام بمدحه وتقرب منه، وبعد ذلك أنقذه من تحت يد أبي الحسن بن الجياب، وبعد إن مات ابن الجياب عام (ت٧٤٩هـ) قلده السلطان الكتابة والوزارة مكان أستاذه ، إذ بعثه إلى الملوك حتى ينوب عنه ، وعندما قُتل أبو الحجاج اخذ منصبه ابنهُ الغني بالله محمد بن يوسف (٧٥٥هـ – ٧٩٣هـ) وبعدها استمر لسان الدين بن الخطيب على الوزارة، وذهب ابن الخطيب إلى فاس ليستنجد أبا عنان ، وذلك بأمر من أستاذه، فمدحه ابن الخطيب بقصيدة فتأثر لها، وبالغ السلطان المريني في إكرامه[٣]، وبناء على ذلك لم تسُد الأحوال السياسية في عهد الدولة المرينية في المغرب الذي يترأسها ابن الخطيب بأسباب الأمن والهدوء والاستقرار من الحياة السياسية في وطنهِ الأندلس .

---

(١) اللمحة البدرية في الدولة النصرية، أبو عبد الله محمد لسان الدين ابن الخطيب، دراسة وتحقيق الدكتور محمد مسعود جبران، دار المدار الإسلامي ٢٠٠٩، ط١، ٢٠٠٩،دار أويا للطباعة والنشر: ٢٩.

(٢) ينظر: العلاقات السياسية بين سلطنة غرناطة والدولة العثمانية، عامر عجاج حميد الجنابي، يوسف كاظم جغيل الشمري، خلال الربع الأخير من القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلاد، مجلة كلية التربية الأساسية/ جامعة بابل ، العدد١٣،أيلول/٢٠١٣ م:٤٨٧ .

(٣) ينظر: اللمحة البدرية في الدولة النصرية:٣٣، وينظر: أوصاف الناس في التواريخ والصلات كتاب لسان الدين بن الخطيب ومنهجه، للباحثة سرى طه ياسين الجامعة العراقية/كلية التربية للبنات، مجلة كلية الإمام الأعظم: ٤٦١- ٤٦٢ .

وقد واصَل حكم المسلمين للأندلس أكثر من ثمان سنوات،ونلاحظ أنهم تركوا فيها آثاراً مادية بارزة المعالم وذلك حصراً في الولايات الجنوبية التي استوطن فيها العرب حتى بَقِيَّة أيـامهم[١]،وبعد أن ذكرنا لمحة عن آثار الحياة السياسية سننتقل إلى أثر الحياة الاجتماعية.

- **الحياة الاجتماعية :**

إنّ الحياة الاجتماعية التي تكونّ منها المجتمع الأندلسي بشكل عام والمجتمع الغرناطي بشكل خاص، هي تلك الحياة التي تتمايز بهابقية المجتمعات برخائها الاقتصادي، وتفتحها الفكري، وعلى الرغم من أن مملكة غرناطة صغيرة، إلاّ إنها تتمتع بثروات عظيمة من الموارد الطبيعية،وكانت وديان هذه المملكة تنتج الحبوب والزيـتون والكروم وغيرها من الموارد الطبيعية، إلى جانب الوديان تكوّن الجبال التي تخترقها من كل جانب، وفيها العديد من الثروات المعدنية الوفيرة، ومن بين هذه الثروات الذهب والفضة والحديد والرصـاص[٢] .

برزت في هذا المجتمع عناصر بشرية عدة أهمها العرب والبربر واليهود والصقالبة، ولكل عنصر من هذه العناصر صفات خاصة به وهي كالآتي:

١- العرب :

كان عدد العرب في بداية الفتح أقل بالنسبة إلى عدد البربر الذين شكلوا الأغلبيّة في الأندلس، ثمّ بدأت أعدادهم تتزايد بمجيء بلج بن بشر بن عياض[٣]، وكانت العرب تحس بالتفوق والتعالي؛ لأنهم يمثلون الطبقة الارستقراطية[٤]، وكانوا العرب

---

(١) ينظر: تاريخ المغرب والأندلس ، أحمد مختار العبادي ، أستاذ بجامعتي الإسكندرية وبيروت العربية ، دار النهضة العربية ، للطباعة والنشر ، بيروت:١٧.

(٢) ينظر: الرؤية والتشكيل في شعر ابن خاتمة الأنصاري الأندلسي ، سعد بن ماشي العنزي، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية ، كلية الدراسات العليا ، كانون الثاني ٢٠٠٩ م : ٩ .

(٣) هو بلج بن بشر بن عياض ابن وحوح بن قيس بن الأعور بن قشير بن كعب بن ربيبن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن القشيري، ينظر: تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسن الشافعي، ابن عساكر ٤٩٩هـ – ٥٧١م ، تحقيق محبّ الدين أبو سعيد العموري ،١٤١٥هـ – ١٩٩٥م ،دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت ، لبنان،(حرف الباء) : ١٠ /٣٩٥.

(٤) ميدان اللغة والأدب العربي، سماعيلي شهرزاد ، بوقرعة بسمة ، رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة العربي بن مهيدي– أم البواقي ، كلية الآداب واللغات ، قسم اللغة و الأدب العربي ،١٤٣٨هـ – ٢٠١٧ م: ٥ .

يدركون إدْراكاً شديداً بأرستقراطيتهم لانتصارهم على الإسبانيين والبربر وإدماجهم في الإسلام، وبلغتهم التي تقدَّم غيرها[١] .

٢- البربر :

سميّت المفردة بأسماء عدة منها: البربر، الجيتوليون، الامازيغ، الأفارقة، وغيرها من الأسماء، لكن لم تحظ جميع الأسماء بالاهتمام باستثناء(البربر والامازيغ)[٢]، وهم" يشاركون العرب في البداوة والإسلام والعصبية القبلية والشجاعة؛ ولذلك وجد منهم العرب الأمرين عند فتحهم للمغرب"[٣].

وقد اختار البربر مكاناً ونزلوا في الهضاب الوسطى ومن الشواطئ الغربية من القسم الجنوبي للهضاب، وذلك لان المناخ في هذه البلاد يكون كله مَراعياً، ويشبهان بلادهم ومدنهم في المغرب الأقصى، وكان السبب من هذا التوزيع دون أي خلاف، لأن البربر كانوا أكثر من العرب[٤]،وهم يشكلون في بداية الفتح العدد الأكثر بالنسبة إلى بقية العناصر، ولم تتوقف الهجرة بسبب جوارهم للأندلس،بل اندمجوا في البيئة الجديدة وأقبلوا على اللغة العربية بسهولة،واتخذ البعض منهم أسماء عربية جميلة لهم أما البربر التي كانت ظروفهم(السياسية والاقتصادية)مواتية، وبسبب هذه الظروف جاءوا لمضيق جبل طارق، فقد تألفت منهم الطبقة الأرستقراطية، حتى يتمكنوا من النعم في هذه المنطقة بالأرض الأندلسية، وإن مستعمرات البربر لم تشغل سوى جزء من أراضي متفرقة من المنطقة الساحلية، مما أدى ذلك إلى الاستقرار في الميزيتا، وظل الأمر كما هو الحال عليه حتى أواخر الفرن العاشر الميلادي، وبسبب أقامتهم لفترة طويلة انصرفوا عن لهجاتهم الأصلية [٥].

لقد كانت هناك صفات لبربر يشبهون العرب بها وهي:(صفات الكرم

---

(١) ينظر: ظهر الإسلام ،أحمد أمين،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، جمهورية مصر العربية: ٤٧١/١.

(٢) البربر في الأندلس: محمد حقي ، دراسة لتاريخ مجموعة أثنية من الفتح إلى سقوط الخلافة الأموية ،(٩٢هـ / ٧١١م – ٤٢٢هـ / ١٠٣١ م)، المكتبة التاريخية، شركة النشر والتوزيع – المدارس، الدار البيضاء : ٢٥ .

(٣)ظهر الإسلام، أحمد أمين: ٤٧١/١.

(٤) ينظر :الحياة الاجتماعية في الأندلس وأثرها في الأدب العربي والأدب الأندلسي : ١٥.

(٥) ينظر: الأندلس:ج . س. كولان، ترجمة دائرة المعارف الإسلامية، إبراهيم خُورشيد، د.عبدالحميد يونس، حسن عُثمان، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، كتب دار المعارف الإسلامية ، ط١ ، ١٩٨٠: ٨٩.

والشجاعة وحب القتال وكذلك حب المزاح)، إلا أنهم يؤمنون بالسحر، والشعوذة، والتنبؤ، وهذه العقلية ربما تكون سلطة للزعماء والقُواد أن يستغلوا هذا الضعف، وبسبب هذا الضعف نرى كل الحركات السياسية المعروفة في المغرب ترأسها أناس باسم الدين، واستعملوا السحر والشعوذة والخرافات حتى يتمكنوا من جذب الأنصار والإتباع[1]، ونرى ذلك بوضوح تام في مقاومة الفتح العربي للمغرب في ثورة الكاهنة، وفي دعوة عبد الله بن ياسين المؤسس لدولة المرابطين، وكذلك في دعوة أبي عبد الله الشيعي المؤسس لدولة الفاطمية، ودعوة عبد الله بن تومرت الملقب بالمهدي المؤسس لدولة الموحدين وهكذا، ويدينون البربر بأديان مختلفة، كانت الديانة المسيحية تنتشر بين البربر الذين استقروا في المناطق الساحلية المجاورة للسيادة البيزنطية ، كذلك اليهودية انتشرت في داخل بلاد البربر، حيث انتشر اليهود آنذاك كتجار، ولهم صيت لاذع في كل زمان ومكان، وانتشرت الديانة الوثنية الذي أطلق عليهم عبادة الكائنات والظاهر الطبيعية التي انتشرت في البوادي والجبال والأودية والصحراء ، بل كانت هذه الديانات منتشرة في الواقع انتشاراً سطحياً ضعيفاً، أي أنها كانت منتشرة بالاسم فقط، ولم يكن لديها أي نفوذ أو سلطة[2].

٣- الموالي :

كان للموالي الدور الكبير إلى جانب العرب والبربر في توجيه الحوادث خلال القرن الثاني للهجرة، وكان معظم الموالين من أهل المغرب الداخلين ضمن ولاء بني أمية وكان القليل منهم من أهل المشرق، الذين دخلوا ضمن ولاء الأمويين كانوا من أهل الشام والعراق أو فارس، وكذلك كان لهم التأثير في مجرى الحوادث في بلاد الأندلس، وهناك رأي من وراء ذلك التأثير، حتى يتمكن عبد الرحمن الداخل ليأخذ السلطة في الأندلس، أما الموالونَ من أهل المشرق فقد كانت مكانتهم الاجتماعية اقل من منزلة الحرّ، وبعد أن ساعدوا عبد الرحمن ليعتلي السلطة في الأندلس وإقامة دولته، وبسبب دولة عبد الرحمن أصبحوا في مركز العرب الأحرار، وكانوا أمراء بني أمية يعتمدون كل الاعتماد عليهم وكانت لهم مكانة خاصة في الإدارة والمجتمع

---

(1) ينظر : تاريخ المغرب والأندلس، أحمد مختار العبادي: ١٦ – ١٧ .

(2) ينظر: المصدر نفسه: ١٧ .

والدولة، وساعد على ذلك الظروف التي أحاطت العرب والمنافسة الشديدة التي كانت بينهم، فقد بقيت طائفة الموالي كتلة واحد متماسكة بينما العرب تفرقوا عن بعضهم[١].

٤- اليهود :

لقد اتخذ اليهود غرْنَاطَة مسكناً لهم قديماً حتى سميت باسمهم، وكانت غرناطة مدينة إسلامية الإنشاء، أي لم تكن رومانية البناء، فالمسلمون افتتحوا قرية صغيرة، وجعلوا اليهود ينضموا فيها، ربما كان ذلك سبباً في تسميتها، وبعد ذلك أطلقوا على تسمية هذه المدينة باسم(غرْنَاطَة اليهود)[٢]، ولما أنتشر الإسلام بشكل كبير في البلاد أطلقوا على كل فرد أسلم من الأسبان اسم (المَسالِمة) ومفرد مَسالِمة هو مُسالِم ، وبعد ذلك أطلق عليهم اسم المولدين وهم الذين نشأوا على الدين الإسلامي ، وهذه التسمية استمرت إلى نهاية القرن الثالث الهجري إلى أن تكونت منهم الشخصية الأندلسية، وكان وضع المولدين والمسالمة لا يختلف كثيراً عن الوضع العام للعرب والبربر المسلمين دون تفريق أو تميز[٣] .

وقد كان لليهود الدور الكبير والمميز أثناء الفتح، وقد برزت مكانتهم على عهدي الولاة والأمويين، ومن المدن اليهودية التي أصبحت مزدهرة هما المدينتان: لوسينا وكرمونا، ومن خلال ازدهار هذين المدينتين حاول يوسف بن تاشفين أن يغير اليهود بإكراه الأندلس على دخول الإسلام ، ولكن استطاع البعض من اليهود أن يعطوا مبلغاً كبيراً من الأموال إلى زعماء دولة المرابطين حتى يبعدوا تلك الفكرة ، ودخل الموحدون إلى مدينة لوسينا في عام(٥٤٣ هـ - ١١٤٨ م)، ونكلوا بأهلها مما جعل الشاعر أبراهام بن عزرة الشاعر اليهودي إلى كتابة قصيدة يكتب فيها ما أُنزل بهم على أيدي الموحدين،وبسبب ذلك ذهبت أعداد كبيرة من اليهود إلى كتلونيا وقشتالة[٤].

---

(١)ينظر : فصول في الأدب الأندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة ، د. حكمة علي الأوسي ، مطبعة سلمان الاعظمي – بغداد ، ١٩٧١: ٢٨ -٢٩ .

(٢) ينظر : تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس : السيد عبد العزيز سالم ، أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ،(١٤٠٦هـ / ١٩٨٥ م) : ١٣٥.

(٣) ينظر: فصول في الأدب الأندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة :٢٩ .

(٤) ينظر: غرناطة في ظلّ بني الأحمر (دراسة حضارية) ، يوسف شكري فرحات ، دار الجيل بيروت ، ط١

وقد أبدع الكثير من اليهود في مجالات عدة منها: الطب والفلسفة والفلك والكيمياء،أمثال إبراهيم بن سهل الإسرائيلي الشاعر*، وموسى بن ميمون الفيلسوف*وغيرهم .

وكان أهل اليهود من سكن القرى الريفية،ولم يمتازوا عن غيرهم من سكان الأندلس،وقد تخلى عنها أكثر المسلمين في الأندلس، بسبب ابتعادهم عن الأزياء التي تظهر وتحمل طابع الدين(١).

ومن المسائل المهمة المتعلِّقة بالكتب الفقهية الأندلسية هو بيع وشراء الرقيق، وهذا يدل على أهمية هذه التجارة في الأندلس(٢)، تكون هذه التجارة من أهم المسائل المهمة في الأندلس.

وكان اليهود يرحبون بالعرب أشد الترحيب ويمدون يد العون لهم، وانتشروا في فترة من الفترات في الكثير من البلدان والقرى، وأصبحت الثقافة العربية من ضمن ثقافتهم لأنها اللغة العربية درجت على السنتهم، وقد أبدع الكثير من اليهود في اللغة العربية لاسيما في العلوم والطب والى غير ذلك،منهم"حَسْداي بن شبروط طبيب عبد الرحمن النّاصر،وكان طبيباً وعشّاباً،وتعد آثارهم الأدبّية والفكريّة نِتاجاً للثّقافة العربيّة الإسلاميّة في الأندلس"(٣).

٥-الصقالبة:

، ١٤١٣ هـ ١٩٩٣م : ٩٦ -٩٧.

*هو من أشهر شعراء بني هود، ولد في أشبيلية الأندلسية ٦٠٩هـ ، والذين كان عصرهم من أزقى عصور الحضارة في البلاد ، ينظر: ابن سهيل الأندلسي (ديوانه) ، دراسة وتحقيق يُسرى عبد الغني عبد الله ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ط٣، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣ م ،٥ .

*موسى بن ميمون المعروف بأَبي عمْرَان مُوسَى عُبَيْد الله ، ولد سنة ١١٣٥م بالأندلس في مدينة قرطبة، ينظر، موسى بن ميمون حياته ومصنفاته، إسرائيل ولفنسون، ط١، مطبعة لجنة التأليف والنشر، ١٣٥٥- ١٩٣٦ :١.

(١) ينظر: الحياة الاجتماعية في الأندلس وأثرها في الأدب العربي والأدب الأندلسي : محمد سعيد الدغلي ، جميع الحقوق محفوظة ، دار أسامة للنشر ،ط١، ١٩٨٤ م -١٤٠٤ هـ : ١٩ -٢٠.

(٢) اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس(٩٢- ٨٩٧هـ ،٧١١- ١٤٩٢ م)، خالد يونس عبد العزيز الخالدي،أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ/جامعة بغداد،١٩٩٩م، مطبعة ومكتبة دار الأرقم فلسطين – غزة : ٣٦٩.

(٣) ينظر: في الأدب الأندلسي: محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر بيروت –لبنان ، دار الفكر دمشق – سورية ، ط١ ، جمادي الآخرة ١٤٢١هـ ، أيلول ٢٠٠٠م : ٢٤ .

الصَّقالبة[١]، اسم" يطلقونه على أسرى الحرب من جميع البلاد الأوربية، وعلى من وقع من أيدي المسلمين من الرقيق، وذلك إن تجارة الرقيق كانت منتشرة، وكان هناك في الأندلس بعض البيزنطيين يقدمون للمسلمين أنواعاً أخرى من الرقيق من غزواتهم لشواطئ البحر الأسود، وكانت هناك إلى ذلك كله مراكب لقرصان إسبانيين يغزون السواحل، ويصيدون بعض الناس ويبيعونهم في سوق الرقيق بالأندلس، وكان اليهود أهم من يقوم بتجارة الرقيق هذه"[٢].

كما أن غالبية السكان كانت من المسلمين، ويبدو أن المسلمين قَدِموا إلى الأندلس على شكل مجموعات،ويمكن تسمّية الذين دخلوا مع موسى بالبلديين والذين دخلوا مع بلج بالشاميين[٣]، وقد اجتمعت ونشأت في عدة طبقات اجتماعية متمايزة منها: الطبقة الأرستقراطية[٤]،والتي تمثلها الأسر النافذة على المستوى الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، وكذلك الطبقة الوسطى الغالبة، والذي يمثل هذه الطبقة علماء العربية والتفسير والفقه،ويدخل من ضمن هذه الطبقة المغنون والشعراء،ويدرج في هذه الطبقة أثناء الصناع وخاصة من كانوا يقومون على أثاث المنازل والأزياء والطعام،وكذلك يدخل في الأثاث صناعة البسط والسجاجيد والتخوت والمقاعد وغيرها ،وهناك الكثير من الناس يدخلون ضمن هذه الطبقة لأن نفقاتها لم تكن غالية الثمن[٥].

وبقيت ظاهرة التسامح، هي الوحيدة بين أفراد المجتمع على مختلف طبقاته،ويتضح من خلال الفروق بين هذه الطبقات مما أدى إلى خلق الفتن،كما أصيب هذا المجتمع الأندلسي بمرض الوباء العام الذي يُسمّى:(الطاعون)،الذي أُصيبت به تلك الطبقات،وتعرض طائفة من الأعلام البارزين فيه على المستويين

---

(١)الصَّقَالبة، بِفَتْح الصَّاد المشدّدة الْمُهْملَة وفتح الْقَاف:هم وُلْد صَقْلب بن لنطي المشْهور بهذه النسبة جماعة كبيرة إلى الصقالبة، وترجع إليه جميع أجناس الصَّقَالبة.اللباب في تهذيب الأنساب،أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري،عز الدين بن الأثير(المتوفى: ٦٣٠هـ)، الناشر دار صادر– بيروت، باب الصاد والقاف:٢/ ٢٤٤.

(٢) ظهر الإسلام ، أحمد أمين: ٤٧٥/١.

(٣) غرناطة في ظل بني الأحمر(دراسة حضارية)، د. يوسف شكري فرحات: ٩٠.

(٤) تاريخ الأدب العربي(العصر العباسي الثاني):د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، القاهرة ، ط٢: ٦٠/٤.

(٥) ينظر: تاريخ الأدب العربي(العصر العباسي الثاني)،د. شوقي ضيف:٦٠ – ٦٢.

العلمي والاجتماعي، وقد كتب ابن الخطيب خلال هذه الإحداث كتابه في الطب(مقنعة السائل عن المرض الهائل)، وأدى هذا الوباء إلى رحيل شيخه أبو الحسن علي بن الجيّاب*.

وكذلك إلى جانب مرض الطاعون"عرف المجتمع الأندلسي فترة بني الأحمر أمراضاً أخرى كانت في أيامهم غير قابلة للشفاء، منها: مرض الجذام أو البرص الذي كان نادراً ومحصوراً،وكان المسؤولون يجمعون المصابين في أحياء معزولة كما فعل السلطان المريني أبو يعقوب يوسف الذي حصر المصابين في حي معزول من مدينة فاس سنة ٦٦٢ هـ -١٢٦٤"[١]، واحتواء المجتمع المريني جُمْهُوراً من القادِمين من الأندلس،ومن هؤلاء الأندلسيين مجموعتان:"الأولى مجموعة الأندلسيين المشتركين في الجيش المريني، وكانوا من الجند النشابة لحملة الأقواس بصفة خاصة، ولمهاراتهم في الرماية، ومن أشهر قادة هذا المركب من الأندلسيين إبراهيم البطورجي، أمّا المجموعة الثانية فهي طبقة العلماء الذين من الأندلس إلى المغرب الأقصى بعد ضياع بلادهم، باحتلال الأسبان لها، وهؤلاء كان لهم دورهم في الحياة الدينية والثقافية في الدولة المرينية"[٢]، وتميزت الحياة الاجتماعية في المجتمع الأندلسي،"بالفهم الصحيح للمسؤولية الاقتصادية وتقدير الكسب والتدبير في موازنة الدخل والخرج"[٣].

ومن مظاهر الحياة الاجتماعية في الأندلس، الأعياد والاحتفالات،إذ تتجلّى روابط المودة وروح الانسجام بين الناس،ومن هذه الاحتفالات التي تجلّت في رحلات ابن الخطيب، رحلته خطرة الطيف التي ذكر فيها مشهد خروج أبي الحجاج سلطان

---

*هو علي بن محمد بن سلمان الأنصاري وهو من مشايخ لسان الدين ، ينظر: نفح الطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني ، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت ،١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م :٥/٤٣٤.

(١) غرناطة في ظل بني الأحمر(دراسة حضارية): ١١٤.

(٢) تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني(٦١٠هـ-٨٦٩هـ)، محمد عيسى الحريري، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت ، ط١: ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م ، ط٢ : ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م : ٣١٧ .

(٣) تاريخ الأدب الأندلسي، إحسان عباس، المكتبة الأندلسية، دار الثقافة، بيروت - لبنان، ط٢ ، ١٩٦: ٢٤.

غرناطة[١].

- الحياة الفكرية والثقافية :

لقد ازدهرت الحياة الفكرية والثقافية ازدهاراً كبيراً في العصر الأندلسي، ونمت شجرة الحياة الأدبية، وإنّ المراكز الفكرية كانت محصورة داخل التجمعات السكنية الكبرى، في المدن الرئيسية كغرناطة ومالقة والمرية وغيرها الكثير من المدن، وكثرت دوائر العلماء والأدباء بصورة واضحة، وذلك بسبب إقبال الناس على قبول العلم من جهة، وبسبب التشجيع المستمر من قبل السلاطين الوزراء وكبار رجال الدولة في الدولتين من جهة أخرى، فقد بلغَ "من هؤلاء الأعلام الذين نبغوا في هذه المرحلة للدلالة على ما بلغته الحياة الفكرية في أشكالها المتعددة من خصوبة"[٢]، ومنهم الوزير ابن الحكيم(٦٦٠هـ- ٧٠٨هـ)[٣]، وأبو زكريا ابن خلدون(٧٣٣هـ - ٧٨٠)[٤] ، وغيرهم من الإعلام .

- **الحياة الفكرية**

وقد أُسند سلاطين بني مرين بدءاً من انطلاق الحياة الفكرية في عهدهم آنذاك بدعائم عديدة منها: أن سلاطين بني مرين لم ينظموا دولتهم ولم يتقيدوا على أساس أفكار دينية، بل على اختلاف أفكارهم ومستوياتهم ، وكذلك كان المرينيون يسمحون بتدريس آراء وأفكار وثقافة الموحدين في مدارسهم[٥]،وفي القرن الثامن الهجري برزت نخبة كبيرة سواء من أعلام أو مصنفين أو شعراء أو كتاب في الآداب أو الفنون، وكان الأندلسيون يمتلكون من الخبرات الواسعة في مجالهم الموروث، وفي

---

(١) ينظر :الحياة الاجتماعية في الأندلس والمغرب كما تُصوّرها رحلات لسان الدين بن الخطيب ،نوال عبد الرحمن الشوابكة ، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية ، المجلد ٨ ، العدد ٣، ٢٠١٥ : ٤٢٥- ٤٢٦ .

(٢) سلطة المثقفين الاقتراب والاغتراب (قراءة في سيرة لسان الدين بن الخطيب، وتجربته السياسية) ، د. محمد فات حزغل، منشورات وزارة الثقافة . الهيئة العامة السورية للكتاب ٢٠٠٦ :١٥.

(٣) ينظر: تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني : ٣٣٧.

(٤) التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً:عبد الرحمن بن خلدون، دار الكتاب اللبناني للنشر،١٩٧٩ :٩ .

(٥)ينظر: تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني (٦١٠ هـ - ٨٦٩ هـ) محمد عيسى الحريري، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط١: ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م، ط٢ : ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م :٣٣٧.

خبراتهم هذه فإنّهم قد أناروا شموع هذا العصر فكراً وثقافةً[١].

وكان الفضل الأكبر في الحياة الفكرية في الأندلس إلى العرب الفاتحين، في حين كان هناك سببين في ازدهار العلم في فترة ملوك الطوائف منها، نضوج النواة الأولى التي وضعها الأمويون في عهد الطوائف، أما السبب الآخر هو إنّ تقسيم الدولة جعل الأمراء يتسابقون على تزخرفِ أمارتهم بالعلمِ والأدب، كما حدث عند تقسيم الدولة العباسية في المشرق إلى: فاطمية، طولونية، وكذلك الحمدانية وغيرها[٢] .

وننوّه إلى أنّ الحركة الفكرية بالأندلس تحاول أن تعمل على ربط ماضيها بحاضرها على الرغم من اضطرابها، وكان ذلك في النصف الأول من القرن السابع الهجري، عندها بدأت الأندلس حياتها الجديدة بالاستقرار[٣] .

- **الحياة الثقافية**

شاع الأندلسيون بحب الثقافة والإدْراك وتَعْظيم العلماء ورفع مكانتهم،ولذلك ازْدَاد العلماء في الأندلس وكثرت مؤلفاتهم،وقدمت الأندلس للثقافة العربية مَشَاهِير في مُتَنَوّع العلوم والفنون.

وهنالك عوامل تساعد على ازدهار الثقافة العربية، وهي محفوظات وكتب في مكتبة الحُكم، التي بيعت بأقل الأثمان، مما أدى ذلك إلى إقبال الناس على اقتنائها وشرائها وقراءتها في الكثير من المدن الأندلسية، بعد أن كانت فقط في مكتبات قرطبة [٤]، أي أن هذه الكتب التي كانت محكمة في مكتبات محددة في قرطبة لم يأتِ الناس لشرائها إلا أنْ بيعت بأقلّ الإثمان .

كما أن للعلم له دور كبير في الازدهار عند أهل الأندلس، وكانت الطريقة المتبعة

---

(١) ينظر :أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن، وهو كتاب نثير الجمان في شعر من نظميني واياه الزمان، لأبي الوليد إسماعيل بن الأحمر(المتوفى: ٨٠٧هـ)،حققه وقدم له :محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، بيروت،ط٢ ، ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م،مقدمة المحقق : ٥.

(٢) ينظر: ظهر الإسلام، أحمد أمين : ١/ ٥٠١.

(٣) ينظر: نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، محمد عبد الله عنان،العصر الرابع من كتاب دولة الإسلام في الأندلس،القاهرة،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٣، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م: ٤٦٠.

(٤) ينظر: الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف، ألبير حبيب مُطلق، المكتبة العصرية،بيروت،١٩٦٧، ٢٦٤.

لإيصال العلم هي السماع والحفظ وكذلك العرض، بل كان له الأثر في رفع مستوى التعليم الثقافي للطلبة آنذاك، وهذه العناية التي أولاها الأندلسيون من حيث القراءة والكتابة، ثم اللغة والحساب والنحو من خلال هذه الدراسة ينتقل الطلاب إلى دراسة المنطق وعلوم الشريعة، لاسيما الدراسة الدينية الذي يتعمقون فيها الطلبة بهدف فهم الكتب الأخرى[1]،أي أن الثقافة العربية كانت متنوعة لدى العلماء الأندلسيين وهي تدور بين الموضوعات الدينية واللغوية والأدبية، وكانوا يؤلّفون في اللغة والنحو، والأدب، والحديث، وعلوم الدين ،والطب، والرياضيات، والتاريخ وغيرها من العلوم .

هكذا كان التمهيد لعصر لسان الدين بن الخطيب، والذي يميزه عن غيره من العصور الأخرى بذلك التنوع في البيئة السياسية والاجتماعية والفكرية والثقافية التي ألقت بظِلالها وأثرها في اتجاه الأسلوب الكتابي وتنوع اتجاهاته الفنية لدى أرباب الكتابة الفنية ومنهم كاتبنا ابن الخطيب،وبعد أن مَهّدْنا لذلك آنفاً، سننتقل بعد ذلك في مباحث الفصل الأول إلى طرق باب الحديث عن حياة ابن الخطيب وسيرته وثقافته الأدبية، ومؤلفاته وآثاره، ومن ضمنها كتابه (ريحانة الكُتّاب ونُجعة المُنتاب) وهو موضوع دراستنا، الذي اشتمل على ألوان من الفنون النثرية، وهذا المصنف يمثل حلقة وصل مهمة فيما وصلت إليه أساليب الكتابة الأدبية، وسنتناول أبرز فنون الكتاب وسمات التشكيل الفني لها في الفصول اللاحقة.

([1]) ينظر: الحياة الثقافية في الأندلس خلال القرنين (٧-٩ هـ / ١٣ -١٥ م)،زكري لامعة ، دورية كان التاريخية ، العدد الثامن عشر ، ديسمبر ٢٠١٢: ٤٨.

الفصل الأول

حياة لسان الدين بن الخطيب

المبحث الأول: سيرة لسان الدين بن الخطيب

- اسمه ونسبه وكُنيته
- نشأته وأسرته وأخباره
- شيوخه وتلامذته
- مقتله

المبحث الثاني : ثقافته الأدبية واهم آثاره

- الثقافة الأدبية للسان الدين بن الخطيب ودورها في عصره وآراء الأدباء والنقّاد فيه
- أهم مؤلفاته وآثاره
- كتاب (ريحانة الكُتّاب ونُجعة المُنتاب)

المبحث الأول: سيرة لسان الدين بن الخطيب

- اسمه ونسبه وكُنيته
- نشأته وأسرته وأخباره
- شيوخه وتلامذته
- مقتله

- اسمهُ ونسبه وكُنيته:

هو أبو عبد الله محمد بن سعيد بن أحمد بن علي الفقيه الخطيب السَّلَمَاني، الغرناطي،(٧١٣ هـ / ١٣١٣م – ٧٧٦ هـ / ١٣٧٥م)، والسَّلَمَاني نسبة إلى (سلمان)، وهو حيّ من (مراد) من عرب اليمن القحطانيين، ثم انتقل إلى الشام، وبعدها إلى الأندلس،وهو قرطبي الأصل، يُكنّى أبا عبد الله ولقبَ أيضاً بلسان الدينِ ، وهو من الألقاب المشرّفة ، وكذلك لَقّب أبن الخطيب بذي الوزارتين ، يعود السبب في ذلك لجمْعهِ بين مهنتين، الوزارة والكتابة، أي السيف والقلم، وكان يعرف بذي العمرين لكثرة انشغاله بتدبير الحكم في النهار، وكذلك بالتصنيف في الليل، وأما لقب الخطيب كان نسبة إلى سعيد جده الأعلى، الذي كان خطيباً في مدينةِ لَوْشَةَ، وكان عالماً وَرِعاً[١].

ونجد في مستهل ترجمة لسان الدين بن الخطيب ، لقب لسان الدين وهو من الألقاب المشرقية ، وكان هذا اللقب يغلب عليه ، وخاصة في المغرب، ولكن لم يُعرف متى أطلق عليه هذا اللقب وتحت أي ظرف ، وقد اسْتَوْطَنَ بنو سلمان أولا في مدينة قرطبة، ويتضح إن قرطبة كانت منزل قبائل الشام القادمة، وهذا كان منذ

---

(١) ينظر كل من :

روضة التعريف بالحب الشريف : لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق وتعليق وتقديم عبد القادر أحمد عطا ، دار الفكر العربي للطبع والنشر :١٨. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: إسماعيل باشا البغدادي ، طبع بعناية وكالة المعرف الجليلة في مطبعتها البهية ، ١٩٥٥، أعادت طبعه بالأوفست ، مكتبة الإسلامية والجعفري ، تبريزي ، بطهران ، ط٣، ١٣٨٧هـ – ١٩٥٧م: ٢/ ١٦٧. لسان الدين بن الخطيب في آثار الدارسين ، دراسة وبيبليوجرافية : حسن الوراكلي، سلسلة المعتمد بن عباد للتاريخ الأندلسي ومصادره ، منشورات عكاظ : ١١. ومعجم البلدان : شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ، دار صادر، بيروت ،١٣٩٧هـ – ١٩٧٧ م : ٥/ ٢٦. واللمحة البدرية في الدولة النصرية :٢ . نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب : أحمد بن محمد المقري التلمساني، حققه الدكتور إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م ٥/ ٧٥ . تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات الأندلس، شوقي ضيف ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٩م: ٥ /٤١٧ . الدر الكامنة في أعيان المائة الثامِنة : أحمد بن علي بن محمد بن علي بن أحمد الشهير بابن حجر العسقلاني المتوفى(٨٥٢) ،دار المعارف العثمانية للنشر ، ١٣٤٩: ٣/ ٤٦٩. أزهار الرياض في أخبار عياض: أحمد بن محمد المقري التلمساني شهاب الدين، أعيد طبع هذا الكتاب تحت إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية حكومة دولة الإمارات العربية المتحدة: ١/ ١٨٦.

بداية الفتح، والواضح أن بني سلمان كانوا ينتسبون إلى الحزب المعارض لأمير الأندلس بن هشام[١] .

وكان لسان الدين بن الخطيب من أعظم الشخصيات التي برزت في الأندلس في القرن الثامن الهجري،وكان ابن الخطيب متعدد النواحي في عبقريته ومنجزه الإبداعي النقدي، وقد كان طبيباً وفيلسوفاً ومؤرخاً بارعاً، وكاتباً وشاعراً مميزاً،وكذلك كان وزيراً سياسياً محنّكاً، أي كان معروفاً أكثر من ميزة واحدة، وكان ابن الخطيب في أعظم تفكيره وأصالته، وروعة بيانه، أَجْمَلُ ما تكلمت عنه الأندلس العظمى، بلغ القمة في الكثير من الجوانب التي برع فيها، حيث جمعت كل هذه الصفات في شخصية ابن الخطيب، وكانت مملكة غرناطة تلك الأندلس الصغيرة، فهي أضيق من إن تحمل مثل هذه الشخصيات العبقرية، وقد يصل إلى الذروة، سواء في المغرب أو الأندلس[٢] .

وكانت ولادته في مدينة لَوْشَة(*)عام ثلاثة عشر وسبعمائة من الخامس والعشرين من شهر رجب، من أبرز الشخصيات التي تشكلت بها صفحات التراث الإسلامي الأندلس والمغرب:" وله مكانة خطيرة في عصره من حيث: السياسية، والفكرية، والتاريخية، وكذلك آثار كثيرة متعددة الاختصاصات، وأنها شكَّلت وجعلت آثاره للبحوث والدراسات"[٣] .

وبعد هذا نجد أنه لم يَكنْ في مدينة لَوْشَة من الآثار الإسلامية سوى القلعة، ويوجد في باطنها بقايا بناءٍ قديم، وعلى ألسنة بعض المؤرخيَّن المعاصريَّن، أي أنّها كانت(مسجداً)، وهي عبارة عن صفين يوجد فيها ثلاثة عقود، ولا يوجد عليها أي كتابة أو نقش، ويُطلق على هذا المكان بالجُبّ، إذ يرى هؤلاء المؤرخون أنها تقع

---

(١) ينظر : الإحاطة في أخبار غرناطة : لسان الدين بن الخطيب ط٢: ١٨/١- ١٩.

(٢) ينظر :المصدر نفسه :١/ ١٧ -١٨.

* لَوْشَة : المدينة التي تقع غربي البيرة قبل قرطبة بالأندلس، وتقع على نهر سَنْجَل نهر في غرناطة ، يكون البعد بينها وبين قرطبة عشرون فرسخاً وعشرة فراسخ بين غرناطة ، ينظر: معجم البلدان ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ،دار صادر – بيروت ، ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م : ٥/ ٢٦ .

(٣) مفهوم الشعر وبواعثه في ديوان لسان الدين بن الخطيب : فاروق أسليم ، مجلة جامعة دمشق ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد ٢٣ ،العدد الثاني، سوريا، ٢٠٠٧ م :٥٢ .

على مقربة من القصبة وأعلى المَسَد القديم، وكان من المعروف أن موقع المَسَد الجامع في وسط المدينة[1]،فضلاً عن الظروف السياسيَّة، والعلميَّة، والتاريخيَّة، والفكريَّة التي مرَّ بها لسان الدين بن الخطيب وفرّت له الفرصة في الحَركة نحو مدينة غرناطة وبلاد المغرب الأقصى[2].

أما عن حياة والدهُ، إذ كانت ولادته بغرناطة عام(٦٧٢هـ – ١٣٠٢م)، وترعرع بها وتقرّب من قصر السلطان، وهو من أكابر العلماء والخاصة، ثمّ ترك غرناطة وانتقل إلى (لوشة) ؛وفي مدينة لوشة كانت ولادة ابنه لسان الدّين بن الخطيب، ولمّا رجع والده إلى غرناطة ،والتحق بخدمة السلطان أبي الوليد إسماعيل بن فرج النّصري ملك غرناطة[*]،عاد معهُ لسان الدّين بن الخطيب، فنشأ بها، ودرس على يدِّ عدد من العلماء، فدرس اللغة والشّريعة والفقه والأدب والفلسفة على جماعة من أقطاب العصر مثل أبي عبد الله بن الفخّار الإلبيري حيث كان شيخ النُحاة، وأبي القاسم محمّد بن علي الحسينيّ السّبتيّ، وفقيه المغرب الكبير أبي عبد الله بنمرزوق ، وأبي البركات بن الحاج، وأبي الحسن علي بن الجياب، وكذلك حكيم العصر الشيخ يحيى بن هذيل[3] .

وقد كان والد لسان الدين بن الخطيب يتَحَمَّلُ مَسْؤولِيَّات عدة في خدمة قصر السلطان ورعايته ، أما يكون في الإشراف على مخازن الطعام، أو يخدم في ديوان

---

(1) ينظر: الإشارة إلى أدب الوزارة، لسان الدين بن الخطيب، دراسة وتحقيق، د. محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية للنشر ،جميع الحقوق محفوظة للناشر ط١، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م :١٢.

(2)ينظر: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس، أحمد مختار العبادي، مقدمة الناشر:٥.

* إسماعيل بن فرج النّصري: هو يوسف بن إسماعيل بن فرج، أبو الحجاج الأنصاري الخزرجى النصري (٧٥٥هـ – ١٣٥٤م)، هو سابع ملوك بني نصر، في الأندلس. وقد بويع في غرناطة إثناء مقتل أخيه محمد نهاية عام (٧٣٣هـ) . وفي صباه يغلب عليه الكثير من الصمت والسكون، فلم يمارس شيئا من إجراءات الدولة إلا بعد أن توفرت له الخبرة والممارسة، وبدأ أغلب الحروب بنفسه، والذي يكنى أبا الوليد هو الذي أحتال على أخيه وتهجم عليه على ملكه . ينظر : الأعلام ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان:٨/ ٢١٧. وينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة : لسان الدين بن الخطيب ، ط١ ، طبع بمصر ١٣١٩ هـ لصاحبها إسماعيل حافظ : ١/ ٢٣٧

(3) ينظر: معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار : لسان الدين بن الخطيب السلماني (٧١٣– ٧٧٦ هـ) ،تحقيق ودراسة الدكتور محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية للنشر، القاهرة، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢م :١٢ –١٣.

الإنشاء مع رئيسه ابن الجياب، وكان من أشد الكتّاب في النثر والنظم ، وقد ظلّ السلطان في منصبه إلى إن قُتِل في معركة طريف مع ابنه الأكبر وكان ذلك في عام (٧٤١هـ)، وقد تأثر لسان الدين بن الخطيب بمقتل السلطان، الذي عاش أبوه في كنفه ورعايته، وكان في مقتبل عمره، فأشرفَ إشرافاً مباشراً على تنشئته الأدبية، وبعدها تَسَلَّمَ أمانة السر، لرئيسه ابن الجيّاب[١] .

وعن وفاة والده يُذكر أنّه توفيّ في معركة طريف[*] المشهورة، والتي استشهد فيها الكثير من الأكابر في هذه المعركة، وكان سبب هذه المعركة أن أبا الحسن بن عثمان المريني(أمير المسلمين)، رسمَ الجهاد ونصرهم على الأعداء، ولكن انتهت بهزيمة جيوش المسلمين من جيوش النصارى، وأدت بذلك إلى سقوط الأندلس في عام (٧٤١هـ)، وكان آنذاك عمر ابنه لسان الدين يتعدى الثامنة والعشرين عاماً في ذلك العام فالتحق بديوان الكتّاب أو ديوان الإنشاء ؛ وكانت هذه الوظيفة يحتلها والدهُ في ديوان الإنشاء، مستشيراً بذلك الرئيس الوزير بالقصر السلطاني أستاذه الكاتب والشاعر ابن الجيّاب[٢].

ويُذكر أنّه عندما فقد في الواقعة الكبرى في معركة طريف ، وذلك في يوم الاثنين في عام (٧٤١هـ) ، رثاه بقصيدة أولها :

سِهامُ المنايا لا تطيشُ ولا تُخْطي ... وللدهر كفٌّ تستردُّ الذي تُعطي
وإنّا وإنْ كنّا على ثَبَجِ الدُّنا ... فلابدَّ يوماً أن نحلَّ على الشطّ
تساوى على ورد الردى كلُّ واردٍ ... فلم يغن ربُّ السيفِ عن ربةِ القُرطِ

---

(١)ينظر: لسان الدين بن الخطيب حياته وتراثه الفكري ، للمؤلف محمد عبدالله عنان ، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط١ ، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م: ٣٤ – ٣٥.

* معركة طريف تسمى أيضاً معركة ريو سالادو هي معركة حدثت في الأندلس في (٣٠ من أكتوبر ١٣٤٠هـ) (جمادى الأولى سنة ٧٤١ هـ) ، حدثت بين جيوش المسلمين حيث تولى السلطان أبي الحجاج يوسف بن أبي الوليد القيادة بنفسهِ ، والجيش المريني بقيادة السلطان أبو الحسن ملك المغرب. ينظر: نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين: محمد عبد الله عنان:١٢٧ . وكذلك ينظر: نفح الطيب، للمقري:١٤/٥ .

(٢) ينظر : المغرب والأندلس : مصطفى الشكعة ، دار الكتب الإسلامية للنشر ، دار الكتاب المصري ، ودار الكتاب اللبناني القاهرة ،بيروت ، ط١، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م : ٣١١ . ينظر : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني:١٤/٥.

وسِيّان ذلُّ الفقرِ أو عزَّةُ الغنى ومن أسرع السيرَ الحثيث ومن يبطي [١]

وأيضاً رثاه أبـو زكـريا بن هذيل بقصيدة يقول فيها[٢] :

إذا أنا لم أرثِ الصديقَ فما عذري إذا قلتُ أبياتاً حساناً من الشعرِ

ولو كان شعري لم يكن غيرَ نُدبةٍ أجريتُ دمعي لليراع عن الحبرِ

لما كنتُ أقضي حقَّ صحبته التي توخَيْتُها عَوْناً على نُوَبِ الدَّهرِ

رمانيَ عبدُ اللهِ يومَ وداعـهِ بداهِيـةٍ دهياء قاصمة الظَّهْرِ

ومما سبق فجع ابن الخطيب بأخيه أيضاً وهو في الثامنة والعشرين من عمره ، ورثا أخاه رثاءً حاراً في أغلب قصائده منها ما جاء في أولها :

خَطبٌ ألَمَّ فأذهب الأخَ والأبا رغماً لأنفٍ شاء ذلك أو أبى

قدرٌ جرى في الخلق لا يجدُ أمرؤٌ عما به جرتِ المقادرُ مَهربا

إما جزعْـتُ له فَـعُذرٌ بَيـنٌ قضتِ الدواهي أن تُحلَّ له الحبا[٣]

لقد تضـافرت الإحداث من بعد ذلك ، فعندما مات ابن الجيّاب عام ٧٤٩هـ، بمرض(الطاعون) وتم اختيار أبن الخطيب رئيساً لديوان الكُتّاب، وذلك من قبل أبا الحجاج يوسف سُلطان غرناطة[٤]، نجد أن لسان الدين بن الخطيب قد ترأس الوزارة، وكانـت لـه مكانـة مميـزة عنـد السلطان أبـي الحجـاج حتـى وفاتـه، وبسبب مهاراتـه وذكائه قد فوض إليه أغلب أدارة شؤون الدولة ، حتى وصله إلى مرتبة الوزارة[٥].

ومن بين الأحداث الأخرى وفاة السلطان يوسف بن إسماعيل سنة (٧٥٥هـ) وتولى السلطة من بعده ابنهِ السلطان محمد الغني بالله الذي قرّب لسان الدين بن الخطيب وكلّفه للوصاية على الأمراء ، ولا تكاد بلاط الملوك تخلو ساحاتهم من الانقلاب، حيث قام بالانقلاب بين أبناء السلطان(يوسف) إسماعيل ضد أخيه محمّد وحينها يتدخل أبن سالم (سلطان المغرب)حتى يتمكن من إنقاذ الوزير لسان الدين

---

(١) ينظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، للمقري : ٥/١٧-١٨.

(٢) المصدر نفسه :٥/١٨.

(٣) ينظر: المصر نفسه : ٥/ ١٢.

(٤) ينظر: في الأدب الأندلسي : محمد رضوان الداية ، ٣٦٨

(٥) ينظر : الأندلس (التاريخ والحضارة والمحنة) دراسة شاملة ، محمد عبدة حتامله ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ، طباعة مطابع الدستور التجارية ،عمان – الأردن ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م: ٥٧٩

بن الخطيب، وذلك من خلال عبور السلطان محمّد الغني بالله ووزيره ابن الخطيب إلى شاطئ المغرب، فيحتفل السلطان احتفالاً عظيماً[١]، وانشد لسان الدين بن الخطيب قصيدة احتفالا مع سلطانه بمناسبة عبورهما إلى شاطئ المغرب، حيث يقول فيها :

قصدناك يا خيرَ الملوك على النوى لتنصفنا مما جنى عبدك الدهر
كففنا بـــك الأيـــام عن غـلواتـهـا وقـد رأبنا منها التعسف والكبر
وعذنا بذاك المجد فـانصرم الردى ولـذنـا بـذاك الـعـزم فـانـهـزم الشر
ولـما أتـينـا الـبـحـر يـرهـب موجه ذكرنا نداك الغمر فاحتقر البحر[٢].

وكان لسان الدين بن الخطيب يتمتع بمكانة مميزةً لدى سلطانه، فهو يتأثّر به ويؤثر فيه ،إذ أطلق عليه لقب ذي الوزارتين أي القلم والسيف، وكذلك بسبب انشغاله ليلاً ونهاراً في التصنيف وتدبير المملكة، وأطلق عليه وصف(ذي العمرين)،إذ تمكن ابن الخطيب أن يؤلف ستين كتاباً وهو وزير[٣]، ثم استوزره السلطان يوسف بن إسماعيل، ومن استورزه من بعد ذلك ولده الغني بالله(محمد الخامس) وذلك لثقافته الأدبية والعلمية والإنسانية، وفي عام (٧٦٠ هـ) التجأ ابن الخطيب مع السلطان أبي الحجاج إلى سلطان المغرب(أبي سالم المريني)، وألقى ابن الخطيب قصيدة يطلب فيها نصرة سلطانه أبي الحجاج، وتأثر بها سامعوه ، مطلعها:

سلا هلْ لدَيْها من مُخَبّرَةٍ ذِكْرُ وهلْ أعشبَ الوادي ونمّ بهِ الزّهْرُ[٤]

ولعل الثورة الكبيرة التي حدثت في مملكة غرناطة، وذلك في شهر رمضان من العام (٧٦٠ هـ – ١٣٥٩م) ، والتي خسر فيها الغنيّ بالله عرشه، وسبب ذلك إنّ الأمير إسماعيل قد اعتُقل حينها في أبراج قلعة الحمراء، وهناك أعداء يعملون

---

(١) ينظر: مناهج التأليف عند العلماء العرب (قسم الأدب)، مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين للتأليف والنشر والترجمة ، بيروت – لبنان، ط٦، نيسان / ابريل١٩٩١ :٦٧٩.

(٢) ينظر: ابن جزي ومنهجهُ في التفسير، دراسة مسهبة عن الإمام الأندلسي الشهيد ابن جزي، علي محمد الزبيري ، دار القلم ، دمشق، ط١ ، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م :١/ ٢٠٦ .

(٣) ينظر : الأندلس (التاريخ والحضارة والمحنة) دراسة شاملة ، محمد عبدة حتامله: ٥٨٤.

(٤) جاء في نهاية القصيدة: ولكنّنا نأتي بِما نسْتَطيعُهُ ومَنْ بذَلَ المَجْهودَ حُقّ لهُ العُذْرُ. ينظر: ابن جزي ومنهجهُ في التفسير، دراسة مسهبة عن الإمام الأندلسي الشهيد ابن جزي،علي محمد الزبيري:١/ ٢٠٦

على إسقاط السلطان الغني بالله، وفي مقدمة هؤلاء الأعداء صهره محمّد بن إسماعيل بن فرج، وكذلك والدته المقيمة في القصر، فهي تؤيد مشاريعه، وقد أتخذ الأعداء فرصة من ذهاب السلطان إلى شمال قلعة الحمراء ، وابتعاده عن القصر الملك ، واقْتَحموا القلعة الحمراء، وقتلوا الحاجب رضوان بين أهله وولده ، وكان ذلك في(٢٨ رمضان عام ٧٦٠ هـ)، وبعد مقتله نادوا إلى إسماعيل اخو السلطان، ليصبح ملكا بدلاً عنه، ففرّ محمد بن إسماعيل بن فرج إلى شمال شرقي غرناطة عند شعوره بعبث المقاومة، واعتصم بها، وفي الحال أَرْسَلَ الغني بالله إلى السلطان أبي سالم من أجل القدوم عليه، فاستجاب رغبته بالقبول، ووجد لسان الدين نفسه بين ليلة وضحاها مسلوب مكانةٌ ومنزلته، فطَمَحَ إلى مصانعة السلطان الجديد؛ ليبقى في الوزارة ، لكن بعد فترة قليلة من الزمن قبض عليه بتحريض خصومه ، وكان لسان الدين يقيم بقصره الذي يقع في شرقي غرناطة ، ثم أفرج عن السلطان وذهب إلى المغرب فوصل إلى فاس في عام (٧٦١هـ) من شهر محرم ، وبعدها غادر إلى مدينة سلا فثبت بها ما يقارب عامين[١].

وفي عام(٧٦٢هـ – ١٣٦١م)وقَعَ انقلاب في مدينة غرناطة، وفي هذا الانقلاب قُتل فيه السلطان إسماعيل، ومن خلاله انطَلَقَ السلطان الغني بالله إلى الأندلس ومعه لسان الدين بن الخطيب، ثم ذهب إلى مملكة غرناطة واحْتَلَّها عام (٧٦٣هـ – ١٣٦٢م) ، وبعدها كتب السلطان الغني بالله مِيثَاق إلى ابن الخطيب يطلب منه الرجوع، وابن الخطيب خَضَعَ لطلبه ورجع إلى مملكة غرناطة، ووصل إلى غرناطة. وفضلاً عن ذلك فقد تَوَلَّى منصبه كوزير في العام ذاته، واِسْتَمَرَّ في منصبه ما يقارب عشر سنوات، وفي هذه المدة ظهر الحقد ضد لسان الدين بن الخطيب، ثم اتهموه بالخروج على الشريعة الإسلامية، وكذلك اتهم بالزندقة، ومن الذين اتهموه بالزندقة وقاموا بإحراق مؤلفاته وكتبه هما:القاضي

---

(١) ينظر: لسان الدين بن الخطيب حياته وتراثه الفكري، محمد عبدالله عنان: ٥٠ . وكذلك ينظر : الوفيات، لأبي العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب، الشهير بابن قنفذ القسنطيني، معجم زمني صحابي وإعلام المحدثين والفقهاء والمؤلفين من سنة ١١ – ٨٠٧ هـ ، تحقيق عادل نويهض، دار الأفاق الجديدة – بيروت، ط٤، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م : ٣٧١.

أبو الحسن النباهي[*]، وأبو عبد الله بن زَمْرَك[*]، وقد ذكروا كلمات مخالفة للدين الإسلامي ونسبوها ظلماً وبهتاناً إلى لسان الدين بن الخطيب على أنه هو من كتبها في كتبه[١] .

وعلى أثر هذه التهم ترك لسان الدين بن الخطيب الأندلس وذهب إلى غرناطة، ولكن خصومه دبروا حيلة لاغتياله؛ وبسبب الكلمات التي ذكروها خصومه حكم عليه القاضي أبو الحسن النباهي بالزندقة .

والمتأمل في عام(٧٦٣هـ) يجد أنّ السلطان الخامس الغني بالله استطاع استرجاع ملكه عندما رجع إلى مدينة غرناطة، وبقى لسان الدين بن الخطيب بالمغرب مع أهل السلطان وأولاده، ثم اتبعه إلى مدينة غرناطة، إذ رجع السلطان إلى منصبه في الوزارة، ورجع إليه نفوذه كما كان، وعندما شعر بسعي حاسديه لدى سلطانه الغني بالله للوشاية به، وأيضاً شعر إن مكانته كادت إن تنهار ،إذ لجأ إلى أن يبعث كتاباً إلى كاتب عبد العزيز بن علي(سلطان المغرب)،في الارتحال إليه،وسرعان ما استجاب السلطان الطلب، ورحبَّ به اشدَّ الترحيب لمكانته وريادته العلميَّة والأدبيّة، فترك لسان الدين بن الخطيب الأندلس بصمت،وبعدها غادر جبل طارق إلى تلمسان، وأرسل السلطان مبعوثين من طرفه؛ ليستقبل أهله وأولاده[٢] .

---

* أبو الحسن النباهي : الفقيه ، والكاتب علي بن عبد الله بن محمد بن الحسن الجذامي، المشهور بالقاضي النُبَاهي ، من أهل مالقة، يكنى أبا الحسن، من بيت علم وقضاة ، وهو من رحال الدولة النصرية ، ولد بمالقة،ورحل إلى غرناطة، ثم تولي القضاء في اغلب مدن مملكة غرناطة ، ثم أصبح كاتبا بالديوان.ينظر: نثير الجمان ، أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن ،أبي الوليد إسماعيل بن الأحمر(٨٠٧هـ) : ١٧٠ ، وينظر : ابن جزي ومنهجهُ في التفسير، دراسة مسهبة عن الإمام الأندلسي الشهيد ابن جزي، علي محمد الزبيري:١/ ٢٠٧ –٢٠٨.

* ابن زَمْرَك : أبو عبد الله محمد بن يوسف ، المشهور بابن زمرك، من كبار الشعراء والكتّاب في الأندلس ،وكان وزيرًا لبني الأحمر،ولد بحي البيازين بغرناطة عام (٧٣٣هـ) لأسرة هاجر إليها من شرقي الأندلس . ينظر: تاريخ الأدب العربي ، عصر الدول والإمارات،الأندلس : للمؤلف شوقي ضيف ، دار المعارف ، النيل – القاهرة : ٢٠٧ . ينظر: أزهار الرياض في أخبار عياض :شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني ،ضبطه وحققه وعلق عليه ، مصطفى السقا ، إبراهيم الابياري ، عبد الحفيظ شلبي ، مطبعة فضالة ، المعهد الخليفي للأبحاث المغربية ، بيت المغرب :٧/٢

(١) ينظر: لسان الدين بن الخطيب حياته ومنهجه في كتابه نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، أ.م.د. ساجد مخلف حسن ، قسم التاريخ – كلية التربية ، جامعة سامراء ، مجلة جامعة تكريت للعلوم ، المجلد ٢٠ ، العدد ١ ، كانون الثاني ٢٠١٢ : ٢٤٦

(٢) ينظر : دراسات في الأدب الأندلسي ، د. السيد محمد الديب : ١٧٩- ١٨٠ .

وتتجلّى حدّة الأزمة عند لسان الدين بن الخطيب في أن يترك غرناطة عام(٧٧٣هـ)، ويستقرّ في المغرب، ولم يعلم الأمير بمغادرة ابن الخطيب، وأصبح من المهاجرين السياسيين(كما في المصطلح الشائع لهذا اليوم)، ولكن الظروف قد تغيرت في المغرب، وأدى ذلك إلى إنهاء حياة ابن الخطيب، وكان ذلك بسبب وفد قد جاء من مملكة غرناطة إلى مدينة فاس لتصفية قضية ابن الخطيب ، وكان ذلك عام ٧٧٦ هـ[١] .

ومن الملاحظ أنه في العام (٦٧٧هـ – ١٢٧٨م) استطاع السلطان أبو يوسف إن يعبر مع قواته إلى الأندلس مجدداً، وتوغل في أراضي النصارى حتى تمكن من احواز اشبيلية ، ثم رجع إلى المغرب، وثم أرسل ابنه الأمير أبا يعقوب إلى الأندلس ، وفي شرقي المضيق حدثت معركة شديدة بين الأمير وبين أسطول المرابط، وأدت هذه المعركة إلى هزيمة النصارى، وتمكن المسلمون من اخذ سفنهم، وكان ذلك عام ٦٧٨هـ، وتمكن السلطان أبو يوسف في عام ٦٨١هـ من العبور إلى الأندلس مرة أخرى، استجابة لملك قشتالة المخلوع الفرنسو العاشر، وإعانته على استرجاع عرشه، وفي عام ٦٨٤ هـ حدثت غزوات عنيفة في أراضي قشتالة من قبل السلطان في احواز اشبيلية ، وعندما شاهد ملك قشتالة عنف هذه الغزوات ، طلب الصلح، لكن اشترط عليه السلطان مسالمة جميع المسلمين[٢] .

وتوفى السلطان أبو يوسف عام(٦٨٥هـ–١٢٨٥م)من شهر المحرم، فورثه ابنه أبو عبد الله، الذي لقب بالمخلوع، وفي زمنه حدث خصام بين مملكة غرناطة وبني مرين، واضطر ابن الأحمر إلى مُنَازَعَة بني مرين، وسيطرت قواته على أملاك بني مرين، ودخل القائد الشيخ ابن أبي العلاء المريني إلى أرض دولة المغرب، وطمع القائد بعرش المغرب، ولكن السلطان أبا يعقوب المريني نهض لطرده، وأمر بتكثيف الجيش إلى الشمال وأدى إلى حصر القائد ابن أبي العلاء في سبتة، ولكنه لم يستمر طويلا بسبب مرضه وبسببه توفي عام (٨٠٧هـ) وورثه ابنه السلطان أبو الربيع ، وأيضاً حدثت معركة شديدة بين

---

(١) ينظر: في الأدب الأندلسي ، محمد رضوان الداية ، الفصل الرابع (تراجم أندلسية): ٣٦٨.

(٢) ينظر :لابن الخطيب : ٢٠ .

السلطان أبو الربيع والقائد ابن أبي العلاء المريني، ولكن أدت إلى هزيمة أبو العلاء، ثم رجع السلطان أبو الربيع إلى مدينة فاس، واستقر على عرشه[١].

نشأته وأسرته وأخباره :

ساهمت عوامل كثيرة في تكوين ثقافة لسان الدين بن الخطيب،إذ نشأ بغرناطة التي انتقلت إليها عائلته،إذ استقر فيها منذ شبابه، وكانت غرناطة في قلب ابن الخطيب بمنزلة الأُم، ويسميها (بنت الحضرة)، أي بنت غرناطة، وقد يسميها في بعض الأحيان(فتية غرناطة)، وتلقى بها دراسته، وتتلمذ على يد شيوخها، الذين كانوا من العلماء والأدباء الأكابر، وتعلم منهم الكثير منها: القرآن، والتفسير، والفقه على يد شيخ النحاة في زمانه(أبي عبد الله الألبيري)، والشعر، والأدب، والرواية على يد الرئيس(ابن الجياب)، ودرس الطب، والعلوم الفلسفية على يد الفيلسوف الشيخ (يحيى بن هذيل)، وكذلك برز في الشعر والترسّل،إذ كانت غرناطة أكبر مركز للدراسات الإسلامية[٢]،إذ كانت غرناطة عاصمة القطر، فهي مدينة كبيرة مشرقة، واسعة العمران، تقع في وادي واسع انْتَشَرَ من المنحدر الشمالي الغربي لجبال شَلير، ونهر شنيل وفرعه يكون على من الجنوب، وأما نهر حَدره الذي يحد غرناطة من الوسط، هكذا كانت مدينة غرناطة كما رأينا أنها تطل على جميع سكانها من هضبتها العالية[٣] .

ولقد ذكر شهاب الدين نشأة لسان الدين بن الخطيب في كتابه وقال أنه :" نشأ لسان الدين على حاله حسنة سالكا سنن أسلافه، فقرأ القرآن على المكتب الأستاذ الصالح أبي عبد الله بن عبد الولي العوّاد، تكتباً، ثم حفظاً، ثم تجويداً ؛ ثم قرأ القرآن على أستاذ الجماعة أبي الحسن القيجاطي، وقرأ على الخطيب بن جزي؛ ولازم قراءة العربية والفقه والتفسير على الشيخ الإمام أبي عبد الله بن الفخار البيري شيخ النحويين لعهده؛ وتأدب بالرئيس أبي الحسن بن الجياب؛ وروى عن كثير من

---

(١) ينظر : معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، لابن الخطيب: ٢٢.

(٢) ينظر، الإحاطة في أخبار غرناطة : لسان الدين بن الخطيب :١/ ٢١. وينظر: معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، لابن الخطيب:١٣.

(٣) ينظر ، لسان الدين بن الخطيب حياته وتراثه الفكري ، للمؤلف محمد عبدالله عنان : ١٥ -١٦.

الأعيان، كالمحدّث شمس الدين بن جابر، وأخيه أبي جعفر، والقاضي أبي البركات بن الحاج، الشيخ أبي محمد بن سلمون، والأستاذ اللغوي أبي عبد الله بن بيبش،وأخذ الطب والتعاليم وصناعة التعديل عن الإمام أبي زكريا يحيى بن هُذيل"[١] .

وتلقى لسان الدين بن الخطيب تعليمه في ديوان الإنشاء على الكاتب الكبير والشاعر الذي تأثر به أستاذه ابن الجياب، أعلى أساليب النظم والكتابة في هذا العصر، وبرزت براعته في كتابة الرسائل السلطانية، وكان السلطان يترأس رياسة ديوان الإنشاء بزمن أبا الوليد إسماعيل واستمر على هذا الحال في عهد السلطانين أبي عبد الله محمد، وأخيه أبي الحجاج يوسف[٢].

وأنشأ لسان الدين بن الخطيب في بداية حياته العلمية واشتهر بها ما يسمى بالقصائد البليغة، وأشاد بها إلى مدح أحد ملوك بني الأحمر السلطان يوسف الملقب بـــ(أبي الحجاج) وجعله من ضمن سلسلة كتابه[٣].

ولقد عُرف لسان الدين بن الخطيب بأنه: " شاعر، وشّاح، مترسل، كاتب، وهو يمثّل على أكثر من وجه، حركة الأدب في القرن الثامن الهجري، وإن لم يكن المقدَّم على شعراء عصره ولكن غزارة نتاجه ووفرة شعره تجعل الحديث عنه صالحاً للمقايسة والمقابلة "[٤]. ونستنتج من هذا إن ابن الخطيب كان من أبرز شعراء عصره، حيث يتسم بكثافة ووفرة نتاجه الشعري، بل يمتلك من الثقافة الواسعة بالشعر .

وهناك جانبان يسطران على شعر ابن الخطيب منها: الأول الشعر الذاتي، مثل التأمل، والغزل، وأيضاً وصف الطبيعة الوجدانية الأندلسية؛ أي ما حول مدينة غرناطة، والتعبير عن مظاهر الحياة وهذا من وجهة نظر الشاعر، أما الجانب الأخر: استعمال الشعر وسيلة للاتصال بالعالم وخصوصاً شعر المديح، والشعر الذي أَنْشَأَه تصويراً للأحداث العامة، كغيره من شعراء العصر[٥].

---

(١) أزهار الرياض في أخبار عياض، أحمد بن محمد المقري التلمساني شهاب الدين: ١/ ١٨٧_ ١٨٩ .

(٢) ينظر : لسان الدين بن الخطيب حياته وتراثه الفكري ، للمؤلف محمد عبدا لله عنان : ٣٥.

(٣) ينظر: الوسيط في الأدب العربي وتاريخه، أحمد السكندري، ومصطفى عناني، ط١٨ ، دار المعارف بمصر، ١٩١٦: ٢٩٩.

(٤) في الأدب الأندلسي : محمد رضوان الداية ، الفصل الرابع (تراجم أندلسية) : ٣٦٩.

(٥) ينظر ، في الأدب الأندلسي : محمد رضوان الداية ، الفصل الرابع (تراجم أندلسية): ٣٦٩ – ٣٧٠ .

ولقد عُرفت أسرة ابن الخطيب بالأصالة والعلم والجاه، وكان أبوه من أكابر العلماء[١]، وكان منزلهم يدعى ببني الوزير، وأيضاً سموا ببني الخطيب، أما سبب هذه التسمية عائد إلى زمن جده سعيد، وهو أول من اسْتَقَرَّ من الأسرة مدينة لوشة، فقد غلب عليه لقب الخطيب، وأورثه لبنيه، وقد تأثر لسان الدين منذ صباه بالسلطان ابن الجيَّاب، وعندما مات أبوه وفرت الفرصة المرجوة، وأصبح لسان الدين مكان أبيه بعد ما دُعي للخدمة، وكان لسان الدين في الثامنة والعشرين من عمره[٢].

شيوخه وتلامذته :

كان لسان الدين بن الخطيب قد درس وأخذ عن الأساتذة من العلماء الأكابر والأجلاء، سواء من أهل الأندلس أو المغرب، فنوناً وعلوماً عدّة، فكانوا المحطة الأكثر أثراً في تكوين نتاجه وثقافته، وقد تحدث هو عن بعضهم في بعض كتبه كالكتيبة الكامنة، وكتاب الإحاطة، ومن شيوخه المشهورين ما يأتي:

١-الشيخ أبو الحسن القيجاطي: (٦٥٠ هـ -١٢٥٢م / ٧٣٠هـ -١٣٢٩م):

هو الأستاذ أبو الحسن علي بن عمر بن عبد الله الكناني، القيجاطي، وهو من مشايخ ابن الخطيب، ولد عام(٦٥٠هـ)، وتوفي بغرناطة في(٢٧ ذي الحجة عام ٧٣٠هـ)، ورد على غرناطة مستدعّي سنه(712هـ -١٣١٢م)، وتَرَبَّعَ بمسجدها الأعظم، وتَعَلَّمَ فنوناً من العلم من قراءات، وفقه، وأدب، وناب عن بعض القضاة بالحضرة، وكان فريد عصره، عظيم السيرة والسلوك، جَلِيل النفع[٣]، وهو" أول أستاذ قرأت عليه القرآن والعربية والأدب إثر قراءة المكتب، وله تآليف في فنون وشعر ونثر "[٤] .

٢-الشيخ ابن ليون : (٧٤٠ هـ / ١٣٣٩ م):

أبو عثمان سعيد ابن الصالح بن ليون، التجي، وهو أحد أشياخ ابن الخطيب(رحمه الله)، وقد ذكر في كتاب الكتيبة الكامنة أنه :" مولع بالتأليف والتدوين، متميز

---

(١) ينظر: معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، لابن الخطيب: ١٢.

(٢) ينظر : الإحاطة في أخبار غرناطة، لابن الخطيب:١/٢٠ – ٢٢.

(٣) ينظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، للمقري :٥/ ٥٠٧.

(٤) المصدر نفسه : ٥/ ٥٠٧ و ٥٠٩ .

بذلك في بلده تمييز أو أخر الأسماء بالتنوين، يلخص ويوجز، وكان متعلقاً بأهداب الفنون أشد التعلق، فهو بعيدا عن الجمع والاستكثار، لا يزال عاكفاً عن دنانها، مقصوداً من الغني والمفلس خفيف الروح، وشعره يلم بالإجادة أحياناً"[١]، وهو من أكابر الأئمة الذين أفرغوا طاقتهم في الزهد والنصح والعلم ، وله كتب كثيرة، منها:" بهجة المجالس لابن عبد البر، وكتاب في الهندسة، وفي الفلاحة، وكتاب كمال الحافظ وجمال اللافظ في الحكم والمواعظ والوصايا، وكان مولعاً في اختصار الكتيبة "[٢] ، وغيرها من الكتب، وهؤلاء أشهر من أخذ عنهم ابن الخطيب، سواء من أهل المغرب أم الأندلس أو المغرب ، فنون عدّة ومعارف مختلفة .

٣-أبو بكر بن شبرين (٦٧٤هـ – ١٢٧٥م/ ٧٤٧هـ- ١٣٤٦م):

هو من مشايخ ابن الخطيب، القاضي الأديب، الكاتب أبو بكر محمد بن أحمد بن شيرين [٣]، وقال عنه تلميذه ابن الخطيب في كتابه الكتيبة الكامنة:" خاتمة المحسنين في هذه السنين، وبقية الفصحاء السنين، وسلك من الوقار طريقة لا ترى فيها عوجا ولا أمتا،... ، قدم على الأندلس وذو الوزارتين ابن الحكيم يدبر ملكها، والقى له قبل الوسادة ماله، وصرت عن جواهره البحور"[٤]وله قصائد عدة ذكرها لسان الدين في كتابه هذا .

٤-أبو الحسن بن الجياب الأنصاري (٦٧٣ -١٢٧٤م / ٧٤٩ هـ - ١٣٤٨ م)

هو أبو الحسن علي بن محمد بن سليمان بن حسن الأنصاري، الغرناطي، الملقب بابن الجيَّاب، الفقيه، كاتب، وشاعر، وأديب أندلسي غرناطي أنصاري، من ابرز كُتّاب الدولة النصرية، وهو من مشايخ لسان الدين بن الخطيب، وكان مولده بغرناطة(٦٧٣ – ٧٤٩ هـ / ١٢٧٤ – ١٣٤٩ م)، وبها بَلَغَ وشَبَّ، وأخذ العلم عن أساتذته الأكابر، توفي بمرض الطاعون في غرناطة، صاحب القلم الأعلى ، تاركاً

---

(١) الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة : لسان الدين بن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة – بيروت ، طبعة ١٩٨٣: ٨٦ .

(٢)نفح الطيب، للمقري : ٥٤٣/٥ .

(٣) ينظر :المصدر نفسه:٥/ ٥٤١.

(٤) الكتيبة الكامنة ، لابن الخطيب: ١٦٦ -١٦٧

العديد من الشعر والنثر، كان رحمه الله مؤلف كتاب الإحاطة، مشاركا في علم التصوف، عارفا بالقراءات، والحديث، فهو شيخ طلبة الأندلس[١].

ولقد قال عنه لسان الدين بن الخطيب في كتابه الكتيبة الكامنة :" صدر الصدور الجلة، وعلم من أعلام الملة، شيخ الكتابة وبنيها،... ، اعتَمدته الرئاسة فناء بها على حبل ذراعه،...، واستعانت به السياسة فدارت أفلاكها... "[٢].

٥-الحَضْرمي : (٦٧٦- ١٢٧٧م / ٧٤٩ هـ -١٣٤٨م)

هو الكاتب، والبارع أبو محمد بن عبد المُهَيمن الحَضْرمي، السَّطّي، هو إمام مذهب مالك، وإمام المحدثين والنُّحاة، وشيخ الفُتيا بالمغرب، وهو من مشايخ ابن الخطيب، صاحب القلم الأعلى، وأيضاً كاتب السلطان أبي الحسن المريني، وصاحب علامته التي توضع تحت مُدَوَّناته، وله خزانة من التصانيف عدة منها: في الحديث، والعربية، والأدب، وفنون أخرى كثيرة[٣].

ولقد جاء في كتاب نفح الطيب ذكر الشيخ الحَضْرمي إنه:" نشأ بسبتة بلده بين علم يقيده، وفخر يُشيِّدُه، ورياسة يتفيأ وارِفها، واستأثرت به الدول على عادتها، فاستقلت بالسياسة ذراع، وكان عين الملك التي بها يبصر،...، وله في الآداب الراية الخافقة والعقود المتناسقة، وشعره منحط عن محلة من العلم والشهرة "[٤] .

٦-أبو زكريا يحيى بن هذَيْل : (ت ٧٥٣ هـ / ١٣٥٢م):

هو من أشياخ ابن الخطيب (رحمه الله) ، الشاعر البليغ العلامة أبو زكريا يحيى بن هذيل التجيبي، ينسب إلى سلفه أملاك ومعاهد هذيل،أرجدوني الأصل، وهذا يدل

---

(١) ينظر : نثير الجمان في شعر من نظميني وإياه الزمان، لابن الأحمر: ١٢٥ . وكذلك ينظر : الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، لابن فرحون المالكي (٧٩٩هـ) ، تحقيق وتعليق الدكتور محمد الأحمدي أبو النور ، مدرس الحديث بجامعة الأزهر ، دار التراث للطبع والنشر ، القاهرة : ١١١.

(٢)الكتيبة الكامنة : لابن الخطيب : ١٨٣.

(٣) ينظر: التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً ، عبد الرحمن بن خلدون :٢٠ -٢١ .

(٤) نفح الطيب ، للمقري:٥/ ٤٦٥ .

على أصالة، وله مؤلفات عدة منها:الاختبار والاعتبار في الطب،والتذكرة في الطب، وتوفي في(٢٥ ذي القعدة عام ٧٥٣هـ)،ودفن بمُحاذاة زوجه كما عهد(رحمه الله)[١].

وكان لسان الدين بن الخطيب يحترم أستاذه ابن هذيل احتراماً شديدا، ولما ابتلى ابن هذيل بمرضه احضره تلميذه لسان الدين بن الخطيب إلى بيته وقام برعايته إلى أنوفاه الأجل ، على عكس ما وجده من تلاميذه الآخرين،وقبل إن يتوفى أوصى ابن الخطيب، وأملى عليه أبياتاً جاء فيها :

إذا متُّ فَادفُني حِذاءَ حَلِيلَتي يخالطُ عظمي فيِ التُرابِ عِظامَها
ولا تدفِنَنّي في البقيع فإنّني أُريد إلى يوم الحساب التزامِها
ورتبْ ضريحي كيفما شاءه الهوى تكونُ أمامي أو أكونُ أمامها
لعلَّ إله الّعرشِ يجبرُ صَدْعَتى فَيُعْلي مَقامي عِندهُ ومقامها[٢]

٧-شمس الدين بن جابر الوادى آشي(٦٧٣-٧٧٩هـ / ١٢٧٤- ١٣٧٨م):

هو من أشياخ ابن الخطيب، الإمام الرحال، أبو عبد الله محمد بن جابر الوادي آشي، شمس الدين، أصله من أندلس، ونسب إلى مدينة آش الأندلسية، ونسبت عائلته إلى قبيلة قيس، ولا نعلم شيئاً عن مكانته العلمية الثقافية والسياسية، إذ لم نجد في مؤلفات التاريخ والتراجم العربية ذكرا لهم[٣] " رحل ابن جابر الوادي آشي إلى المشرق لأداء الحج من معين العلوم بالحواضر الإسلامية في المغرب، ودخل مصر والشام وجزيرة العرب ... "[٤].

ويعود ابن جابر إلى تونس ليجدها ذَلِيلةٌ للسلطان أبي الحسن المريني، وعام (٧٤٨هـ) وفد السلطان المريني على تونس بجيوشه وكثير من علماء المغرب، فيعقد فيها اجتماع علمي جامعاً بين التونسيين والمغربيين ، مثيرا بينهم المناظرات،

---

(١) ينظر: نفح الطيب ، للمقري، ٤٨٧ ، ٤٩٧. وكذلك الإحاطة، لابن الخطيب : ٣٩٠/٤ -٣٩١ .

(٢) نفح الطيب : ٤٩٧/٥.

(٣) ينظر : برنامج ابن جابر الوادي آشي ، للمؤلف شمس الدين محمد بن جابر الوادي آشي التونسي ت(٧٤٩هـ)، تقديم وتحقيق الدكتور محمد الحبيب الهيلة، أستاذ بالكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين بتونس، المملكة العربية السعودية ، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، من التراث الإسلامي، الكتاب الحادي عشر ،تونس ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، مقدمة التحقيق : ٥ . وكذلك نفح الطيب ، للمقري : ٢٠٠.

(٤) برنامج ابن جابر الوادي آشي : للمؤلف شمس الدين محمد بن جابر الوادي آشي التونسي : ١٢.

والمناقشات الحادة، كمشاركة ابن جابر الوادي آشي التي جمعت العديد من العلماء، وكذلك جمعت تلاميذه كابن عرفة منذ زمن شبابه[١] .

٨-أبو عبد الله بن علي الفخار:(ت ٧٥٤هـ / ١٣٥٣ م) :

وهو من أشياخ ابن الخطيب، المحقق العلامة الكبير الأستاذ أبو عبد الله بن علي الفخار، البيري، وجرى ذكره في الكتيبة الكامنة إنه :" رجل سليم الباطن، نافع التعليم، متلقاة دعوى معرفته بالتسليم، لما استباح العدو حماه، وغير اسمه ومسماه، ...، وكان له شعر شهير الشأن في الاخشيشان، تنزر منه الإجادة نزور الأبيض بين الحبشان "[٢] .

٩-ابن جُزيّ الغرناطي:(٧١٥ – ٧٥٨هـ / ١٣١٥ – ١٣٥٦م) :

من أشياخ ابن الخطيب ، الفقيه، الكاتب ، الأديب ، محمد بن محمد بن جُزيّ الكلبي ، الغرناطي، يكنى أبا عبد الله، غرناطي الأصل، ومن ذوى الأصالة والنزاهة، وشارك في العديد من العلوم والفنون المختلفة، توفي بفاس عام(٧٥٨هـ)[٣] .

ولم تكن ثقافة ابن جُزيّ(رحمه الله) مقتصرة على العلوم الإسلامية ، بل كان صدى واسع في الأدب، والشعر، وكثير من المعارف والفنون الأخرى[٤]. ومن مصنفاته الذي أفاد منها ابن الخطيب(تاريخ غرناطة)، وقد اطلع على أجزاء منه وأفاد منها[٥] .

وقد جرى ذكره في (الكتيبة الكامنة): " شمس في سماء البلاغة بازغة، وحجة على بقاء هذه الفطرة العربية بالمغربية بالغة، ونعمة على هذه الطريقة سابغة، ونادرة

---

(١) ينظر : برنامج ابن جابر الوادي آشي : للمؤلف شمس الدين محمد بن جابر الوادي آشي التونسي: ١٤ .

(٢)الكتيبة الكامنة: لابن الخطيب :٧٠ – ٧١.

(٣) ينظر : نثير الجمان ، لابن الأحمر : ٢٨٣ .

(٤) ينظر : تقريب الوصول إلى علم الأصول : للمؤلف أبي القاسم محمد بن أحمد بن جُزيّ الكلبي الغرناطي المالكي (٦٩٣– ٧٤١هـ) ، تحقيق وتعليق الدكتور محمد المختار بن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ، المدينة المنورة ، ط٢، ١٤٢٣هـ –٢٠٠٢م: ٢٧.

(٥) ينظر: ابن جَزيّ ومنهجه في التفسير، للمؤلف علي محمد الزبيري ،دراسة مسهبة عن ابن جُزيّ وتوضيح مفصل لمنهجه في تفسيره التسهيل لعلوم التنزيل ،دار القلم ، دمشق ، ط١، ١٤٠٧هـ –١٩٨٧م: ١/ ١٦٣.

فيها ونابغة،...، وكان من طبقة أبناء جنسه التي إليها المنتهى، وجنة الأدب التي يجد كلُّ مشتهٍ فيها ما اشتهى ، فمطولاته بحور ، وغرامياته ولدان وحور ..."[١] .

١٠- ابن يحيى الحسيني السّبتي (٦٩٧ – ٧٦٠ هـ / ١٢٩٧ – ١٣٥٨ م)

هو الشيخ الشريف، القاضي،الكاتب، أبو علي حسن بن ابي يحيى السبتي[٢]، قال عنه تلميذه لسان الدين:" بارق ينتمي الى راعده، لا تختلف منه المخيلة، ولا ينكر على الصدف الدر، أبوه الطود الأشم، والروض الذي له المجتلى والمشم ..."[٣].

١١- المَقّرِي (ت ٧٦١هـ / ١٣٥٩ م)

هو من أكابر شيوخ لسان الدين بن الخطيب، وهو القاضي، والفقيه، أبو عبد الله محمد، القرشي، التلْمسانيّ،المعروف بالمقري، وهو أحد قضاة الجامعة بحضرة مدينة فاس بزمن خلافة أبي عنان(رحمه الله)[٤] .

وأما تصانيفه ومؤلفاته فكثيرة منها: (كتاب القواعد) الذي اشتمل على ألف ومائتي قاعدة فقهية، ومنها(الطرف والتحف) الذي يعد في غاية الحسن والظرف، وكتاب(اختصار المحصل) لكن لم يكمله، وكتاب(عمل من طبَّ لمن حبَّ)وغيرها الكثير من الكتب[٥]، وأخذ المقري العلم بتلمسان عن أبي عبد الله السلوي، ثم لازم بعده الشيخ الابلي واستبحر في العلوم، ولما نقض السلطان أبو عنان بيعة أبيه ندبه لكتابة البيعة، فكتبها وقرأها على الناس في يوم مشهود،فلم يزل قاضيها بها حتى سخطه لبعض النزعة الملوكية فعزله، ولى الفقيه أبا عبد الله الفشتالي آخر ست وخمسين"[٦].

---

(١) الكتيبة الكامنة، لابن الخطيب: ٢٢٣.

(٢) ينظر: نفح الطيب، للمقري: ٥ / ٢٣٢.

(٣) الكتيبة الكامنة، لابن الخطيب :٣٠١ .

(٤) ينظر: تاريخ قضاة الأندلس ، للمؤلف الشيخ أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الاندلسي، وسماه كتاب المرقبة العليا ، نشر إ. ليفي بروفنسال، أستاذ اللغة والحضارة العربية بالسربون، مدير معهد الدراسات الإسلامية بجامعة باريس، دار الكاتب المصري، القاهرة ، ١٩٤٨: ١٦٩، وكذلك نفح الطيب، للمقري : ٢٠٣/٥.

(٥) ينظر: نفح الطيب ، للمقري : ٢٨٤ – ٢٨٥ .

(٦) نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج ، أحمد بابا التنبكتي : ٤٢٠ – ٤٢١ .

والشيخ المقْري هو جد الشيخ أحمد بن محمد، المقري، التلمساني، وقد أخص مساحة واسعة في كتابه المسمى:(نفح الطيب) تكلم فيها عن حياته وشعره كما صرح عنه شيوخه[١] .

١٢- القاضي ابن الحاج البلـّفيقى: (ت ٧٧١ هـ / ١٣٦٩م) :

هو من أشياخ ابن الخطيب، القاضي ابن الحاج البلـّفيقي، أبو البركات، السلمي، وهو من ابرز رجال عصره وكانت وفاته في المرية عام ٧٧٣[٢] ، المعروف بابن الحاج المري من ذوي الأنساب الطاهرة ، والبيوت الرفيعة الطاهرة، وكان ابن الحاج راوياً وأديبا بارعاً، وسيد أهل العلم، وكاتب في أساليب وآداب صحبة الملوك، وصدراً في مجلس القضاة،ويتقن قراءة التلاوة بإتقان مع خشوع وبكاء[٣].

لقد غادر ابن الحاج البلفيقي إلى بجاية ثم رجع إلى بلده فقعد بمجلس الإقراء من مالقة، وبعده غادر إلى فاس ثم رجع إلى الأندلس، وأخيراً رجع وأستقر ببلده المرية فاتخذ مسجدها الجامع مقراً له، إلى إن توفى عام(٧٧١ هـ / ١٣٦٩م)[٤].

وكان ابن الحاج البلفيقي:" معروف الوفاء لمن عرفه، لا يساكنه لمن عرفه، لا يساوقه الملق في رقعة ، يرسل النادرة ، ثم يتبعها الزفرة البادرة،...، وأما الخطابة فهو زيد الخيل إذا منبر إخراج ، ولموقف الفضل أسرج ..."[٥].

١٣- أبو عبد الله بن مرزوق (٧١٠-٧٨١ هـ/ ١٣١٠-١٣٧٩ م) :

هو محمد (الرابع) بن أحمد بن مرزوق التلمساني، وعرف الجد والرئيس، الخطيب، الأكبر، ولقد لقب (شمس الدين) وكان هذا لقبه من الألقاب المشرقية،ولد

---

(١) ينظر: نفح الطيب، للمقري: ٢٠٤ .

(٢) ينظر: الكتيبة الكامنه،لابن الخطيب:١٢٧.

(٣) ينظر: نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج، أحمد بابا التنبكتي : ٤٢٨ _ ٤٢٩.

(٤) ينظر: المناقب المرزوقية، لأبي عبد اله محمد بن مرزوق التلمساني ، (المتوفى:٧٨١هـ)، دراسة وتحقيق الأستاذة سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – المملكة المغربية، مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء ، ط١ ، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م : ١٤١.

(٥) الكتيبة الكامنة، لابن الخطيب: ١٢٨.

في تلمسان عام(٧١١هـ / ١٣١١م) ومات في القاهرة عام(٧٨١هـ / ١٣٧٩م)، وهو من مشايخ ابن الخطيب، ويكنى أبا عبد الله[١] .

وقال عنه المقّري في نفح الطيب:" هذا الرجل من طُرَف دهره ظرفاُ وخصوصية ولطافة،حسن اللقاء، مبذول البشر... مسخر الرقاع في سبيل الوساطة، مُنقاد للدعوة، عذب التلاوة متسع الرواية، مشارك في فنون من أصول وفروع وتفسير، يكتب ويشعر ويقيد ويؤلف..."[٢] .

استقر ابن مرزوق بالأندلس بعد إن كان مُسْتَقَرّ بتلمسان، وفي عام (٧٥٢) سجن بالمطبق مدة فأكرمه سلطانها،بعد خروجه من السجن أقيم بباب أبي عنان، وذلك بعد انتقاله إلى فاس في عام (٧٥٤)، ثم نكب مرة أخرى عام (٧٦٥) وعندما خلص فانتقل إلى الشرق، ثم رحل إلى تونس، فأكرم إكراماً شديداً،وتولى الخطابة بجامع السلطان ومجالسته، وأصبح يدرس الطلبة بأكبر المدارس، واستمر على وضعه إلى إن مات في عام (٧٨١)[٣] .

ومما خاطبه به لسان الدين ابن الخطيب في حقه، وتعظيماً لأستاذه وشيخه ابن مرزوق ما نصه: "سيدي الذي إليه انقطاعي وانحياشي، وملاذي ومَلْجئي الذي يَسّر خلاصي وسنَّي ... ومولى هذا الصنف العلمي ولا أُحاشي، كتبه صنيعُ نعمتكم الخالصة الحرة، ومسترَقّ فضلكم الذي تألقت منه في ليل الخطوب الغرة، وقد شدَّ إلى إبلاغ النفس عذرها في مباشرة تقبيل اليد التي لها اليد العظمى"[٤].

نلحظ من هذا النص أهمية ابن مرزوق عند تلميذه لسان الدين، الذي لم ينكر فضله، ولا يمكن التغاضي عنها، وهو دليل كبير على وفاء لسان الدين لإستاده ابن مرزوق .

---

(١) ينظر :المسند الصحيح الحسن في مآثرِ ومحاسن مولانا أبي الحسن ،للمؤلف محمد بن مرزوق التلمساني ، دراسة وتحقيق الدكتورة ماريا خيسوس بيغيرا ، الأستاذة في كلية الآداب بجامعة سرقسطا ، تقديم محمود بو عيّاد ، مدير المكتبة الوطنية الجزائرية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٤٠١ الجزائر ١٩٨١: ١٩.

(٢) نفح الطيب، للمقري : ٥/ ٣٩١.

(٣)ينظر ، الدر الكامنه ، لابن حجر العسقلاني : ٣/ ٣٦١ – ٣٦٢.

(٤) نفح الطيب ، للمقري: ٥/ ٤٠٥.

١٤- أبو سعيدالثعلبي الغرناطي (٧٠١هـ - ٧٨٢ هـ / ١٣٠١ - ١٣٨٠ م)

هو العلامة الكبير، فرج بن قاسم بن لب أبو سعيد الثعلبي، الغرناطي، يكنى أبا سعيد، ولادته عام (٧٠١هـ)، وهو شيخ الشيوخ في الأندلس، وأخذ الناس القراءات عنه،وأصبح معروف الذكر وكان صاحب الفتوى في العلوم في كل من الأندلس واغلب بلاد المغرب، وكانوا الجماعة يقفون عند ما يُشير إليه، وله فتاوى بين أيدي كثير من الناس في الحلال والحرام، فهو من أكابر العلماء بالمغرب[١] .

وانطلاقاً من هذا جرى ذكره في كتاب الإحاطة:"هو من أهل الخير والطهارة، والزَّكاء والديانة، وحسن الخلق، فأصبح حامل لواء التحصيل عليه دار الشورى، وإليه مرجع الفتوى، لقيامه على الفقه وغزارة علمه وحفظه، إلى المعرفة بالعربية واللغة، والقيام على القراءات، والتبريز في التفسير، وولى الخطابة بالمسجد الأعظم ...، وأقرأ بالمدرسة النصرية، معظماً عند الخاصة والعامة، قعد للتدريس ببلده على وفور المسجد،..."[٢] .

وتبعاً لذلك جرى ذكره السيوطي أيضاً في كتابه بغية الوعاة :" كان عارفا بالعربية واللغة ، قائماً على القراءات، مشاركاً في الفرائض والأدب، جيد الخط والنظم والنثر،...، وكان معظَّماً عند الخاصة والعامة "[٣] .

ولقد تغيرت صورة ابن لُب أبو سعيد الثعلبي لدى لسان الدين بن الخطيب، بين تأليف الإحاطة والكتيبة الكامنة ، فقد مدحه لسان الدين في الإحاطة:(هو من أهل الخير والطهارة ...)، ولكن ذمه في الكتيبة الكامنة [٤].

([١]) ينظر : غاية النهاية في طبقات القرّاء ، لإمام شمس الدين ابن الجزري الدمشقي الشافعي (المتوفى: ٨٣٣هـ) ،المحقق ج . برجسُتراسر ، دار الكتب العلمية ، أسسها محمد علي بيضون سنة ١٩٧١، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م ، باب الفاء: ٢/ ٨-٩ ، وكذلك نفح الطيب، للمقري: ٥١٣ - ٥١٤

([٢]) الإحاطة ، لابن الخطيب : ٤/ ٢٥٣- ٢٥٤

([٣]) بُغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط١ ، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م : ٢/ ٢٤٣.

([٤]) ينظر : الكتيبة الكامنة ، لابن الخطيب : ٦٧ .

وتوفى أبو سعيد بن لب في ليلة السابعة عشرة في يوم السبت من ذي الحجة عام (٧٨٢هـ)، وترك مصنفات عديدة منها: (شرح جُمَل الزجاجي) وكتاب(شرح تصريف التسهيل)، وغيرها[١] .

١٥- بن عطية الونشريسي*

هو من أشياخ ابن الخطيب، الفقيه الفاضل، المفتي، الأديب، الأستاذ أبو علي الحسن بن عطية الونشريسي، ولد عام(٧٢٤)، ولا نعلم شيئاً عن تاريخ وفاته، هو من الذين لقيهم ابن الخطيب بمكناسة، واهتم بعلم اللغة غيره من العلوم، ويقرض الشعر، وله قصيدة في الفرائض[٢] .

قال ابن الأحمر عنه: " هو الشيخ الفقيه، المفتي المدرس القاضي الفرضي الأديب، ...، وأخذ عن الفقيه المفتي الأديب الخطيب المعمر الراوية خاتمة المحدثين بالمغرب أبي البركات البلفيقي "[٣] .

تلاميذ ابن الخطيب :

لقد خرَّج ابن الخطيب خلقاً كثيرة من العلماء الأكابر، حتى أصبح من تلاميذه القضاة، والأدباء، والكُتّاب، حيث بلغ درجة التمييز في الفن والمعرفة، ولكن من الغرابة هناك من تلاميذه كانوا سبباً في اتهامه بالزندقة وتشويه سمعته، وثم اتهموه بالخروج على الشريعة الإسلامية، ورفعوا عليه دعوة، وبعد ذلك قتله، ومن ابرز هؤلاء:-

١-أبو عبد الله بن زَمْرَك (٧٣٣- ٧٩٦هـ / ١٣٣٢ – ١٣٩٣م)

هو أحد تلاميذ ابن الخطيب، الكاتب محمد بن يوسف الصريحي،المشهور بابن زَمْرَك[٤]، أبو عبد الله، وعاش في غرناطة بحي من أحيائها هو البيازين، للأسرة

---

(١) ينظر : نفح الطيب ، للمقري : ٥/ ٥١٣ -٥١٤.

* لم نعلم شيئاً عن وفاته ، ولم نجد شيئاً يتعلق بوفاته ، بحثت في أكثر المصادر المتعلقة الخاصة بذكر الوفيات .

(٢) ينظر، المصدر نفسه: ٥/ ٣٥٢ – ٣٥٣.

(٣) المصدر نفسه: ٥/ ٣٥٢.

(٤) ورد هذا اللقب في المراجع ، مرة بضم الراء وتسكين الميم وفتح الراء، ومرة أخرى بضم الزاي والراء، ومرة ثالثة بفتحهما ، وهذا الاختلاف قد يعود إلى إبهام هذا الاختلاف من قبل أصحاب المصادر الذين ترجموه. ابن زُمْرَك الغرناطي (٧٣٣ – ٧٩٦هـ / ١٣٣٣ -١٣٩٣م) سيرته وأدبه، للمؤلف أحمد سليم الحمصي ،مؤسسة الرسالة ،دار الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع- طرابلس- لبنان ، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م : ٨٣ -٨٤ .

هاجرت إليها من شرقي الأندلس[1]، وكان مولده في ١٤ من شوال عام (٧٣٣هـ)، وتوفى عام (٧٩٦هـ)، وهو حاد الذكاء، وكان مهتماً للعلم والمعرفة فأقامّ حلقات التدريس، وقد تردّد كثيراً على الشاعر ابن اللَّوْشِي حتى أصبح بارعاً في الأدب، وذلك بعد انقطاعه إلى ابن الخطيب[2]، ويقول ابن الأحمر عنه:" أنه نشأ ضئيلاً كالشهاب يتوقد، وحفظ القرآن الكريم، وأخذ يختلف إلى حلقات الشيوخ ينهل من معارفهم ومحاضراتهم، من شيوخه أبو سعيد بن لب في الفقه، وفي الحديث النبوي أبو البركات ابن الحاج ..."[3].

لقد جرى عنه الحديث في نفح الطيب:" هو صدر من صدور طلبة الأندلس وأفراد نجبائها، مختصر مقبول، عذب الفكاهة حلو المجالسة، حسن التوقيع...عظيم الانطباع شره المذاكرة، فطن بالمعارض حاضر الجواب، شعلة من شعل الذكاء تكاد تحوم جوانبه، .. وعانى الأدب وأعمل الرحلة في طلب العلم والازدياد، فترقى الكتابة عند ولد السلطان أمير المسلمين بالمغرب أبي سالم إبراهيم، وعرف في بابه بالإجادة ..."[4]. واتضح لنا أن ابن زَمْرَك أحد تلاميذ ابن الخطيب الذين برعوا في طلب العلم ،وكان جاد في الحصول أعلى مرتبة في العلم ،حيث بلغ درجة التمييز في الفن والمعرفة.

ولقد شرح لسان الدين في الكتيبة الكامنة معلقاً بعد أن مدحه في الإحاطة:" هذا الرجيّل والتصغير على أصله ، وإن لم يعب السهم صغر نصله، مخلوقٌ من مكيدة وحذر، مفطور اللسان على هذيان وهذر.. خبيث إن شكر، خدع ومكر، ودس في الصفو العكر...، وان رمى واقصد، فالله اعلم بما قصد...،فأنا المعتوب إذا صطنعته

---

(١) ينظر: نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج ، أحمد بابا التنبكتي: ٤٧٨ . وكذلك تاريخ الأدب العربي ، عصر الدول والإمارات،الأندلس ، لشوقي ضيف: ٢٠٧.

(٢) ينظر: ديوان ابن زمرك الأندلسي، للمؤلف محمد بن يوسف الصّريحي(٧٣٣ هـ بعد ٧٩٧هـ /١٣٣٣م بعد ١٣٩٥)، بالاعتماد على مخطوط فريد عنوانه(البقية والمدرك من شعر ابن زمرك)، تحقيق الدكتور محمد توفيق النّيفر، الأستاذ المحاضر بالجامعة التونسية، دار الغرب الإسلامي– بيروت: ٧– ٩.

(٣) تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات،الأندلس، د.شوقي ضيف: ٢٠٧.

(٤) نفح الطيب ، للمقري :٧/ ١٤٥ – ١٤٦.

وروجته، ولغيري ما أحوجته،...، وغاص بلجّها فاستخرج الدر الغريقة، ومحاضرته خميلة، والغدر جميلة، ينظم وينثر..."[1].

من خلال هذا النص اتضح لنا أن ابن زَمْرَك أحد تلاميذ ابن الخطيب قد أقبح وأتهم أستاذه ، لذا نرى ابن الخطيب يعاتب نفسه ويلومها على كلٌ ما عُمِل مع تلميذه من خير أو إحسان .

٢-ابن فَرْكون :

أحمد بن سليمان بن أحمد القرشي، المشهور بابن فركون، ويكنى أبا جعفر، ولد في ربيع الآخر من عام (٧٤٧هـ)، وقد مدحه ابن الخطيب في الإحاطة قال:" شعلة من شعل الذكاء والإدراك ، ومجموع خلال حميدة ،على الحداثة، طالب نبيل، مدرك، نجيب، بَذّ أقرانه كفاية، وسما إلى المراتب، فقرأ، وأعرب، ونظم الشعر،..."[2] .

في النص أعلاه تبين لنا أن لسان الدين بن الخطيب كان معجباً بتلميذه ابن فركون، ونلحظ انه قد أبلغ في مدحه، ولكن ابن فركون نسى مساعدة أستاذه ابن الخطيب وفضلهِ عليه وأنكره ،وشارك مع هؤلاء الذين شوهوا سمعة أستاذهم،حيث جعل ابن الخطيب يعود في تقويمه مرة أخرى وقال في الكتيبة: "جرو محقور، وفي جلده كلب عقور، ولسان ناقور، سمع المجد عنه موفور وشراره قَد حتُها شرور، أخرق نشأ من صلف ، ورمى من الوضاعة والدناءة بكلف، وفرد لا ينطبق وصف اللؤم إلا عليه ،وسفبه يقال عند ذكره كفاك الله شر من أحسنت اليه ، ..."[3].

ويقو ل ابن الخطيب بعد أن علمته وأحسنت إليه فأنكر المعروف قال:" فأصبح جروه ممرحاً بالمصيد ، فلما ظهر أيده، واستقام صيده، انصرف إليَّ كيدهُ، فلم الق شراً من لهثته المجلبة، وعضته الكلية، فأنكر المعروف، ونسي الظرف والمظروف، وأوسع البينات هدماً، وعض عرقوبي فأدمى ولم يدع وجه من وجوه العار..." [4].

([1]) الكتيبة الكامنة ، لابن الخطيب : ٢٨٢ – ٢٨٣.

([2]) الإحاطة ، لابن الخطيب ، ط٢ :١/٢٢٠ – ٢٢١.

([3]) الكتيبة ،لابن الخطيب : ٣٠٥.

([4]) المصدر نفسه : ٣٠٦.

في هذا النص أظهر ابن فركون أصله وأساء لأستاذه ابن الخطيب، ولم يفرق عن تلاميذ ابن الخطيب الذين شوهوا سمعته واتهموه بالزندقة .

٣-ابن المهنا:

وهو من تلاميذ ابن الخطيب ،الطبيب العالم شارح ألفية ابن سيناء ، الملقب بابن المهنا ، كما نقل عن لسان الدين كثيراً ، واعتمد عليه في أمور الطب ، وهو من الكتب المعروفة بالمغرب[١].

٤-أبو بكر بن جُزَيّ الكلبي :

وهو من تلاميذ ابن الخطيب، الأديب، الكاتب، العلامة ، أبو بكر بن جُزَيّ الكلبي، وكان بيت ابن جُزَيّ بيت كبير معروف بالمغرب والأندلس، وولده أبو القاسم بن جُزَيّ أحد شيوخ ابن الخطيب[٢].

٥-أبو عبد الله الشريشي :

وهو من تلاميذ ابن الخطيب، وتولى نقل الإحاطة من مبيضتها، وكذلك بتكليف ابن الخطيب له، لاشتغال لسان الدين بتدبير المملكة[٣].

٦-أبو محمد عطية المحاربي :

وهو من تلاميذ ابن الخطيب ، القاضي ، الكاتب أبو محمد عطية المحاربي ، بارع الخط ، كاتب الإنشاء بالباب السلطاني، انتقل إلى غرناطة بعد إن ولي الخطابة ببلده بالمسجد الأعظم ، وولد في عام (٧٠٩ هـ) بوادي آش وولي الخطابة والإمامة بها عام (٧٣٨ هـ) ، وبعدها ذهب للحضرة عام (٧٥٦ هـ) بآخر شهر رجب[٤] .

مقتله :

في الوقت الذي استولى السلطان أبو العباس وأستقل بسلطانه على البلد الجديد، والوزير محمد بن عثمان كان مُشْفِقاً علية، في حين كان كبير بني عسكر (الوزير سليمان بن داود) رديف له، وعندما ذهب أبو العباس من طنجة إلى ساحة البلد

---

(١) ينظر: نفح الطيب ، للمقري : ٧/ ٢٨١ -٢٨٢.

(٢) ينظر: المصدر نفسه :٧/ ٢٨٢.

(٣) ينظر: المصدر نفسه : ٧/ ٢٨٢.

(٤) ينظر :المصدر نفسه: ٧/ ٢٨٢ – ٢٨٥.

الجديد فرأى الوزير أبا بكر بن غازي، فهناك هزمهُ السلطان، وهرب منه أثناء الحصار، وخوفًا على نفسه من البلد الجديد فأخذ ابن الخطيب معه[١].

ولما استولى السلطان على البلد الجديد، مكث فيها أيامًا قليلة، ثم قرر الوزير سليمان بن داود القبض على السلطان، فقبضوا عليه ،وأدخلوه بالسجن ،ونقلوا الخبر إلى السلطان ابن الأحمر، وكانت هناك عداوة شديدة من قبل سليمان بن داود من بني عسكر لابن الخطيب، وعندما وصل الخبر بالقبض على لسان الدين إلى السلطان،أرسل كاتبه ووزيره أبو عبد الله بن زمرك إلى السلطان أبي العباس[٢] .

لقد جاء ابن الخطيب إلى مجلس الخاصة وأهل الشورى، والقى عليه أمام الملأ جُزْءاً من الكلمات التي وقعت له في كتابه، فوُبخ وامتحن بالعذاب وكل ذلك كان أمام الملأ، ثم رجع إلى السجن، وبعدها قرروا في قتله بموجب تلك الأدلة والمقالات الكاذبة المسجلة عليه،فدس عليه الوزير سليمان بن داود بعض من حاشيته بقتله، فطرقوا سجنه ليلاً ومعهم بعض من لفيف الخدم الذين جاءوا مع سفراء ابن الأحمر، وقتلوه خنقًا في محبسه، واخرجوا جثته في الغد،ودُفنت بالمقبرة الواقعة في باب المحروق، ثم أُخرجت جثته في اليوم التالي[٣].

وقد جمعت لجثة ابن الخطيب أعواد فوق قبره، واشتعلت حولها النار، فاحترق شعره، واسودّت البشرة ثم أعيد الى حفرته، وتركت لتثوى الثواء الأخير، وعجب الناس من هذه المأساة الشنعاء التي أتى بها الوزير سليمان بن داود، ووقعت هذه الواقعة الأليمة في ربيع الأول أو الثاني عام(٧٧٦هـ)، وكان عفا الله عنه فترة امتحانه بالسجن، وكان ابن الخطيب يتوقع مصيبة الموت، وكان يبكي نفسه، وكتب أثناء وجوده في السجن، حيث قال:

بَعُدنا وإن جاورتنا البيوت وجئنا بوعظ ونحن صُموتُ

---

(١) ينظر: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تاريخ ابن خلدون، أبو زيد ولي الدين الاشبيلي التونسي الشهير بابن خلدون(٧٣٢ – ٨٠٨) اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية: ٢٠١٦ – ٢٠١٧.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ؛ ٢٠١٧ . وينظر: نُخب تاريخية ، جامعة لإخبار المغرب الأقصى ، نشر إ . ليفي بُروفنسال ، أستاذ اللغة والحضارة العربية بجامعة باريس ، مطبوعات لاروز – باريس ، ١٩٤٨: ٧١.

(٣) ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة ، لسان الدين بن الخطيب ، حققه محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي بالقاهرة للنشر، ط١، ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م، جميع الحقوق محفوظة، القاهرة الشركة المصرية للطباعة والنشر، ٤/ ٦٣٥ – ٦٣٧ . ينظر : لسان الدين بن الخطيب حياته وتراثه الفكري ، محمد عبد الله عنان: ٣١٨ .

وأنفاسُنا سكَنَتْ دفعة كجهر الصلاة تلاه القنوتُ
وكنّا عِظاماً فصرنا عِظاما وكنا نَقُوت فها نحن قُوتُ
وكنا شُموس سماء العلا غرُبْن فناحت عليها البيوتُ
فكم جَدَّلت ذا الحُسام الظبا وذو البخت كم جدّلته البخوتُ
وكم سِبق للقبر في خرقه فتى مُلئت من كُساء التخوتُ
فقل للعدا ذهب ابن الخطيب وفات فمن ذا الذي لا يفوتُ
ومن كان يفرح منكم له فقل يفرح اليوم من لا يموتُ[١]

ومن خلال ذلك يمكن القول إن لسان الدين بن الخطيب من أعظم الشخصيات الذي تتميّز عن غيرها ممن عاشوا معه في العصر نفسه، أي في القرن الثامن الهجري،حيث كان كثير الانشغال ليلاً ونهاراً في تدبير حكم الدولة، وأنه كاتبٌ منوع وشاعرٌ مترسلٌ، وكان معروفاً أكثر من ميزة واحدة، وكان مثالاً مميزاً في عطائه السياسي والإداري، ويمثل الحركة الأدبية في عصره، حيث قال المستشرق جسبار ريميروا في وصف ابن الخطيب:" إن ابن الخطيب وزير مملكة غرناطة الأشهر، وهو شاعر وكاتب وضاء وافر الطرافة والرشاقة، وقد أستحق من العالم الإسلامي أن يلقب بلسان الدين"[٢]، وذكره المستشرق خوسيه ماريا كاسيارو في ترجمته قائلا :" إن ابن الخطيب السياسي والكاتب المنوع العظيم، هو آخر عملاق في الآداب الأسبانية الإسلامية، وقد استحق لقب لسان الدين..."[٣]، وأيضاً ذكره المستشرق سيمونيت:" بأمير الأدب الغرناطي "[٤] .

---

(١) ينظر: لسان الدين بن الخطيب حياته وتراثه الفكري، محمد عبد الله عنان: ٣١٨. وكذلك ينظر: العبر وديوان المبتدأ والخبر، لابن خلدون، ٢٠١٧ .

(٢)الإحاطة في أخبار غرناطة ، لابن الخطيب: ٤/ ٦٣٥ – ٦٣٧.

(٣) لسان الدين بن الخطيب حياته وتراثه الفكري، محمد عبد الله عنان: ٣١٨ .

(٤) المصدر نفسه :٣١٨.

المبحث الثاني

- **أهم مؤلفاته وآثاره**
- **كتاب (ريحانة الكُتّاب ونُجعة المُنتاب)**

- **أهم مؤلفاته وآثاره:**

تـرك لسـان الـدين بـن الخطيـب آثـاراً علميّـة متنوعـة متنوعّـة فـي شـتّى أصـناف العلوم، وقد أمضـى حياتـه فـي معانقة الكتب والمؤلفات العلمية؛ فمن مؤلفاته ما كان فـــي التـــأريخ، والادب، والطـــب، والـــرحلات، وكـــذلك فـــي الجغرافيـــة، والسياســـة، والموسـيقى، وغيرهـا الكثيـر مـن الفنـون والعلـوم، وقـد رصـدت كتـب التـراث القديمـة والحديثة آثارًا كثيرة لابن الخطيب تنوعت ما بين المطبوع، والمخطوط، والمفقود.

ومن هنا يتضـح لنـا أن مؤلفات لسان الدين بن الخطيب قد اشتهرت قديمًا، ولا زالت بعضها باقية إلى عصرِنا هذ، وقد أحصـى بعض المختصين لابن الخطيب ما يقارب الستين كتابًا[١]، وهذا ماجعله من أكثر كتّاب غرناطة عطاءً ومعرفة، وجعل المختصـين يقرنـون اسمه باسم ابن زيـدون فقيل عنـه:" كـان هذا المفكر البـارع أحد رجلـين عظيمـين شـغلا يومئـذ فـي المغـرب الإسـلامي، مركـز الصـدارة فـي التفكيـر والكتابة هما ابن خلدون وابن الخطيب، وقد درس ابن الخطيب اللغة والادب والطب والفلسفة، وبـرز فـي النثر والـنظم"[٢]، وقـال المقري فـي مؤلفاتـه: "اعلم أن تصـانيف لسان الدين التي علمت نحو الستين، وكلّها في غاية البراعة،بحيث إنه لم يأت أحد من أهل عصره بمثل ماجاء به، بل وكثير من غير أهل عصره رحمه الله تعالى"[٣]، سأذكر أبرز هذه المؤلفات والآثار العلمية للأديب لسان الدين بن الخطيب.

تعد حياة الكاتب لسان الدين أنموذجًا خاصًا في التجربة النقدية الإبداعية، حيث ذكر لنا بعض أسَماء بعض أسَماء مؤلفاته في الإحاطة، بعضها مطبوعٌ، وبعضها الآخر منشور مثل[٤]:

١-عائد الصلة الذي جعله ذيلاً لصلة ابن الزبير .

٢-طرفة العصر في دولة بني نصر .

٣-اللمحة البدرية في الدولة النصرية .

٤-نفاضة الجراب في علالة الاغتراب .

---

(١) ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة : ٣، ومعجم المؤلفين، عمر رضا كحالة:٢١٦/١٠.

(٢) قادة فتح الأندلس: ١٧٣/٢ .

(٣) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني(١٠٤١هـ -١٦٣١م)، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م: ٩٧/٧.

(٤)ينظر: الأحاطة في أخبار غرناطة، لابن الخطيب: ١/ ٥ -٦ . ودولة الإسلام في الاندلس، محمد عبدالله عنان المؤرخ المصري (المتوفى:١٤٠٦هـ)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م:٤٧٩/٥.

٥-الكتبية الكامنة من شعراء المائة الثامنة .

٦-التاج المحلّى في مساجلة القدح المعلّى .

٧-أعمال الأعلام .

٨-رقم الحُلل في نظم الدّول .

٩-الاكليل الزاهر فيمن فصل عند نظم الجواهر.

١٠- قطع الفلاة بأخبار الولاة .

١١- رِيحَانَةُ الْكُتَّابْ وَنُجْعَةُ المُنْتَاب .

١٢- الاكليل الزاهر فيمن فصل عند نظم الجواهر

١٣- روضة التعريف بالحب الشريف .

١٤- معيار الاختيار في ذكر أحوال المعاهد والدّيار .

١٥- جيش التوشيح .

تلك أهم مؤلفات لسان الدين بن الخطيب المتداولة والمعروفة، وبعضها الآخر في حكم المفقود لم نعرف عنها شيئاً، والبعض الآخر أحرقت معه[١]، وسوف نعرض شرحًا موجزًا لهذه المؤلفات.

لقد ألف ابن الخطيب مؤلفات عدّة في التأريخ، من أهم منابع معرفة تاريخ الاندلس في الحقبة التي عاشها؛ إذ يصوّر فيها الاحداث السياسية والاجتماعية وكذلك الاقتصادية التي يسودها العصر الذي عاصرهُ، وكان ذلك من عهد النبي محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)،وذكر في هذه الكتب(تاريخ المشرق والمغرب والأندلس)، فهي من أبرز مؤلفات ابن الخطيب قيمةً وأكثرها انتشارًا، إذ اتسمت هذه الكتب بالموسوعية مثل: (كتاب الإحاطة)، وبعضها الاخر جاء على شكل رسالة ومن أبرزها :

١-الإحاطة في أخبار غرناطة :

(١) ينظر : انبعاث الإسلام في الاندلس، علي بن محمد المنتصر بالله الكتاني(المتوفى:١٤٢هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ،ط١، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م: ٦٦.

يعد هذا الكتاب من أبرز مؤلّفات ابن الخطيب وأضخمها حجمًا واثرها مادةً، وهذا ما جعل الباحثين يرون أنه من أهمّ الكتب الأندلسية في التراجم والتأريخ، وقد ترجم في هذا الكتاب أغلب من نشأ وترعرع في غرناطة التي تعد احدى عواصم الأندلس، ويدل عنوان الكتاب على الهدف الذي رمى إليه لسان الدين من تأليفه للكتاب، والهدف منه هو محاولة عرض صورة كاملة عن كل ما يخص غرناطة[١] .

لم ينس ابن الخطيب أن يترجم نفسه في آخر الكتاب، ولكن ذكر سيرته موجزة، تناول فيها نسبه وكنيته ومولده ونشأته، ولخص فيه أخباره مع ملوك بني الأحمر[٢].

وقد نال كتاب (الإحاطة) رضا قارئيه، فجعله المقرّي* من أهم الكتب الّتي أنتشر خبرها في المشرق والمغرب، وكان أعجاب المشارقة بالكتاب أشد أعجابًا من أهل المغاربة ؛ بل أكثر لهجًا بذكره[٣] .

ويعدّ كتاب (الإحاطة في أخبار غرناطة) من أهم المؤلفات الأندلسية التي عنيت بالتراجم والتاريخ، وتُعدُّ طبعة(شركة طبع الكتب العربية) في مصر عام(١٣١٩هـ) من أقدم طبعات الكتاب، وقد أصدرته دار المعارف بتحقيق محمد عبد الله عنان في العدد(١٧) من سلسلة ذخائر العرب، بينما تُعدُّ طبعة مكتبة الخانجي في القاهرة بتحقيق محمد عبد الله عنان أيضًا، من أقدم طبعات كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة، وقد جاء بأربعة أجزاء، وأصدرت هذه المطبعة لهذا الكتاب أربع طبقات الأولى عام(١٩٧٣م) والأخيرة عام(١٩٧٧م)، وقد صدرت لهذا الكتاب طبعات متعددة في مطابع مختلفة، وقد أعادت نشره دار الكتب العلمية في بيروت، عام ٢٠٠٣م، بتعليق وضبط، د.يوسف علي طويل، ونشرته دار الأمل للدراسات في الجزائر، بمراجعة وتقديم وتعليق بوزياني الدراجي.

---

(١) ينظر: الأحاطة في أخبار غرناطة، لابن الخطيبت، شرحه وضبطه وقدم عليه الدكتور يوسف غلي طويل، أستاذ الادب الاندلسي بالجامعة اللبمانية، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان: ٣/١.

(٢) ينظر: المصدر نفسه:١/ ٥ .

*هو أحمد بن محمد بن أحمد المّري القرشي المكني بأبي العباس والملقّب بشهاب الدين سنة ٩٨٦هـ بمدينة تلمسان. نفح الطيب ، للمقري :٥/١ .

(٣) ينظر: المصدر نفسه:٢٩٠/٧.

وقد طبعت أكثر من نسخة، منها نسخة كاملة تكون من ثلاثة أجزاء في تونس بمكتبة الزيتونة،وبعد ذلك تم نقلها إلى مكتبة العطارين بدار الكتب الوطنية، تعد هذه النسخة الكاملة في العالم من هذا الكتاب، في حين مخطوط الإسكوريال تضمُّ عدد ضخم من التراجم، منها: الرسائل السُلطانية التي شغلت(٤٢) لوحة التي لم تذكر في مخطوط الزيتونة[١]، "هو ليس تاريخاً بالمعنى المحدود، ولكنه عبارة عن موسوعة شاملة لكل مايتعلق بهذه المدينةالاندلسية، من أخبار والاوصاف والمعالم،فهو يتناول وصفها وجغرافيها وخططها، ومواقعها...،كما يتضمن خلاصة لتاريخ الدولة النصرية منذ عصر مؤسسها محمد بن يوسف بن الأحمر حتى عصر المؤلف"[٢] .

وينقل لسان الدين بن الخطيب في كتابه هذا مجموعة من كتبه التي ألفها في السابق، منها:(عائد الصلة) الذي وضعه ذيلا لكتاب صلة ابن الزبير، وكتاب(طرفة العصر في دولة بني نصر)،و(التاج المحلى في مساجلة القدح المعلى)،(اللمحة البدرية في الدولة النصرة، وكذلك نُقل ابن الخطيب في أغلب مصنفاته ظاهرة ملحوظة من الشذور[٣] .

ويورد ابن الخطيب في الإحاطة " تراجم كبيرة من الاعلام والاكابر الذين عاشوا في غرناطة، أو نزلوا بها، في مختلف عصور التاريخ الاندلسي، ويفيض في ذكر أخبار معاصريه من الملوك، والوزراء، والشيوخ، ويعنى عناية خاصة بترجمة أكابر العلماء والكُتاب والشعراء ... "[٤] .

وقد استعمل لسان الدين مسميّات أخرى للكتاب، إلى جانب العنوان الذي سميّ(الإحاطة في تاريخ غرناطة)[٥]، ذكر عنوان كتابه باسم:" الإماطة عن وجه الإحاطة ، فيما أمكن من تاريخ غرناطة "[٦] .

---

(١) ينظر : الإحاطة ، ط٢ ، المقدمة : ١/١٠

(٢) ينظر: المصدر نفسه:١/ ٣-٤

(٣) ينظر : المصدر نفسه ، المقدمة : ١/ ٥.

(٤) لسان الدين بن الخطيب حياته وتراثه الفكري ، محمد عبد الله عنان : ٢٣٠- ٢٣١.

(٥) ينظر: معجم التاريخ التراث الإسلامي في مكتبات العالم (المخطوطات والمطبوعات)، علي الرضا قره بلوط – أحمد طوران قره بلوط، دار العقبة، قيصري- تركيا، ط١، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م: ٤/٢٨٧.

(٦) لسان الدين بن الخطيب حياته وتراثه الفكري ، محمد عبد الله عنان:٢٥١-٢٥٢ .

ثم رجع وأورده في كتاب اللمحة البدرية عند حديثه عن عوائد أهل غرناطة وأوصافهم، على اختلاف أصنافهم، من كتاب "الإماطة ،عن وجه الإحاطة ، فيما أمكن من تاريخ غرناطة"[١].

وقد نقل ابن الخطيب الأحوال التي مرّ بها اهل غرناطة ، وجعل هذه الأحوال في نبذة كبيرة من المخطوطات، ولكن لم يعثر عليها في أي مكتبة من المكتبات، ولم يذكره مع المؤلفات التي ذكرها في ريحانة الكُتَّاب[٢].

وقد اهتم الاديب محمد البدر البشتكي (ت ٨٣٠ هـ)، باختصار الكتاب، والذي سمّاه(مركز الإحاطة في أدباء غرناطة) وهو بجزأين، حذف منه أسماء الامراء والسلاطين، واقتصر في عمله على الأدباء[٣] .

٢-التاج المحلّى في مساجلة القدح المعلّى:

لقد أحتوى كتاب التاج المُحَلى على ملخص لتاريخ غرناطة منذ بدايتها على ايادي بني نصير، وقد ترجم لسان الدين بن الخطيب في كتابه هذا نفسه وكذلك ترجم لوالده، وكذلك ترجم في خزانة الرباط العامة طائفة من تراجم التاج المحلى ، ضمن مجموعة(مراسلات وتراجم ابن الخطيب)، وأما القدح المعلى يضم مجموعة من تراجم الكُتاب وكبار الشعراء[٤] ، فهو عبارة عن :" تراجم لاعيان الاندلس في القرن الهجري، وتنويه بمملكة بني الأحمر منذ نشأتها حتى عصر المؤلف "[٥] .

ويُعدُّ هذا الكتاب بيروغرافيا لمجموعة من الشعراء الذين عاصروا ابن الخطيب، فقد ترجم لـ (مائة وعشرة) شعراء، جميعهم عاشوا في مدينة غرناطة[٦] .

٣-الكتيبة الكامنة في أهل المائة الثامنة :

لقد ترجم ابن الخطيب في الكتيبة لمجموعة من الخطباء والشعراء المعاصرين له، ويذكر قصائد من شعرهم، وغالباً من نثرهم، وهناك مجموعة من نسخ عدّة مخطوطة

---

(١) اللمحة البدرية ، لابن الخطيب : ٢٧.

(٢) ينظر: لسان الدين بن الخطيب حياته وتراثه الفكري ، محمد عبد الله عنان : ٢٥١ – ٢٥٢ .

(٣) ينظر : نفح الطيب ، للمقري : ١٠٢

(٤) ينظر : لسان الدين بن الخطيب ، محمد عبد الله عنان : ٢٣٨

(٥) معيار الاختيار ، لابن الخطيب ، تراجم وتاريخ : ٣٦.

(٦) ينظر : الإحاطة في اخبار غرناطة ، لابن الخطيب، مقدمة المحقق ١/ ١٧.

لهذا الكتاب بالمغرب،منها: نسخة مكتوبة بخط اندلسي في مكتبة الرباط العامة، فهي نسخة قديمة،وتحوي على مائتين واحدى عشرة صفحة من القطع المتوسط، ونسخة ثانية مكتوبة بخط مغربي واضح في مكتبة الجلاوي،وتحوي على مائتين وخمس وثلاثين صفحة من القطع الصغير،اما النسخة الثالثة مكتوبة بخط اندلسي،توجد ضمن مجلة(رحلة البلوى)،وليس هناك من يدل على تاريخ كتابتها[١].

وفي جمادي الآخرة من عام(٧٧٤هـ)كتب ابن الخطيب كتابه الذي سماه(الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالاندلس)، وبدأ بتأليف الكتاب بعد وفاة السلطان عبد العزيز بثلاثة أشهر،أي بعد ترك الوزارة واستقلاله في المغرب[٢]، يقول في مقدمة كتابه:" فجمعت في هذا الكتاب جملة وافرة، وكتيبة ظافرة، ممن لقيناه في بلدنا الذي طوينا جديد العمر في ظله، وطاردنا قنائص الآمال في حرمه وحله، ما بين من تلقينا افادته، أو أكرمنا وفادته، وبين من علمناه وخرجناه، ورشحناه ودرجناه، ومن اصطفيناه ورعيناه، فما اضعناه.... "[٣].

والنص أعلاه يشير إلى اعتداد ابن الخطيب بنفسه، فهو يحاول أن يظهر مكانته الفكرية وقدرته على الكتابة بعد الاستقصاء والتحليل؛ وهذا ما جعله متفوقًا ومتميزاً على غيره من إقرانه في ذلك العصر .

ومما سبق قسّم لسان الدين بن الخطيب(الكتيبة الكامنة) إلى طبقات وفق المنهجية المهنية ، وقسمها على الشكل الآتي:

- الطبقة الأولى هي(طبقة الخطباء الفصحاء والصوفية)، وقال في هذه الخطبة:" وهذه الطبقة أهلها أعلام سراوة ومجادة، وفرسان مرقى وسجادة، وليسوا بحجة في إجادة، إلا من جرى منهم مجرى إفادة في وفادة، ومظنة الإجادة في هذا الكتاب، هم طبقات الشعراء والوزراء والكتّاب"[٤]

---

(١) ينظر : لسان الدين ، محمد عبد الله عنان ، ٢٣٩.

(٢) ينظر: الكتيبة الكامنة ، لابن الخطيب ، المقدمة ، ١٣ .

(٣) المصدر نفسه : ١٧.

(٤) ينظر الكتيبة الكامنة ، لأبن الخطيب :٣١ .

- الطبقة الثانية هي(طبقة المقرئين والمدرسين)، هذه الطبقة في باب الشعر تكون أقل تميزاً من الطبقة السابقة[١] .
- الطبقة الثالثة (طبقة القضاة)،هي طبقة رديئة في بيان مداركها على علوم الأديان.
- أما الطبقة الأخيرة هي(طبقة من خدم أبواب الأمراء من الكتاب والشعراء)، تكون هذه الطبقة أكثر تميزاً عن الطبقات السابقة [٢].

٤-بستان الدول :

لقد تكلم ابن الخطيب في كتابه هذا عن القضاء، والحرب ، وطبقات الشعب المختلفة ، ومن خلال كلامه عن هذه القضايا تم انجاز هذا الكتاب ، ولكن بسبب ظروف ابن الخطيب لم يكمله،يعد من الكتب المفقودة، فهو تاريخ سياسي شامل[٣].

٥-أعمال الأعلام :

يعتبر بعض الباحثين أنّ هذا الكتاب من أهم الكتب المتعلقة بتاريخ إسبانيا منذ العهد الإسلامي[٤]، هو آخر كتاب ألفه لسان الدين قبل مصرعه، وكانت حياته مفعمة بالحوادث، وكان له دوراً مميزاً في غرناطة ، كوزير للسلطان محمد الخامس، حيث أضطر الى الهجرة، وذلك بسبب أعدائه، وكانت هجرته الى المغرب بعد ما كان في اسبانيا، لائذاً بالسلطان أبي فارس عبد العزيز المريني، فأحسن السلطان ضيافته وتم تسليمه الى غرناطة بعد ما كانت غرناطة تلح في طلبه، وكان تأليف الكتاب في الفترة القصيرة، أي بين عامين(٧٧٤ هـ – ٧٧٦ هـ)، فكانت هذه الفترة بين تقليد السلطان أبي زيان المريني وبين خلعه، ويدل عنوان الكتاب على الغاية التي رمى إليها لسان الدين من تأليفه للكتاب، فهو أراد أن يبعثه كهدية إلى حاميه

---

(١) ينظر: المصدر نفسه :١٩ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه ،١٩.

(٣) ينظر: معيار الاختيار لابن الخطيب، ٣٦ .

(٤) ينظر : تاريخ إسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الاعلام، في من بويِع قبل الاحتلام، من ملوك الإسلام، للسان الدين بن الخطيب السلماني، حققه وعلق عليه إ. ليفي برُوفنسَال، أستاذ الحضارة العربية الإسلامية بالسربون مدير معهد الدراسات الإسلامية بجامعة باريس، دار المكشوف، ط٢ ، بيروت – لبنان ، آذار ١٩٥٦: مقدمة المحقق : ز – ح .

(السلطان ووزيره الوصي)، وأراد أن يحدد كتاباً ومخصص لذكر كل من بويِع قبل الاحتلام، من جميع ملوك الإسلام[١].

يُعدُّ كتاب أعمال الاعلام هو:" أخر ما ألفه ابن الخطيب قبل مصرعه، وهو مؤلف تاريخي ضخم، يمكن أن يوصف بأنه الكتاب الوحيد الذي يمكن أن تسبغ عليه الصفة التاريخية المحضة ،فهو في الواقع تاريخ عام للدول الإسلامية في المشرق والمغرب"[٢].

يوجد نسخ مخطوطة كثيرة من كتاب الاعلام ، منها نسختان بالخزانة الملكية في المغرب: الأولى مكتوب بخط مغربي مستدير ، هو مخطوط قديم كبير القطع، لكن محذوف من اول اليباجة، ويقع في ثلائمائة وأربعة وسبعين في كل صفحة توجد ثلاثون سطراً، ولكن لايوجد تاريخ لهذا المخطوط، أماالثانية مكتوبة بخط مغربي واضح، ويقع في مائتين وثمانية وعشرين صفحة، وفي كل صفحة يوجد ثلاثة وعشرون سطراً، وهو من القطع المتوسط، ولايقتصر وجودها في الخزانة الملكية، وتوجد منه نسختان بالخزانة العامة بالرباط، الأولى مكتوبة بخط مغربي واضح تقع في جزء متوسط القطع، يضم بين دفتيه أربعمائة وخمس عشرة صفحة عريضة، وفي كص صفحة يوجد سبعة وعشرون سطراً وليس فيها نهاية تدل على تاريخها، والثانية مكتوبة بخط مغربي، وهي من القطع الكبيرة[٣].

٦-رقم الحُلل في نظم الدّول :

وهو عبارة عن أرجوزة من نظم لسان الدين، يتحدث به عن تاريخ منظوم، وعن الدول الإسلامية ، وملوك الطوائف والمرابطين والموحدين، وهذ الكتاب أهداه لسان الدين إلى سلطان المغرب في المدة التي أقامها في مدينة سلا، ولابد من هذا الكتاب نسخ في مكتبات عدّة منها : نسخة واحدة فقط توجد في خزانة القرويين في مدينة فاس، وكذلك ثلاث نسخ بالخزانة الملكية بالرباط، والخزانة العامة بالرباط

---

(١) ينظر: تاريخ إسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الاعلام، مقدمة المحقق : ز – ح .

(٢) لسان الدين حياته وتراثه الفكري، محمد عبد الله عنان ، ٢٤٧ .

(٣) ينظر :المصدر نفسه: ٢٤٩.

وهي(المكتبة الوطنية حالياً) توجد فيها ثلاث نسخ أيضًا[١]، وهناك نسخة بمكتبة الإسكوريال مكتوبة بخط مغربي، فهي نسخة مخطوطة تقع في (٧١) لوحة مزدوجة تكون من القطع المتوسط، وتعد من أوائل النسخ التي أخذت عن النسخة الأصلية، ونسخة في مكتبة مدريد الوطنية، فهي منقولة عن النسخة الأصلية(نسخة الإسكوريال)، وكذلك توجد نسخة أخذت من نسخة الجزائر بمكتبة أكاديمية التاريخ في مدريد، تسمى(منظومة في علم التاريخ لابن الخطيب)،ويوجد منه بخزانة جامع القرويين بالمغرب تكون كاملة تحمل معها نسخة من كتاب الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون[٢] .

وفي عام(١٣١٦هـ) نشر الكتاب في تونس، وقد اطلق عليه ابن الخطيب في بعض مصنفاته أسم آخر وهو (قطع السلوك بنم الملوك)[٣].

٧-طُرفة العصر في دولة بني نصر :

يتألّف من ثلاثة أسفار، لكنه مفقود، ويؤرخ لبني نصر في غرناطة[٤]، ويُعدُّ الكتاب تاريخ آخر للدولة النصرية، والبعض يعتقد أنه أسم آخر لابن الخطيب وهو(اللمحة البدرية)، ولكن ابن الخطيب كان يأخذ من(طرفة العصر) و(اللمحة البدرية) ويقسمها في كتاب الإحاطة، او هو أختصار لكتاب طرفة العصر[٥].

٨-الاكليل الزاهر فيمن فصل عند نظم الجواهر:

لقد تناول ابن الخطيب في هذا الكتاب تراجم أغلب معاصريه الاعلام، أمثال شيخه الأستاذ ابن الجياب، ومحمد بن هاني السبتي، وابن مقاتل المالقي، وغيرهم

---

(١) ينظر : ابنُ الخَطيب الأندلسي وإحاطته ، د. فريد أمعضشو – المغرب، مجلة ثقافية فصلية ، الناشر: د. عدلي الهواري ، العدد ٧٠: ٢٠١٢/٤ ، https://www.oudnad.net/spip.php?article358

(٢) ينظر : لسان الدين حياته وتراثه الفكري ، محمد عبد الله عنان : ٢٤١.

(٣) ينظر: جيش التوشيح، لابن الخطيب، اعد اصلاً من أصليه محمد ماضور، حققه وقدم وترجم لوشاحيه هلال ناجي، طمبعة المنار – تونس ، ترجمة المصنف، ج.

(٤) ينظر: ابنُ الخَطيب الأندلسي وإحاطته، د. فريد أمعضشو – المغرب، مجلة ثقافية فصلية .

(٥) ينظر : لسان الدين حياته وتراثه الفكري ، محمد عبد الله عنان ، ٢٥٠

من الأعلام، وقد استعمل في كتابه هذا أسلوب السجع، وهو مكمل لكتاب التاج المحلى[١] .

٩-عائد الصلة :

جمع ابن الخطيب في هذا الكتاب مجموعة من تراجم الأعلام الأكابر الأحقين لمن ترجمهم ابن الزبير ،وأقتبس ابن الخطيب منه كثيراً، ولم نجد منه نسخة واحده مخطوطة[٢] .

١٠- قطع الفلاة بأخبار الولاة :

لقد أورد ابن الخطيب في نفاضة الجراب رسالة نثرية قصيرة لا تزيد عن عشر صفحات، وأطلق عليها قطع الفلاة بأخبار الولاة، وتمثّل لسان الدين بن الخطيب بشعر من نظم غيره[٣].

١١- اللّمحة البدْريّة، في الدّولة النّصرية :

وهو مختصَر لتاريخ بني نصْر، وألفه ابن الخطيب سنة (٧٦٣هـ) في تاريخ آخر دول العرب(بني الأحمر) في الأندلس، بَغَى مؤلفه الصدق فيما كتب، وتوجد نسختين فقط لهذا الكتاب منها: في مكتبة الأسكوريال بالاندلس، وتعتبر هذه النسخ من أجود النسخ، والأخرى في المغرب الأقصى[٤] .

لقد كان التاريخ حسب فهم لسان الدين: " أنه أداة لنقل الأخبار، وذكر السير والآثار، وتخليد الفضائل، ومعرفة الانساب واكتساب السياسة والتجارب،... ، فإن التاريخ وسيلة لتدوين حوادث الماضي ، لتعتبر بعظاتها الأجيال اللاحقة "[٥] .

فالتاريخ هو أداة لتصوير الاحداث الماضية تصويراً موجزاً ودقيقاً عن أحوال العالم في الماضي، ويعد قراءة بين الماضي والحاضر وتفسيره، وله أهمية كبيرة بجميع العلوم، وهذا ما حدى بابن الخطيب أن يركز جلّ اهتمامه عليه .

---

(١) ينظر : المصدر نفسه، ٢٥١

(٢) ينظر : المصدر نفسه،٢٥١.

(٣)المصدر نفسه: ٢١٨

(٤) ينظر: نفاضة الجراب، لابن الخطيب، هامش ص ٣٤٣.

(٥) ينظر : معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار: لسان الدين بن الخطيب السلماني، مقدمة المؤلف: ٣

لقد ألف ابن الخطيب كتابه هذا بعد نفيه في المغرب، وأكمله بعد رجوعه الى أرض وطنه غرناطة عام (٧٦٥هـ)، والكتاب مطبوع يتضمن مجلد واحد[١] .

١٢- نفاضة الجراب في علالة الأغتراب :

ألف ابن الخطيب كتابه هذا في الحقبة الزمنية التي نفي فيها في بلاد المغرب، وكانت هذه الفترة من عام (٧٦٠ – ٧٦٣ هـ)، في هذه الفترة كانت كتاباته في الشعر والنثر في مدح زعيم المنطقة الجنوبية، ولم نعرف أي وقت ألف ابن الخطيب هذا الكتاب[٢].

وكتب ابن الخطيب هذا الكتاب أثناء عزله منفياً بمدينة سلا*، ويعتبر من أضخم وأهم كتبه من بعد (الإحاطة)، وكانت مدة كتابه هذا من أهم سنين حياته، وأنشغل بكتابته مدة عامين من عام (٧٦١هـ) من شهر رجب، إلى عام(٧٦٣هـ) من رجب، ولكن لا توجد هناك نسخة كاملة منه، وانما وجدت فقط النسخة الثانية والنسخة الثالثة منه[٣].

يبدأ ابن الخطيب كتابه بوصف رحلته التي قضاها خلال فترة منفاه بالمغرب، وكذلك وصف أهالي (جبل هنتاته)* أيضاً وصف ابن الخطيب معيشة شيوخ هنتاته، وطريقة المأكل والمشرب الذي يقدموه هذه القبيلة التي مازالت تقدم في زمننا هذا، ولم يقف ابن الخطيب عند جبل هنتاته، بل واصل رحلته إلى مدينة اغمات، وتحدث عن محاسن وأكرام أهل هذه المدينة، وتحدث أيضاً عن شخصياتها وآثارها، وعن مساجدها، وبعد هذه الرحلة يعود ابن الخطيب إلى سلا بأقصى المغرب، واستقر في

---

(١) ينظر: نفاضة الجراب، لابن الخطيب: ٢/ ١٥١- ١٦١.

(٢) ينظر : نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، لسان الدين بن الخطيب (٧١٣هـ – ٧٧٦ هـ)، نشر وتعليق احمد مختار العبادي، مراجعة عبد العزيز الأهواني،دار النشر المغربية، دار البيضاء، مقدمة الناشر: ٢/ ٣- ٥.

*(سَلا) بلفظ الفعل الماضي من سلا يسلو: مدينة بأقصى المغرب، ينظر: معجم البلدان:٣/٢٣١.

(٣) ينظر : لسان الدين، محمد عبد الله عنان: ٢٤٢ و٢٤٤.

ضاحيتها المسماة باسم شالة، ولم ينسى ابن الخطيب من وصف مساجدها، ومدارسها، ومكتباتها، وعلمائها، وشيوخها[١] .

ثم عند أنتهاء ابن الخطيب من وصف تلك الرحلة التي قام بها ينتقل بالحديث إلى فصل آخر من كتابه يحمل عنوان (إدلة الدولة بالأندلس ثانية)، وفيه يتحدث عن تلك الفترة التي عاشت بها مملكة غرناطة بين عامين(٧٦٠-٧٦٣هـ / ١٣٥٩ – ١٣٦٢م)، فهي لم تتجاوز ثلاثة أعوام، ولكن في هذه الفترة عانت فيها مملكة غرناطة انقلابات سياسية، وعلى أثرها أستشهد فيها عدد من الملوك والقادة الأكابر[٢].

ثم عاد بعد ذلك ليألّف ثلاثة كتب مهمة أثناء رحلته في المغرب، والتي ذكر فيها أهمّ مدن المغرب والأندلس، وقد رتب هذه الرحلات من حيث مراعاة التسلسل(التاريخي والزمني) لها بقدر الإمكان، وهي:

١-خطرة الطّيْف:

هي من رسائل ابن الخطيب الأولى التي كتبها أثناء رحلاته، حيث: "أنها كانت رحلة رسميّة قام بها سلطان غرناطة، أمير المسلمين أبو الحجّاج يوسف بن نصر(٧٣٣-٧٥٥ هـ ، ١٣٣٣ -١٣٥٤ م) ومعه وزيره ابن الخطيب لتفقّد أحوال الثغور الشرقية لمملكة غرناطه"[٣].

لقد تابع ابن الخطيب ذلك فوصف الرحلة التي أنشأها السلطان أبو الحجاج في المحرم عام ٧٤٨هـ ، وذهب الى أغلب مدن الاندلس منها: وادي آش، بسطة، ومرشانة، والمرية، وقنالش وسواها من مدن الاندلس، وأستعمل ابن الخطيب فيها

---

*جبل هنتاته : اسم يطلق على احد جبال أطلس، ويكون مرتفع جداً، وكانوا أهله معروفين بالغنى والشجاعة، ولقد اتخذت قبيلة هنتاته في عصر الموحدين وبني مرين دورا كبيراً آنذاك، ينظر: مشاهدات ابن الخطيب، لأحمد مختار العبادي: هامش ص ١١٩.

(١) ينظر : نفاضة الجراب، لابن الخطيب: ٨- ١١.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٢ .

(٣) خطرة الطيف، رحلات في المغرب والاندلس ١٣٦٢- ١٣٧٤: أبي عبد الله محمّد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد السلماني لسان الدين بن الخطيب، المحققأحمد مختار العبّادي، الموضوع (التاريخ والجغرافيا)، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، ط١:١٦ .

أسلوب السجع[١]، وأيضاً ذكرها الدكتور أحمد العبادي في كتاب (مشاهدات ابن الخطيب)[٢] .

٢-مفاخرات مالقة وسلا :

وهي من رسائل ابن الخطيب، والتي قارن فيها بين مدينتي مالقه الأندلسية وسلا المغربية، على أن تكون المقارنة بين ما تشابه وتقارب، إلا أنه قد تحيّز في هذه الرسالة إلى مدينة مالقة [٣]، ومن الأمور التي انحاز بها المؤلف بين المدينتين هي: المنعة، والصنعة، والشُّنَعَة، والبقعة، والمساكن، والحضارة، والعمارة، والآثار، والنضارة[٤]. ولذلك فصل ابن الخطيب مالقة وسلا على أن:"مالقة مزية بجلالها وكمالها وحسن أشكالها ...، ولسلا الفضل لكن على أمثالها ونظرائها، من بلاد المغرب وأشكالها... "[٥].

وقد جاءت على أربع رسائل حصرها الدكتور أحمد مختار العبادي، وكان ذلك في كتاب أسماه: (مشاهدات لسان الدين في بلاد المغرب والاندلس) تحت عنوان" مفاخرات مالقة وسلا "[٦]، ونستنتج من ذلك انه لايمكن لمدينة سلا أن تقارن وتتفضل على مدينة مالقة لانها ليست من أمثالها ولا على أشكالها وإن كل منهما نظائر تختلف عن الآخر .

١٣- معيار الاختيار في ذكر أحوال المعاهد والدّيار :

يعد هذا الكتاب من أهم كتب ابن الخطيب، فقد ألفه على شكل مقامة أدبية ذات أسلوب فني اِسْتَقَلَ به ابن الخطيب روعةً وابداعاً، بُغيَة شرح أهم مدن المغرب

---

(١) ينظر: لسان الدين ، محمد عبد الله عنان ، ٢٦٢ .

(٢) ينظر: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس: أحمد مختار العبادي : ٢٥.

(٣) ينظر: خطرة الطيف، لسان الدين بن الخطيب : ٥٧ .

(٤) ينظر: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والاندلس: أحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع بالإسكندرية ، مقدمة الناشر١٩٨٣: ٥٧ .

(٥) المصدر نفسه : ٦٦ .

(٦) ينظر: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والاندلس، أحمد مختار العبادي: ٧ .

والأندلس كما شاهدها في (منتصف القرن الثامن الهجري)، وكانت غاية ابن الخطيب من ذلك هو وصف هذه المدن في صورة أدبية ثقافية جميلة[1].

وقد جاء هذا الكتاب على نسخ عدّة منها[2]:

❖ نسختان بدار الكتب بالقاهرة:

الأولى:تقع في مجلدين،وبخط مغربي، ولا تخلو من الثقوب والنص والاضطراب، وهذان المجلدان مصوران بالفوتوستات عن النسخة المحفوظة بمكتبة تونس، وهما يقعان في (٣٠٩) لوحة، واما النسخة الثانية: بها نقص قليل من الخطبة، وتقع هذا النسخة في جزأين كتبا بخط النسخ، ويقعان في (٤٦٠ – ٦٥٠) صفحة .

❖ نسخة الاسكوريال بمدريد :

كُتبت هذه النسخة بخط اندلسي غير واضح، وهي نسخة جيدة، وتقع في(٢٨١) لوحة كبيرة، تتضمن (٥٦٢) صفحة .

❖ جزء مخطوط تقع بمكتبة الفاتيكان الرسولية في روما :

كُتبت بخطٍ مغربي، وهي عبارة عن السفر الثالث من كتاب(الريحانة)، وتقع عدد لوحاتها (١١٩) لوحة كبيرة .

❖ نسخة تقع في الخزانة العامة بالرباط :

كُتبت بخط مغربي واضح جدا، وهي عبارة عن مجلد كبير يتضمن من(٦٠٩) صفحة من القطع الكبير .

١٤- روضة التعريف بالحب الشريف :

احدى مخطوطات لسان الدين بن الخطيب التي وجدت بالمدينة المنورة، وتم نسخها في الحادي عشر من شوال عام(١١١٩ هـ)، وتم نسخها على يد الشيخ محمد بن مصطفى المدني، وهذه المخطوطة تقع في(١٣٠) ورقة، (٣٣) سطرًا، وكان

([1])ينظر: اللمحة البدرية في الدولة النصرية، المقدمة: ١ .

([2]) ينظر: معيار الاختيار في ذكر أحوال المعاهد والدّيار، لابن الخطيب: ٣- ٥ .

خطها من اجمل الخطوط المختلفة، ولها نسخ عدّه منها : نسخة الظااهرية بدمشق، ونسخة أسعد افندي بتركيا[١] .

١٥- جيش التّوشيح :

وقد كتب لسان الدين بن الخطيب كتابه هذا قترة أقامته بالمغرب، ويبدو ذلك من ديباجته القصيرة، وهناك نسخة خطية توجد بجامع الزيتونة بتونس، وتضمن مائة وعشرون لوحة متوسطة الحجم، وهو من الكتب المطبوعة[٢].

كتب الادب والتراجم الأدبية :

إلى جانب الكتب التاريخية التي الفها لسان الدين بن الخطيب والذي صورت الحياة السياسية والاجتماعية، هنالك تصانيف في الأدب والتراجم الأدبية التي تحدّث بها عن الشعراء والكُتّاب الأندلسيين، وبعضها في الشعر، وبعضها الآخر في النثر تتناول رسائل أدبيّة، وأخرى موشّحات، فقد ترجم في هذه الكتب عن مائة وعشرة شاعر[٣]، وقد أهدى ابن الخطيب كتاب(الكتبة الكامنة من شعراء المائة الثامنة) وهو من تحقيق الدكتور إحسان عباس وأصدرت دار الثقافة، بيروت- لبنان، ١٩٦٣، إلى المعرفة الأنسانية والتي تجاوزت الستين مؤلفاً،ومن ابرزها[٤] :

١-الدر الفاخرة واللجج الزاخرة .

٢-كُناسة الدّكان بعد انتقال السكان.

٣-استزال اللطف الموجود في سرّ الوجود.

٤-أبيات الأبيات .

٥-السحر والشعر .

٦-الصيّب والجهام ، والماضي والكهام .

٧-ظلُ الغمام ، المقتضب من الصيب والجهام .

٨-الإكليل الزاهر في من فضل عند نظم التاج من الجواهر.

---

(١) ينظر: روضة التعريف بالحب الشريف،لابن الخطيب، تحقيق تعليق وتقديم عبد القادر أحمد عَطا عبد الستار، دار الفكر العربي للطباعة والنشر ،د.ط ، د.ت:٢٦ – ٢٨

(٢) ينظر: جيش التّوشيح، لابن الخطيب: ترجمة المصنف: ك .

(٣) ينظر: مناهج التأليف عند العلماء العرب(قسم الادب): مصطفى الشكعة: ٦٨٥.

(٤) ينظر: المصدر نفسه : ٦٧٧.

- **الدر الفاخرة واللجج الزاخرة :**

وهو من أختيار أستاذه ابن الجياب، وأبي جعفر بن صفوان[١].

- **كُناسة الدّكان بعد انتقال السكان :**

لقد ألفه ابن الخطيب وقال انه: "مجموعة من الرسائل تبلغ خمساً وعشرين رسالة كتبها ابن الخطيب على لسان السلطان يوسف الأول إلى السلطان أبي عنان فارس المريني ملك المغرب (٧٤٩ –٧٥٩هـ /١٣٤٩–١٣٦٠م)، وهذه الرسائل توضح العلاقات الدبلوماسية التي كانت قائمة بين مملكتي غرناطة وفاس "[٢]، أي إنّ هذه الرسائل كتبها ابن الخطيب وجمعها في سلا أثناء أقامته بها .

- **استزال اللطف الموجود في سرّ الوجود :**

هو عبارة عن رسالة في التصوف،وجاء ذكره في ريحانة الكتاب باسم(استنزال اللّطف الموجود في إسراء الوجود)،الذي جاء به:"الحمد لله الذي خلق الإنسان مهيضاً جناحهُ،بالافتقار لما فيه صلاحهُ كبيراً،وحُكم الليل والنهار أسيراً، والله ولي الهداية في كل سبيل والوقاية من كل مَرْعى وَبيل،ولم يقع الإعفا،ولم ينفع إلا الوفا"[٣].

- **أبيات الأبيات :**

لقد أختاره ابن الخطيب من مطالع ليس له من الشعر شيئاً[٤].

- **السحر والشعر:**

ذكر ابن الخطيب في كتابه معيار الاختيار السحر والشعر أنه: "مجموعة مختارة من شعر المشارقة والمغاربة، فيما يتعلق منها بالوصايا والمواعظ، اختارها ابن

---

(١) ينظر : مناهج التأليف عند العلماء العرب (قسم الادب) :٦٨٥.

(٢) كُناسة الدّكان بعد انتقال السكان ،حول السياسة بين مملكتي غرناطة والمغرب في القرن الثامن الهجري ،لابن الخطيب، تحقيق د. محمد كمال شبانة، مراجعة د. حسن محمود ،وزارة الثقافة، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر:٦.

(٣) ريحانة الكتاب ، لابن الخطيب: ١/ ٥٢ – ٥٣.

(٤) ينظر:أزهار الرياض في أخبار عياض ، للمقرى : ١٩٠ .

الخطيب لوالده عبد الله حيث أهداه اليه يافعاً "[1]، واحتوت المخطوطة(٧٣٨) مقطوعة اختارها بذوق رفيع وخبرة[2]، وهناك نسخة بتونس، ونسختان بالرباط ، وأيضاً منه نسختان بالاسكوريال[3].

وقد ضم ابن الخطيب في كتابه هذا(٧٣٨) مقطوعة، اختارها بذوق رفيع وخبرة واسعة، في ترتبط بالحياة الإنسانية في اغلب العصور، ويوجد نقص كبير في هذه المخطوطة، لانها وقعت تحت ايدي كتاب لا خبره لهم بالشعر؛ لذلك توجد الكثير من الأخطاء الاملائبة واللغوية[4].

- **الإكليل الزاهر عند نظم التاج من الجواهر:**

قال في (التاج المحلى) و(الإكليل الزاهر)، وغيرهما في ترجمة ابن الجياب ما نصه:" صدر الصدور الجلّة، وعلم أعلام هذه الملّة ، وشيخ الكتابة وبانيها، وهاصرُ أفنان البدائع وجانيها ، أعتمدته الرياسة فناء بها على حبل ذراعه، واستعانت به السياسة فدارت أفلاكها على فطب من شباة يراعه، فتفيأ للعناية ظلاً ظليلاً ، وتعاقبت الدول فلم تَرَ به بديلاً ، من ندب على علوة متواضع، وحبر لثدي المعارف راضع، لا تمر مذاكرة في فن إلا وله فيه التبريز ، ولا نعرض جواهر الكلام على محكات الإفهام إلا وكلامه إلا بريز، حتى أصبح الدهر راوياً لإحسانه وناطقاً بلسانه، وغرب ذكره وشرق، وأشأم وأعراق، وتجاوز البحر الأخضر والخليج الأزرق، إلى نفس هذبت الآداب شمائلها، وجادت الرياضة خمائلها،وفي حسناته محسوبة، فإنما هي أنفس راضها بآدابه، وأعلقها بأهدابه، وهذب طباعها، كالشمس تلقي على النجوم شعاعها، والصور الجميلة ، تترك في الأجسام الصقيلة انطباعها ، وما عسى أن أقول في إمام الأئمة، ونور الدياجي المدلهمة، والمثل السائر في بعد الصيت ،

([1]) معيار الاختيار ، لابن الخطيب:٣٦.

([2]) ينظر: السحر والشعر، لابن الخطيب حققه المستشرق الاسباني: ج.م. كونتننته فيرير، راجعه ودققه: محمد سعيد اسبر ، الناشر بدايات للطباعة والنشر والتوزيع، ط١ ، ٢٠٠٦: ٧.

([3]) ينظر : جيش التوشيح ، لابن الخطيب ، ترجمة المصنف: د.

([4]) ينظر : السّحر والشّعر ، لابن الخطيب،: ٧ .

وعلو الهمة، وقد أثبت من عيون قصائده، وأدبه الذي علق الإحسان في مصايده ، كل وثيق المعنى، كريم المجنى جامع بين حصافة اللفظ ولطافة المعنى"[١] .

وقد جاء العنوان في كتاب (ريحانة الكُتّاب) على النحو الآتي:" الإكليل الزاهر فيمن فضل عند نظم التاج من الجواهر"[٢].

- **كتب ابن الخطيب في الطب :**

كما أهتم لسان الدين بن الخطيب بكتب التأريخ، والأدب، اهتم أيضًا بكتب طبية، وألف فيها الكثير من الرسائل .

وقد تحدّث لسان الدين بن الخطيب في ترجمته لنفسه في (كتاب الإحاطة)، أنه درس الطب عن شيخه العلامة أبو زكريا بن هُذيل[٣]، وقد توفى شيخه ابن هُذيل عام ٧٥٣هـ- ١٣٥٢م، وقام ابن الخطيب دفن شيخه، وقد قال عنه ابن الخطيب: "إنه كان آخر حملة الفنون العقلية بالأندلس..."[٤].

ومن تصايف ابن الخطيب في الطب كتاب (عَملُ من طَب لمن حَب) هو من أبرز وأضخم تصانيف ابن الخطيب الطبية، واهدى ابن الخطيب كتابه هذا لابي الحسن المريني (سلطان المغرب)، عام ٧٦١هـ[٥]، وكما اهدى كتابه (الاختيار والاعتبار في الطب) لفخر الدين الرازي[٦] .

ولقد ألف ابن الخطيب رسالته في الطب أسماها (مقنعة السائل عن المرض الهائل)، التي كتبها عن مرض الطاعون الذي تعرض له أهل الأندلس عام 748هـ / ١٣٤٧م، حيث امتازت هذه الرسالة بالجرأة، وشرح الحجج المقنعة التي أوردها دفاعًا عن انتقال العدوى، وكما عالج ابن الخطيب في هذه الرسالة اغلب المسائل الطبية مثل مرض الإجهاض، وكما ترجم ابن الخطيب لصديقه ابن خاتمة الطبيب

---

(١) نفح الطيب ، للمقري:٦/ ٢٦٠ -٢٦١.

(٢) ريحانة الكتاب ، لابن الخطيب:٤١١.

(٣) ينظر: نفح الطيب، للمقّري: ٥/٤٨٧-٤٨٨ .

(٤) الإحاطة في اخبار غرناطة، لأبن الخطيب:٤/٣٣٤.

(٥) ينظر: معيار الاختيار ، لابن الخطيب: ٣٤-٣٥

(٦)ينظر: ابن جزي ومنهجه في التفسير: علي محمد الزّبيري، دار الفلم – دمشق، ط١، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م:١/١٢٠ .

والشاعر الذي كانت رسالته، عام(١٣٤٩م) في مرض الطاعون، أكبر شأناً من رسالة ابن الخطيب[١].

فمن كتب لسان الدين بن الخطيب المطبوعة، وتقع في أربعة عشر كتابًا، منها[٢] :

- الإحاطة في اخبار غرناطة.
- رِيحَانَةُ الْكُتَّابْ وَنُجْعَةُ المُنْتاَب .
- الكتبية الكامنة من شعراء المائة الثامنة .
- اللمحة البدرية في الدولة النصرية .
- رقم الحُلل في نظم الدّول .
- خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف .
- معيار الاختيار في ذكر أحوال المعاهد والدّيار .
- مفاخرات مالقة وسلا .
- نفاضة الجراب في علالة الاغتراب .
- أعمال الأعلام .
- مقنعة السائل عن المرض الهائل.
- مشاهدات لسان الدين بن الخطيب .

ومن الكتب المخطوطة لدى ابن الخطيب، وتقع في عشرة كتب[٣]:

- السحر والشعر.
- كناسة الدكان بعد انتقال السكان.
- عمل من طب لمن حب .
- الوصول في حفظ الصحة في الفصول.
- روضة التعريف بالحب الشريف .
- التاج المحلّى في مساجلة القدح المعلّى .
- جيش التوشيح .
- الإشارة إلى أدب الوزارة في السياسة .

---

(١) ينظر: الإسلام والعرب، روم لاندو، نقلة إلى العربية منير البعلبكي، دار العلم للملايين– بيروت، ط٢،١٩٧٧: ٢٦٦–٢٦٧.

(٢) ينظر: جيش التوشيح، لابن الخطيب : ترجمة المصنف:ج، د.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ترجمة المصنف:د

- رسالة في السياسة.

ومنها كتب مفقودة، وتقع في ستة وثلاثين كتابًا[1] :

- بستان الدول.
- تخليص الذهب في اختيار عيون الكتب.
- الاكليل الزاهر فيمن فصل عند نظم الجواهر.
- عائد الصلة الذي جعله ذيلاً لصلة ابن الزبير .
- ارجوزة في السياسة المدنية.
- الغيرة على اهل الحيرة.
- طرفة العصر في دولة بني نصر .
- اليوسفي في صناعة الطب.
- الدّرر الفاخرة واللجج الباهرة.
- بيات الأبيات.
- رسالة تكوين الجنين.
- مجلد في البيطرة .
- الرد على أهل الإباحة.
- المسائل الطبية .
- مجموع من شعر شيخه ابن الجياب .
- منظومة في سياسة الملوك.
- البيطرة .
- سد الذريعة في تفصيل الشريعة.
- تقرير الشبه وتحريم الشُبه.
- الحالي والعاطل والمسعف والماطل.
- الرجز في الترياق الفاروقي.
- النفاية بعد الكفاية.
- استزال اللطف الموجود باسرار الوجود .
- الصيب والجهام والماضي والكهام .
- ميزان الاختبار.

([1]) ينظر: جيش التوشيح، لابن الخطيب، ترجمة المصنف:هـ.

- المباخر الطيبية في المفاخر الخطيبية.
- اختيار كتاب التاج.
- خلع الرسن في أمر القاضي أبي الحسن.
- تخصيص الرياسة بتخليص السياسة.
- البيزرة.
- حمل الجمهور على السنن المشهور.
- فتات الخوان ولقط الصوان.
- سد الذريعة في تفصيل الشريعة.
- الزبدة الممخوضة.
- النفاية بعد الكفاية.
- مثلى الطريقة في ذم الوثيقة[١].

كتاب (ريحانة الكُتّاب ونُجعة المُنتاب):

يُعدُّ كتاب ريحانة الكُتّاب ونُجعة المُنتاب من أبرز مؤلفات التاريخية والأدبية لابن الخطيب، وذلك بعد كتاب الإحاطة، ويشرح ابن الخطيب في كتابه هذا سبب تسميته يقول: "وسميته لتنويع بساتينه المشوقة وتعدد أفانيه المعشوقة،(رِيحَانَةُ الْكُتَّابْ وَنُجْعَةُ المُنْتَاب)،وقسمته إلى حمدلة ديوان، وتهيئة بإخوان، وتعزية في حرب للدهر عوان، وأغراض ألوان، وفتوح يجلها السلوان، ومخاطبات إخوان، ومقامات أنفى من شعب بوان، وغير ذلك من أغراض ألوان صنوان وغير صنوان"[٢] .

وقد فصل ابن الخطيب الجزء الأول من كتابه على النحو الآتي[٣] :

١-باب يسميه (تمهيدات من أوائل المصنفات)، ويبدأ ابن الخطيب في هذا الباب:إن يختار نبذة من مقدمات كتبه ورسائله السابقة مثل:بستان الدول،وتلخيص الذهب، وجيش التوشيح،والأكليل الزاهر، والإحاطة،وروضة التعريف، وغيرها من الكتب .

٢-باب يسميه:(التحميدات)،و(الفتوحات الواقعة)،و(المرافعات التابعة)،و(الصدقات)، و(كتب الشكر على الهدايا)،و(كتب التهاني)،وغيرها من التسميات الأخرى .

---

(١) ينظر: جيش التوشيح، لابن الخطيب : ترجمة المصنف:هـ .

(٢) ريحانة الكُتّاب ونُجعة المُنتاب : لابن الخطيب: ١/ ٤ .

(٣) ينظر: ريحانة الكُتّاب ونُجعة المُنتاب، لابن الخطيب: ٤/١ .

٣-باب يسميه (جمهور أغراض السلطانيات)،وهو الرسائل السلطانية التي كتبها لسان الدين عن سلاطين مملكة غرناطة، والتي جاءت عن سلاطين المغرب، وكان ذلك في مجال الحرب والسياسة وغيرها .

٤-مخاطبات لسان الدين لأصحاب المناصب والهيئات، وهي مخاطبات الرعية والجهات، هم الأمراء والولاة، جمهور الإخوانيات .

٥-باب يسمية رسائل شخصية إلى الأصدقاء، وهي كتب الفكاهات والدعابات، ويلي ذلك رسائل المقامات .

وقد قام بنشر وتحقيق كتاب ريحانة الكُتّاب ونُجعة المُنتاب، ووضع مقدمته وشواهده محمد عبد الله عنان عام ١٤٠٠ هـ -١٩٨٠ م، مكتبة الخانجي، القاهرة.

لقد اتخذ ابن الخطيب في المجلد الثاني من كتابه نفس الأسلوب الذي أتخذه في المجلد الأول، من حيث سلامة النص ووضوحه، وتناول فيه كتب المخاطبات الرعايا والجهات، وكتب الدعابات والفكاهات، والأمراء والولاة، وكذلك تناول كتب عدة ورسائل كثيرة منها:(خطرة الطيف ورحلة الشتاء والصيف)،ومختصر كتاب(التاج المُحَلى) الذي سماه(أوصاف الناس في التواريخ والصلات)، و(الإكليل الزاهر)، وكتاب(معيار الاختيار)، وأنْهى كتابه بكتب الزواجر والعظات[١]

هناك نسخ عديدة للكتاب أهمها[٢] :

١-نسخة مكتوبة بخط أندلسي غير واضحة، في مكتبة الإسكوريال، تحمل مجلد كبير، وتتكون من(٢٨١) لوحة كبيرة وواسعة، كتبت في شوال عام (٨٨٨هـ) .

٢-نسخة مكتوبة بخط مغربي، في مكتبة الفاتيكان الرسولية، فهي مخطوطة، وتحتوي على السفر الثالث من كتاب(ريحانة الكُتاب ونُجعة المناب)، وتحتوي على(١١٩) لوحة كبيرة .

٣-نسخة مكتوبة بخط مغربي واضح جداً، في مكتبة بالسويد تسمى أوبسالة، تقع في (١٥٤) لوحة كبيرة، الذي تنتهي بالسفر الأول .

---

(١) ينظر: المصدر نفسه، المقدمة : ٢/ ٣ .

(٢) ينظر: لسان الدين ، محمد عبد الله عنان :٢٥٤ .

٤-نسخة الريحانة موجودة بالخزانة الملكية المغربية،وتعتبر من أعظم نسخ(الريحانة)،من حيث سلامة النص ووضوحه وضبطه، والتي تحمل رقم(٢١٩٥)، واتخذها ابن الخطيب أساساً للمقارنة والتحقيق[١] .

٥-نسختان في القاهرة بدار الكتب، الأولى: تكون بخط مغربي، وتقع في مجلدين، ونجد فيها نقص واضطراب، وهما محفوظات بمكتبة تونس،ويكونان في(٣٠٩) لوحة، إما الثانية: كتبت بخط النسخ ،ومخطوطة بدار الكتب المصرية، وأيضاً تقع في مجلدين، وأما صفحاته يقعان في(٤٦٠- ٦٥٠) صفحة[٢].

لقد ترجم المستشرق ماريانو جسبار نحو خمس عشرة رسالة من رسائل الريحانة إلى اللغة الاسبانية تضّمن رسائل تهاني بالفتوح ، ورسائل شكر عن الهدايا، وأغلبها مرسل من ملك غرناطة السلطان أبي الحجاج إلى ملك المغرب السلطان أبي عنان فارس، وتكون هذه الرسائل تحت عنوان:" المراسلات الدبلومانسية بين غرناطة وفاس في القرن الرابع عشر "[٣].

تميز كتاب الريحانة عن غيرة من المؤلفات بأنه كتب بأسلوب أدبي متميز، وقدم ابن الخطيب فيه الرسائل الملوكية، والرسائل السلطانية، والدبلوماسية، وكذلك المراسيم الإدارية في الأندلس، وكان ذلك في القرن الثامن الهجري .

---

(١) ينظر: ريحانة الكُتّاب ونُجعة المُنتاب ، لابن الخطيب، المقدمة، ١/ ٣.

(٢) ينظر: معيار الاختيار ،لابن الخطيب، المقدمة : ٣-٤.

(٣) ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب، لابن الخطيب : ١/ ٩ .

الفصل الثاني

فنون النثر في ريحانة الكُتّاب ونُجعة المُنتاب

- **المبحث الأول : الرسائل النثرية:**

فنون النثر في ريحانة الكُتّاب ونُجعة المُنتاب:

إذا ما وقفنا على النثر الأندلسي، فإننا سنتوقف على نثرٍ متطورٍ فكراً وأسلوبا وصناعةً؛لأنه مر بمراحل عديدة أسهمت في تطوره،وتعدّدت الفنون النثرية في الأندلس، حتى أصبحت تضم أغلب فنون النثر التقليدية التي عرفها المشارقة، وقد تضّمن كلاً من الخطب، والرسائل، والأمثال ومقامات، ومناظرات، والسير والتراجم.

وفي هذا الفصل سنحاول عرض بعض الفنون النثرية التي وردت في كتاب (ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب) للسان الدين بن الخطيب والتي جمعهن في كتابه

هذا خوفاً من أن تطالها آفة الضياع[1] فقال: "وقسمته إِلَى حمدلة ديوَان، وتهنئة إِخْوَان، وتعزية فِي حَرْب للدهر عوان، [وأغراض ألوان] ، وفتوح يجليها السلوان، ومخاطبات إِخْوَان، ومقامات آنق من شعب بوان، وَغير ذَلِك من أغراض ألوان، صنْوَان وَغير صنْوَان"[2].

وفي هذا الفصل سنتناول أكثر هذه الفنون وروداً في هذا الكتاب وهي:(الرسائل النثرية، والمقامات، والمفاخرات وأوصاف التراجم)، مع عرض وتحليل لطائفة من النصوص النثرية لكل فن نثري جسّدَ أسلوب الكاتب الأديب في سبكِ نصوصه النثرية وإيصالها إلى المتلقى برهافة حِسّ وثقافة ذوق أدبي ماتع.

(1) ينظر: ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، لابن الخطيب: ١/ ١٨.
(2) المصدر نفسه: ١/ ٢٠

المبحث الأول

الرسائل النثرية

- الرسائل الديوانية.
- الرسائل الاخوانية.

المبحث الأول: الرسائل النثرية

عرف الزبيدي الرسالة في اللغة بقوله "الرِّسالَةُ بالكسرِ: الْمَجَلَّةُ الْمُشْتَمِلَةُ عَلى قَلِيلٍ من المَسائِلِ الَّتِي تكونُ مِن نَوْعٍ وَاحِدٍ، والجَمْعُ رَسائِلُ"[١]. فيما عرفها القلقشندي اصطلاحاً بقوله:" الرسائل وهي جمع رسالة و المراد فيها أمور يرتّبها الكاتب من حكاية حال من عدوّ أو صيد أو مدح و تقريظ أو مفاخرة بين شيئين أو غير ذلك ممّا يجري هذا المجرى، و سمّيت رسائل من حيث أنّ الأديب المنشئ لها ربّما كتب إلى غيره مخبراً فيها بصورة الحال مفتتحةً بما تفتح به المكاتبات ثم توسع فيها فافتُتِحَت بالخطب و غيرها"[٢] .

فالرسالة هي:" لون من ألوان النثر الفني الجميل، وضرب من ضروبه التي تنهال على القريحة انهيالًا"[٣]. وأنَّ القصد من مفهوم الرسالة في الأدب هي القطعة الفنية يضعها الكاتب في نسق فني جميل، ويرسل بها إلى شخص آخر في غرض من الأغراض المختلفة[٤] .

وقد وجدنا رسائل لابن الخطيب قد رصفت في كتابه على النحو التالي:

-الرسائل الديوانية موضوعاتها: (الاعتذار،الشفاعة، التهاني والتعازي، التوسل والشكر، تقرير المودات، الفتوحات) .

- أما الرسائل الاخوانية موضوعاتها:(الدعابة، والفكاهة).

أولاً : الرسائل الديوانية:

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية :٢٩/ ٧٧.

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشا- القلقشندي- المطبعة الأميرية – دار الكتاب السلطاني – القاهرة – ١٣٣٨ هـ - ١٩١٩ م: ١٤/ ١٣٨ – ١٣٩.

(٣) أدب الرّسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري: فايز عبد النبيّ فلاح القيسي:٨٣ .

(٤) ينظر: المصدر نفسه:٨٣.

وتسمى أيضًا الرسائل الرسمية، وكان لها تقليدها أو رسومها، وهناك طبقة من الكُتاب برزت بهذا الفن، منهم عبد الحميد الكاتب*، وابن العميد**[1]، ونعني بالرسائل الديوانية هي:" ما تصدر عن الدواوين أو ترد إليها خاصةً بشؤون الدولة وصوالحها تيسيراً للعمل، وتثبيتاً للنظام العام؛ ويغلب على هذا النوع، الدقة والسهولة في التعبير، والتقيد بالمصطلحات الحكومية والفنية، والمساواة في العبارة، والبراءة من التهويل والتخيل، إذ كانت صورة لموضوعات وزارية وأفكار خالصة"[2].

ويستمر هذا المصطلح للرسائل الديوانية ذاته عند أغلب الدارسين الذين تناولوه، وفي هذا الموضوع يقول الدكتور أحمد الشايب معرفًا الرسائل الديوانية على إنها" كل المراسلات المخاطبات، والوثائق وغيرها من ضروب الإنشاء ذات الطابع الرسمي والتي تدخل في باب من أبواب ترتيب الحكم وتنظيم المملكة، وضبط شؤون الإدارة، ومراسلة الأطراف التي يكون التعامل معها على وجه من الوجوه داخل البلاد وخارجها، جزءاً من النشاط السياسي"[3].

---

* عبد الحميد الكاتب بن يحيى مولى العلاء بن وهب القرشي، ولد في النصف الثاني من القرن الأول للهجرة، ويقول من كتبوا عنه : أنه يرجع إلى أصول فارسية ، أو أنه كان من أهل الأنبار ، وسكن الرقة، وكان معلماً في الكتاتيب، ثم التحق بديوان الرسائل في دمشق، والرسائل والمقامات عبد الحميد الكاتب – بديع الزمان– الحريري، لعمر فرّوخ، دراسات قصيرة في الأدب والتاريخ والفلسفة، منشورات مكتبة ميمنة – بيروت، ط٢، بيروت، ١٣٦٩هـ – ١٩٥٠م: ٨ .

** ابن العميد هو محمد بن الحسين،ولد في أخر عام من المائة الثالثة، وتوفي عام ستين بعد الثلثمائة ولقب بابن العميد، فهو فاسي من أهل قم ، ونشأ من بيت فضل وصدارة،ولقب باين العميد على لقب والده على عادة أهل خراسان في أجرائه مجرى التعظيم، أديب وكاتب، ومن أعظم شعراء الحضارة العربية، وكان من أفضل منزلة في العلم والسياسة ، طاهر الأخلاق، ونفسه لا تكره ولا تبغض. ينظر: أمراء البيان، لمحمد كرد علي، مكتبة الثقافة الدينية للنشر،ط١، ١٤٣٣هـ– ٢٠١٢م: ٢/٥٥٢–٥٥٥.

(١) ينظر: فَنُّ التحرير العربي ضوابطه وأنماطه، للدكتور محمد صالح الشنطي، دار الأندلس للنشر والتوزيع، ط٥، ١٤٢٢هـ –٢٠٠١م: ١٧٣.

(٢) الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، للدكتور أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية للنشر، مطيعة الاعتماد بمصر،ط٢: ٩٠ .

(٣) النثر الأدبي في الأندلس في القرن الخامس، مضامينه وأشكاله، لعلي بن محمد، دار الغرب الإسلامي بيروت – لبنان، مكتبة لسان العرب، ط١، ١٩٩٠ :١/ ٢٠٨– ٢٠٩ .

ولقد تناولت الرسائل الديوانية شؤون أعمال الدولة، وما يتصل من منصب الولاة، أي الفتوح والجهاد، أخبار الولايات وولاة العهود، وعهود الخلفاء لأبنائهم وغيرهم، وأخذ البيعة للخلفاء وولاة العهود، وكذلك أخذت تهتم بالإغراض الأخرى نحو التهنئات بالنصر، والتعزيات، والشكر[1].

ونستنتج من ذلك أنَّ الرسائل الديوانية تهتم بشؤون الدولة، وكل ما يتعلق بالأمور الإدارية، والسياسية وغيرها من الأمور.

وعلى الأغلب يختار الأمير أو السلطان " كاتباً خاصاً يختاره من كبار الأدباء، وصار هؤلاء الكتاب يحتلون منزلة سامية ومكانة رفيعة يحسدون عليها في الدولة، لارتباط خطة الكتابة بالرياسة والسلطان، فصاروا في منزلة ليست دون منزلة القضاة فأجلهم عامة الناس وخاصتهم، ومما زاد في مكانتهم أنهم كانوا يصلون كرسي الوزارة ،لما يتحلون به من قدرة على تصريف الأمور في الدولة، ولما يكون فيهم من خبرات ومواهب"[2]،ويعد ابن الخطيب من أهم كتاب الدولة النصرية،بل عده بعض الدارسين من أهم كتاب الأندلس بمختلف عصورها.

وقد قسم ابن الخطيب رسائله الديوانية على وفق الغرض الذي كتبت لأجله الرسالة فقد وجدنا عنده:(التهاني بالصنائع المكيفات، التعازي، كتب الشفاعات، كتب الاستظهار على الأعداء، الشكر على الهدايا، تقرير المودات، جمهور الإغراض السلطانية، مخاطبات الرعايا والجهات، ظهاير الأمراء والولاة). وهي رسائل يكتبه للأمراء والسلاطين لترسل إلى طرف أخر سواء أكان موالياً أو معادياً، وسواء أكان فرداً أو جماعة، وهناك رسائل كتبها ابن الخطيب بنفسه إلى الأمراء والسلاطين ليشكرهم على العطايا تارةً أو يستعطفهم ويطلب شفاعتهم تارة أخرى، ويختلف أسلوب كل رسالة على حسب الموقف، والموضوع الذي كتب لأجله.

([1]) ينظر: تاريخ الأدب العربي– العصر العباسي الأول، شوقي ضيف، دار المعارف، النيل – القاهرة، ط٨، د.ت:٣/ ٤٦٨، وينظر: تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، لأنيس المقدسي، من منشورات الدائرة العربية في جامعة بيروت الأميركية، د.ط، د.ت: ١/ ٢٣٠ .

([2]) الأدب العربي في الأندلس: ٤٥٣ – ٤٥٤.

١-الرسائل الموجهة إلى الأمراء والسلاطين:

كتب لسان الدين بن الخطيب:[صدر عني كتاب عَن أَمِير الْمُسلمين أبي الْحجَّاج ابْن أَمِير الْمُسلمين أبي الْوَلِيد ابْن نصر*، إِلَى ملك الْمغرب السُّلْطَان أبي عنان ابْن السُّلْطَان أبي الْحسن**] نَصه بعد الْفَاتِحَة."الْمقَام الَّذِي مآثره الْعلية، لَا تحصى، ومكارمه [السّنيَّة عَمت] ، الْأَدْنَى والأقصى، وَأَحْكَام مجده ثبتَتْ فِي كتاب الْفَخر نصا، وبدور سعده، لَا تخَاف بِفضل الله نقصا، وعزايمه فِي نصر دين الْإِسْلَام...

أما بعد حمد الله، ولي المحامد على اخْتِلَاف الْأَنْوَاع مِنْهَا والأجناس، ... وَالصَّلَاة على سيدنَا مُحَمَّد رَسُوله،أكْرم الرُّسُل من شيت إِلَى إلْيَاس... فَنحْن نعتد بذلك الْملك، الْكَرِيمَة فِي الدّين صنايعه، وتؤمل أصراخه إِذا رَاع الْإِسْلَام رايعه، ونلتمس مِنْهُ علاج هَذَا الْقطر إِذا اضْطَرَبَتْ طبايعه... وَألقى إِلَيْنَا رَسُولكُم الشَّيْخ [القايد أَبُو مهْدي ابْن الزرقا]*** وصل الله سعادته، وحرس مجادته، مَا قصرتموه على المشافهة، من ألطاف الْبر، ومكنون الود الْكَرِيم السِّرّ، فأبلغ فِي أَحْكَام نَقله، بِمُقْتَضى دينه وعقله، واستوعب مَا تحمله عَنْكُم، بِمَا يَلِيق بِمثلِهِ، وَخرج عَن مضمن تِلْكَ الرسَالَة الْكَرِيمَة كُله... وَمن الِاتِّفَاق الَّذِي عددناه من سَعَادَة هديتكم، وحسبناه من آثَار نيتكم، مَا كَانَ من مُشَاهدَة رَسُولكُم، أعزه الله، قفول الْجَيْش بحضرتنا من غَزْوَة أغزيناه إِيَّاهَا إِلَى جِهَات عَدو الشرق، أبعد فِيهَا المغار، وسام من بهَا من الرّوم الصغار، وَأطلق فِي أوطانها السَّيْف وَالنَّار، واستباح جملَة من الْقرى بأحواز مَدِينَة الكرس****... ورسولكم القايد [الْأَجَل الريس أَبُو مهْدي] أعزه الله، يُقرر لديكم مَا حملناه، ويعرض

---

* يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر، الأنصاري الخزرجي، أمير المسلمين بالأندلس، أبو الحجاج. ينظر : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب :٥/ ٨٠.

** المتوكل على الله أبو عنان فارس بن أمير المسلمين أبي الحسن علي بن أمير المسلمين أبي سعيد عثمان بن أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق، وابنه أمير المؤمنين السعيد بالله أبو يحيى أبو بكر. ينظر: أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن : ٢٥٠.

***لم اعثر على ترجمه.

**** بالأندلس من عمل جيان صفة جزيرة الأندلس : ١٦٦.

بَـين يـديكم مَـا مـن الله أملنـاه، وفضـلكم بالإصـغاء إِلَيْـهِ كَفِيـل، ونظـركم جميـل، وَالسَّلَام"[1].

لقد كشف ابن الخطيب الغرض من كتابه هذا وهو توثيق المراسلات وجمعها خوفاً عليها من الضياع، ذلك يفتتح نصوصه بالإشارة إلى مرسل الرسالة والمرسل إليه خوفاً من وقوع الاشتباه في طرفي الرسالة.

إما موضوع الرسالة فقد وضعه ابن الخطيب تحت عنوان(الفتوحات الواقعة والمراجعات التابعة)، وهو كتاب طويل كتبه لسان الدين بن الخطيب إلى أبي عنان سلطان المغرب على لسان الأمير أبو الحجاج،يخبره فيه عن وضع البلاد والفتوحات والانتصارات التي تحققت لجيش المسلمين في مدينة الكرس، ويرسلها بيد رسول السلطان أبو عنان (الريس أبو مهدي).

لقد افتتح ابن الخطيب رسالته بذكر فضائل السلطان أبو عنان وأطال في الذكر(ستة عشر سطراً)، ثم استأنف بعبارة إما بعد: التي ذكر فيها الله سبحانه وتعالى وحمد وشكره ، ثم أوصل الذكر المقدس بذكر النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وثم عاد ليثني على الملك ويذكر محامده وفضائله وجعل من المدح بابا للدخول إلى غرض الكتاب، وهو أخباره بالانتصار على الأعداء وفد مدينة الكرس، على يد الأمير وجيوشه، ويجعل من الرسول (الريس أبو مهدي) شاهداً على ذلك النصر العظيم، ذكر أحداث الحرب وبث البشرى للملك يختم رسالته هذه بعبارة (والسلام).

ونلحظ من هذا العرض الموجز للرسالة إنها استوفت شروط بنية الرسالة من حيث موضوعها وطرفي الرسالة وأداة الاتصال، وجاءت بلغة منمقة تميل إلى استعمال الألفاظ الجزلة، التي تراعي الإيقاع الصوتي، فغالباً ما تنتهي فقرات هذه الرسالة بعبارات مسجوعة (فِي كتاب الْفَخر نصا، لَا تخَاف بِفضل الله نقصا، صنايعه، رايعه، طبايعه، من ألطاف الْبر، الْكَرِيم السِّرّ).

(1) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، لابن الخطيب :١/ ١٢٧.

وبهذه الصفات تكون الرسالة أعلاه نموذجاً للرسائل الديوانية التي تصدر عن دواوين الدولة المختلفة من مكاتبات رسمية مختلفة أمليت على ابن الخطيب، وحبرها بأسلوبه على لسان الأمير، وتعالج هذه الرسالة شؤون الدولة في حالة الحرب.

٢-موضوعات الرسائل التي يكتبها بنفسه إلى الملوك والسلاطين:

١-الاعتذار:

جاء في كتاب تهذيب اللغة للأزهري من(مَعْذِرَةً) بالنصب فهي:" اسْم على مفعِلة من عَذَر، يعذِر، وأقيم مُقَام الِاعْتِذَار"[١]، وهي عبارات موجزة بليغة، وقد كانوا الناس يقدمون شكاواهم إلى ملوك الفرس ووزراؤهم ليوقعوا عليها[٢].

ومن الاعتذار لدى لسان الدين بن الخطيب قوله:" وخاطبته مقرّرا للوسيلة والشفاعة سَيِّدي الْأَعْظَم، وملاذي الأعْصَم، وَعُرْوَة عزي الوُثقى الَّتِي لَا تُفصم، أبقاك الله بَقَاءً... يَأْمر الدَّهْر فيأتمر، ويُلبي بثَنائِك الطَّائِفً والمُعْتمر، بِأَيّ لِسَان أثنى على فواضلك، وَهِي أُمهات المنن، وطوفُ الشَّام واليمن، ومقامات بَديع الزَّمن، والتُّحف المترفَّعة عَن الثّمن، فحسْبي دُعَا أُرَدّدُه وأواليه، وأطلب مَطْلُوب الْإِجَابَة من مقدمه وتاليه، وَإِن تشَوَّف الْمُنعم للْحَال الْمَوْقُوف، جَبْرُها بِمَشِيئَة الله على جميل سَعْيه، الموسدة على وطَاءِ لُطْفه، المُفشاة بغطاءِ رَعْيه، فَقلب خافق يجاوبُه وسواسٌ... "[٣] .

ومن ذلك قوله أيضًا في الرسالة نفسها: "كتبتُ إِلَى سَيِّدي والخجل قد صَبغ وَجه يَرَاعِي، وعقم مِيلَاد إنشائِي واختراعي، لمكارمه الَّتِي أعْيَتْ مِنَّهُ ذِراعي، وَعَجَز فِي خوض بحرها سفِينتي وشِراعي... وَإِن تشوَّف سَيِّدي بعد على حَمده وشكرا، واستنفاد الوسع فِي إطالة حَمده، وإطابة ذكره إِلَى الْحَال، ففلان حفظه الله يشْرَح مِنْهَا الْمُجْمل، وَيبيّن من عواملها المُلْغى والمُعْمل"[٤].

---

(١) تهذيب اللغة: لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تح: محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب، (أبواب العين والذال ، مادة: عذر): ٢/ ٣٠٦ .

(٢) ينظر: تاريخ الأدب العربي- العصر العباسي الأول ، شوقي ضيف:٣/ ٤٨٩ .

(٣) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، لابن الخطيب: ٢/ ١٢٦ .

(٤)المصدر نفسه:١٣١/٢. وله في هذا الفن اثنتين وعشرين رسالة : ٦٤/٢-٢٢٦.

فما يُلحظ من رسائل الاعتذار الإقرار بالغرض في أول الرسالة، وهو ما لا يظهر في كل أنواع الرسائل التي يكتبها، فهو لا يصرح بالغرض في الرسالة بل يبقي عليه ضمنيا مهما كان الغرض وهنا حصل العكس، ويلاحظ كثرة الحجاج العقلي، والإطالة في المقدمة والافتتاح، ومن ثم اعتذاره عن هذه الإطالة وهو ما لم يفعله في كل رسائله. وقد تأنق الكاتب في هذا الأسلوب كثيرا فقد عمد إلى السجع بكثرة ومن ذلك: (الأعظم،الأعصم، تفصم)، ثم قوله : (فيأتمر، والمعتمر)، ثم قوله: (المنن، واليمن، الزمن، الثمن) ،ومن ذلك قوله: يراعي ،إنشائي واختراعي ، ذراعي ،سفينتي وشراعي ومنه أيضا : (محصورا، منصورا، مقصورا، هصورا، حصورا) وأمثال ذلك الكثير .

٢- الشفاعة:

ذكرت أصل الشفاعة من الفعل شفع " واسْتَشْفَعْتُهُ إلى فلان ،أي سألته أن يشفع لي إليه، وتَشَفَّعْتُ إليه في فلان فَشَفَّعَنِي فيه تَشْفِيعًا"[١].

وأصبحت الشفاعة لونًا أدبيًا في فن الرسائل، وهو معروف منذ القدم، بأن يبعث الكاتب برسالة يشفع فيها لشخص عند الخلفية أو الوزير أو الأمير وغيره[٢].

ومن رسائل الشفاعة لدى لسان الدين بن الخطيب ما صدر عنه للسلطان أبي عنان قوله: "أما بعد حمد الله ولي الْحَمد وَأَهله، وَالثنَاء عَلَيْهِ بمتواتر جوده ومترادف فَضله، الَّذِي نمحض الود الْخَالِص من أَجله، ونصل الْيَد على دفاع من حاد عَن سبله، ونخلص الضمائر لإعلاء دينه الْحق وَجمع شَمله. وَالصَّلَاة على سيدنَا ومولانا مُحَمَّد خير أنبيائه وَخَاتم رسله، الَّذِي يعول على جاهه فِي الْأَمر كُله ...إن الشَّيْخ

---

(١) الصّحاح تاج اللّغة وصحاح العربيّة : إسماعيل بن حمّاد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين ، بيروت– لبنان، ط٣ ،١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م، (مادة: شفع): ٣ / ١٢٣٨.

(٢) ينظر: كنز الكتاب ومنتخب الآداب، لأبي إسحاق إبراهيم بن أبي الحسن علب بن أحمد بن علي الفهري الشريشي المعروف بالبونسي(المتوفى: ٦٥١هـ)، تحقيق ودراسة حياة قارة، المجمع الثقافي، أبو ظبي – الأمم العربية المتحدة، د.ت، د.ط:١/ ٣٤٧ ، وينظر: التذكرة الحَمدُونيّة ،لابن حمدُون محمد بن الحسن بن محمد بن علي، تحقيق إحسان عبّاس، وبكر عبّاس، دار صادر بيروت– لبنان، ط١، ١٩٩٦: ١٦٦/٨ .

الْفَقِيه الْخَطِيب الْحَاج أَبَا عبد الله بن مَرْزُوق، وصل الله عزته، وَيسر وجهته، لما ورد علينا، وَاسْتقر لدينا، وَهُوَ جملَة من جمل الْفضل، والمستولى على أمد الخصل، وَفَارِس المنابر يروض صعابها ويفرع هضابها، قمنا جهد إمكاننا بِحقِّهِ، وعرفنا لَهُ مزية سبقه، واقتدينا بكم وبسلفكم فِي ترفيع قدره، والمثابرة على بره، وسوغنا لمستفيد الْعلم مورد إفادته، وشددنا عَلَيْهِ يَد الِاغْتِبَاط فِي إبدائه وإعادته، إِذْ هَذَا الْقطر الْمُنْقَطع،يتوفر فِيهِ الِاغْتِبَاط بحملة السيوف وَحَملَة الْعُلُوم،هَؤُلَاءِ لإِقَامَة الْجِهَاد المحتوم، وَهَؤُلَاء لإِقَامَة مَا للدّين من الرسوم. وَمَعَ ذَلِك فَلم يقر لَهُ بتفريق شَمله قَرَار، وَلَا فارقة إِلَيْهِم حنين وَلَا أذكار، والأوطان هِيَ الْأَركان وَالْأَوْلَاد ثَمَرَة الْفُؤَاد، وأفلاذ الأكباد. وَلما صدر فِيمَا تقدم من التمَاس وصولهم مَا لم يهيئه الْمِقْدَار، وَلَا صَحبه الِاخْتِيَار... والآن أفْصح بتغلب شوقه ووجده، وارتفاع أعذاره، واستقامة قَصده، وَشرع فِي اللحاق ببابكم الْأَعْلَى بغاية جده، وَطلب منا أَن نخاطبكم فِي شَأْنه، ونستمطر لَهُ من مقامكم سحائب إحسانه، ونرغب مِنْكُم فِي تيسير أمله ورغبته، وإسعاف غَرَضه، ونيل طلبته، ... وَفِي تسني أمله يحول الله آمال. وَهُوَ سُبْحَانَهُ يصل سعدكم، ويحرس مجدكم، وَالسَّلَام الْكَرِيم، الْبر العميم، يخص مقامكم الْأَعْلَى، وأخوتكم الفضلى، وَرَحْمَة الله وَبَرَكَاته"[1]

نجد رسائل الشفاعة في النص السابق أقصر طولًا من سابقيها فقد اختصر الكاتب في مقام الشفاعة رسالته، وجعلها واضحة المعالم مختصرة الكلمات، وهي على ذلك لم تخلُ من الصنوف البلاغية الكبيرة، فجاءت مشتملة على أكثر الصنوف البلاغية منها: الصور المجازية في الرسالة: (ونصل اليد على دفاع من حاد عن سُبله)، والتعبير على الصورة الكنائية، وهو كناية عن النعمة والفضل، ومن ذلك قوله: (ونأوي في الدنيا والآخرة إلى ظله) وهو أيضا كناية عن الفضل والجود الكبير، ومن صور المجاز أيضا قوله:(المستمسكين بمتين حَبله)،وهو استعارة تصريحية حيث شبه الدين بالحبل وحذف المشبه وترك شيئا يدل عليه ومن ذلك قوله: (تطلع

([1]) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، لابن الخطيب: ١/ ٣٤١- ٣٤٤ ، وقد صدر عنه في الشفاعات ستة رسائل: ١/٣٤١- ٣٥٩

في أفق الإسلام كواكبه)،وهنا شبه الإسلام بالسماء التي لها أفق وهو على سبيل الاستعارة المكنية.ومن ذلك قوله:(ونصرا تسطر في صحف الأيام عجائبه)، وهنا التعبير على الاستعارة المكنية حيث شبه الأيام بإنسان له صحف، ومنه قوله:(الذي يخجل الزهر حين مقتطفه)،وهو أيضا استعارة مكنية حيث شبه الزهر بإنسان يخجل، ومن هنا يتبين أن الرسائل الديوانية "يختلف أسلوبها بحسب أغراضها ، فهي تمتاز ببسط الكلام"[١] وسيادة السجع فيه ، وقد وجدنا ألوانا متعدد في رسائل ابن الخطيب الديوانية فهي متعددة كثيرة الأغراض ، ومن أهم ألوانها[٢] :

أ- الرسائل الموجهة للولاة .

ب- الرسائل الموجهة للقضاة .

ج- الرسائل الموجهة للعامة .

د- رسائل الزجر وتهديد الخارجين على الحكم .

هـ- رسائل التهنئة بالخلافة .

و- الرسائل الحربية.

٣-التهاني والتعازي:

التهاني في اللغة هي: هنيته على الشيء الذي يسرَّ به تهنية وهنأته تهنئة[٣]، وأمَّا التعازي أصله جمع تعزية، العزاء: الصَّبر عن كل ما خسّرته أو فقدنه، وتقول :عَزيتُ فلانًا أعزّيه تعزيةً، فتعزّى تعزيا أي تصبر تصبرا[٤].

ولقد يتطلب في رسائل التهنئة والتعزئة، أن يذهب الكاتب في رسائل التهنئة إلى شيء من الإطناب؛ لأنه موضع الحديث في مستحب، وبينما رسائل التعزية يذهب الكاتب إلى الإيجاز، وعدم الإطالة فيها[٥]

---

(١) فنون النثر : ١٦٧ .

(٢) ينظر تطور الأساليب النثرية : ٣٣٤

(٣) ينظر: جمهرة اللغة، لابن دُريد أبي بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري(المتوفى ٣٢١هـ)، مكتبة المثنى، بغداد، ط١، ١٣٥٤هـ، (مادة: نَ هَ ىَ) :٣/ ١٨٣ .

(٤) ينظر: لسان العرب،(مادة: عزا): ٩/ ١٩٥ – ١٩٦.

(٥) ينظر: فَنُّ التحرير العربي ضوابطه وأنماطه: ١٧٣ .

وَمن قول لسان الدين بن الخطيب في التهاني فِي الإبلال من الْمَرَض، مَا صدر عنه مهنئا أَمِير الْمُسلمين أَبي عنان (رَحْمَه الله)، ومن ذلك قوله: "الْمقَام الَّذِي شِفاؤه لِلْإِسْلَامِ شِفَا، وبرؤه نعْمَة عميمة مَا بموقعها خَفَا، وشِيمه فضل وَعدل ووفا. فللقلوب بِهِ ابتِهاج، وللصدور انْشِرَاح، وللعيون إغفال، ...

أمَّا بعد حمد الله، كاشف ظُلمَة الغما بِنور صباح النَّعماء وَمذهب وَحْشَة الألواء بأنس رَحمته المنشورة اللِّوَاء، الْحَكِيم الَّذِي لَا يفْتَقر فِي إِزَالَة الأدواءِ، إِلَى وَاسِطَة الدَّوَاء وَلَا يفر مَعَ اسْمه الْكَرِيم فِي الْأَسْمَاء شَيءٌ لَا فِي الأَرْض وَلَا فِي السَّمَاء،... وَالْحَمْد لله الَّذِي أقَال وَفكَّ العقال، وكفا الكرب الثقال، ووفى الْأجر، وَهُوَ لَا يظلم مِثْقَال، وجدَّد لسيفه الْمَاضِي الصّقال، وَجمع لكم بَين الأجور الوافية، من الصَّبْر على الْأَلَم، وَالشُّكْر على الْعَافِيَة. وَعلمنَا فِي إعلامكم أيانا بِهَذِهِ النِّعْمَة، فكأننا من إِيثَار أخوتكم، فزادت المسرة أضعافا، وَثبتت قواعدها ثبوتا لَا يحْتَمل خلافًا، وَوَجَب الشُّكْر اعتقادا واعترافا، فَلَا تسلوا عَمَّا عندنَا من الابتهاج والاستبشار ،وَالسُّرُور الْمشرق الْأَنْوَار، وَكَيف لَا تُسَرُّ بِنِعْمَة الله قبلكُمْ هَذِه الْجِهَات التي مَا عدمت مِنْكُم، وَلَا من سلفكم عناية، وَلَا فقدت حالىّ الشَّدة والرخاء رِعَايَة، فَكلما أفلت آيَة، طلعت آيَة، وَكلما تعرفت رَأيا، اسْتقْبلت راية، وَالله تَعَالَى، يحفظ من عزائمكم الْعُدَّة الَّتِي بهَا نتَّقي عَدو الْعَدو، ونخطب أملهَا المرجو ،ونعمر بتأميلها الروَّاح والغدو. وَنحن نهنئكم، وَإِن كُنَّا أَحَق بالهنا، ونبدي من التَّشَيُّع مَا يَلِيق بكريم الإخا"[1].

جاءت الرسالة على أبلغ ما يكون متأنقة بعيدة عن التكلف في الصنعة، فنّوع بين الحقيقة والمجاز فقد استعمل الاستعارة في كثير من المواضع، نحو قوله :(بأنس رحمته المنشورة اللواء)، وهنا استعارة مكنية إذ شبه الرحمة بجيش له لواء ينشره، وقد جاء الأسلوب مائلا إلى التقرير، خاليا في أكثر أحيانه من المؤكدات؛ نظرا لكون الرسالة في التهنئة ومقام التهنئة لا يستدعي التوكيد ولا حتى الميل إلى المحاجة والاستدلال ولا غيره بل ما إلى الخطاب المباشر، ثم عمد إلى الجناس وهو أقل من

([1]) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، لابن الخطيب:٣١٨/١-٣١٩، وقد صدر عنه في التهاني بالصنائع إحدى وعشرين رسالة :٢١٦/١- ٣١٨، وقد صدر عنه من التهاني في الإبلال من المرض رسالتين:٣١٨/١-٣٢٥ .

السجع، وقد أتى بجميع الجناس فيها ناقصا، ومن ذلك قوله : (اللأواء، الأدواء، إجزال، وإجمال) ويلاحظ أيضا الطباق في الرسالة قد حضر في بعض المواضع، كما في قوله "الأرض والسماء" وكذلك الطباق بين (فكلما أفلت آية، طلعت آية).

ثم حضر الترادف ببعض أشكاله كما في قوله : (الشكر والثنا) وكذلك قوله: (عناية، رعاية) وقوله : (الشدة والرخاء).

وكل ما سبق قد خلق حالة من الترابط،والتماسك النصي بين نسيج الرسالة، مما جعلها تظهر في صورة بلاغية رائعة.

ومما كُتب من الرسائل في التعازي والتهاني قول لسان الدين بن الخطيب قوله:"الْمقَام الَّذِي صبره فِي النوائب جميل. وشكره على الْمَوَاهِب بالمزيد كَفِيل، وفضله لَا يلتبس مِنْهُ سَبِيل وَحكم فخره لَا يتطرقه تَعْلِيل، ومحكم مجده لَا يتَنَاوَلهُ تَأْوِيل، مقَام مَحل أخينا الَّذِي استولى على غايات الْكَمَال مجده، وَرفع راية الْعِنَايَة الإلهية سعده، واشتهر فِي مقَام الصَّبْر صبره، وَفِي مقَام الشُّكْر، شكره وحمده، وطوق الْأَعْنَاق بذله ورفده وشف نور قلبه بإلهام من ربه، فأخلص ضَمِيره لمن يوده، السُّلْطَان الكذا أبي عنان ابْن السُّلْطَان الكذا ابْن السُّلْطَان الكذا. أبقاه الله مشكور المساعي والخلال، جليل الْخطر خطير الْجلَال، كَامِل الذَّات ذاتي الْكَمَال، جَارِيا على مهيع السّنة فِي جَمِيع الْأَحْوَال، مُعظم سُلْطَانه الَّذِي تَعْظِيمه فرض محتوم، وموقر ملكه الَّذِي لَهُ فِي الْملك حق مَعْلُوم، الْمثنى على مكارمه الَّتِي تطابق مِنْهَا مَنْقُول وَمَفْهُوم، ومساهمه فِيمَا سَاءَ وسر حكمهَا فِي صَحَائِف الصدْق مرسوم. الْأَمِير عبد الله يُوسُف ابْن أَمِير الْمُسلمين أبي الْوَلِيد بن فرج بن نصر. سَلام كريم، طيب بر عميم، يخص مقامكم الأعلى، وَرَحْمَة الله وَبَرَكَاته.

أما بعد حمد الله الَّذِي بِيَدِهِ الْأَمر كُله، وَلَيْسَ فِي الْوُجُود إِلَّا فعله، وَالتَّسْلِيم لأحكامه، وَالشُّكْر على إنعامه، أولى مَا اكْتسب بِهِ رِضَاهُ واستزيد بِهِ فَضله، وَالصَّلَاة وَالسَّلَام على سيدنَا ومولانا مُحَمَّد رَسُوله الْمُصْطَفى الْكَرِيم ، الَّذِي ختم بِهِ رسله، وَنبيه الْعَظِيم قدره، الْكَرِيم مَحَله، ملْجأ الْأمة يَوْم لَا ظلّ إِلَّا ظله، وَالرِّضَا عَن آله وَأَهله وَأَصْحَابه، ..."[1].

([1]) ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب، لابن الخطيب: ١/ ٣٢٦-٣٢٨ .

نلاحظ أن رسالة التعزية جاءت مختصرة عن رسالة التهنئة وكذلك أيضا لم يكثر فيها الأشكال البلاغية التي كثرت في رسالة التهنئة وذلك لضيق المقام في التعزية، وكذلك في الطول والكثرة، ويلاحظ أيضا ميل الرسالة إلى تقرير حقيقة الموت الذي كتب على كل البشر، والسعي وراء الصبر والسلوان من خلال ذلك التقرير.

٤-التوسل والشكر:

التوسل في اللغة فهي: من الفعل "وسل: والواسل: الراغب إلى الله، ومن ذلك اشتقاق الوسيلة"[١].

قال الجوهري في الصحاح:" الوسيلة: ما يتقرب به إلى الغير. والجمع: الوسيلة والوسائل والتوسل واحد وسل فلان إلى ربه وسيلة وتوسل إليه بوسيلة أي تقرب إليه بعمل"[٢].

ومن ذلك قول لسان الدين: " وخاطبته مقررا للوسيلة والشفاعة سَيِّدي الْأَعْظَم، وملاذي الأعصم، وَعُرْوَة عزي الوثقى الَّتِي لَا تفصم، أبقاك الله بَقَاء ....، وَلَقَد كَانَت مراسل الرُّسُل قَصِيرَة قبل أَن يكسبها رحلى ثقل الْحَرَكَة، ويخلط خاصمي فِي وظائفها الْمُشْتَرَكَة. وليت أَمْرِي برز إِلَى طرف، وأفضى إِلَى منصرف، وَرُبمَا ظهر أنس بِمَا يرجوه، وبرز المحبوب من الْمَكْرُوه، وَالله لَا يفضح جاه الْكتاب الَّذِي أَحْيَا وأنثر، وَحيا وَبشر، وَأعْطى صَحِيفَته بِالْيَمِينِ، وَقد جمعت مثابتكم الْمَحْشَر. وموصل كتابي يَنُوب فِي تَقْبِيل الْيَد العلمية منابي، وليعلم سَيِّدي أَن هَذَا الْقطر على شهرته، وتألق مُشْتَرِيه وزهرته،...، وَالله يوفر من إِيثَار سَيِّدي حَظه، ويحدد لَدَيْهِ رعيه ولحظه، حَتَّى يعود خافقا علم إقباله، معلما برد اهتباله، مَسْرُورا ببلوغ آماله. فلعمري أَن مَحل ولَايَته يَكْفِي، وَأَن عمر أَمَانَته لوفي، وَأَن عَامل جده لظَاهِر وخفي، وَمَا يَفْعَله سَيِّدي من رعيه، وإنجاح سَعْيه، مَحْسُوب فِي جملَة مذاهبه، ومعدود فِي فضل مكارمه ومواهبه. وَالله يبقيه، وَيَضَع الْبركَة فِيهِ. وَالسَّلَام الْكَرِيم يَخُصُّهُ كثيرا أثيرا. وَرَحْمَة الله تَعَالَى وَبَرَكَاته"[٣].

---

(١) مجمل اللغة لابن فارس: ١/ ٩٢٥.

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : للجوهري،(مادة وسل) : ٥/ ١٨٤١

(٣) ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب ، لابن الخطيب:٢/ ١٢٦ -١٢٧، وله في هذا الفن اثنتين وعشرين رسالة، (٢/٦٤-٢٢٦).

ومما يلاحظ في رسائل والتوسل والشكر الإقرار بالغرض في أول الرسالة ، وهو ما لا يظهر في كل أنواع الرسائل التي يكتبها، فهو لا يصرح بالغرض في الرسالة بل يبقي عليه ضمنيا مهما كان الغرض وهنا حصل العكس ، كذلك كثرة الحجاج العقلي ، والإطالة في المقدمة، والافتتاح ، ومن ثم اعتذاره عن هذه الإطالة وهو ما لم يفعله في كل رسائله.

٥- **تقرير المودّات:**

وهي في اللغة : وهي من الوداد أي : المحبة[١].ويقصد بتقرير المودات هنا أي : الإقرار بالحب والإخاء للمرسل إليه بتلك الرسالة ، وهي من أقدم أنواع الرسائل[٢].

ومن الرسائل لدى لسان الدين بن الخطيب في تقدير المودّات قوله: " وَإِلَى هَذَا أيَّد الله أَمركُم وَأَعلاهُ،وخار لسلطانكم الرِّضَا وتولاَّه، فقد علم الْحَاضِر وَالْغَائِب،وخلص الخلوص الَّذِي لَا تغيره الشوائب، مَا عندنَا من الْحبّ الَّذِي صفت مِنْهُ المشارب، والتشيع الَّذِي وضحت مِنْهُ الْمذَاهب. وإننا من لدن اتَّصل بِنَا مَا جرت بِهِ الْأَحْكَام من الْأُمُور الَّتِي صَحِبت مقامكم فِيهَا الْعِنَايَة من الله والعصمة، وجلبت على الْعباد والبلاد الْوِقَايَة وَالنعْمَة، لَا يسْتَقرُّ بقلوبنا الْقَرار، وَلَا تتأتى بأوطاننا الأوطار تشوفًا لما تنتجه لكم الأقدار، ويبرزه من سعادتكم الليل وَالنهار. ورجاؤنا فِي اسْتِئْنَاف سعادتكم يشْتَد على الْأَوْقَات ويقوى، علما بِأَن الْعَاقِبَة للتقوى، وَفِي هَذِه الْأَيَّام عميت الأنبا، وتكالبت فِي الْبر وَالْبَحْر الأعدا، وَاخْتلفت الْفُصُول والأهوا، وعاقت الوُرَّادَ الأنوا، وعَلى ذَلِك فَلم يَنْقَطِع من فضل الله الرجا"[٣]

ومن قوله أيضاً: "فَإِنَّا كتبناه إِلَيْكُم، كتب الله لكم من الْعِزّ أوفاه قسما، وَمن الصنع الْجَمِيل أوضحه رسما، وَمن السعد المساعد أثْبته رسما، وأكرمه اسْما ومسما، وَلَا زَالَت بعزكم حوزة الْحق تحمى، وشاكلة النَّصْر ترمى. فإننا لَو تنخلنا آمالنا، واعتبرنا بمعيار الِاخْتِيَار أَعمالنَا، لوجدنا صلَة ودكم لبابها، وحسبناها جسوما وقوى التَّشَيُّع لكم ألبابها، وبودنا لذَلِك أَن تكون المخاطبات تَتَعَدَّد بِتَعَدُّد أَجزَاء الزَّمَان وتنتظم على

---

(١) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، للجوهري، (مادة: ودد):١٢٣٥.

(٢) ينظر : تاريخ الأدب العربي ، شوقي ضيف ، ٤٧٨/٢.

(٣) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، لابن الخطيب:٤٢٩/١- ٤٣٠ .

السَّاعَات انتظام الجمان. فَلَا نزال نثابر على ذَلِك بِجهْد الْإِمْكَان، ونعذر الْعَزْم مهما احْتج بتزوح الْمَكَان، وإننا الْآن وجهنا من يجدد الْعَهْد بِهَذَا الْغَرَض، وَيقوم مِنْهُ بِالْوَاجِبِ المفترض، ويصحب مَا حمل الإدلال عَلَيْهِ من قَلِيل، سوغه الْفضل الْكثير، ويسير بِحل بغناء الْمجد الْكَبِير، من مطايا تشرفت بخدمته، وَغير ذَلِك من مُعْتَاد يتوسل إِلَى قبُوله بِمَا سبق من أذمته"[1].

مما نلاحظ من أسلوب ابن الخطيب في هذه الرسالة سلاسة الأسلوب وبساطته والبعد عن الصنعة التي أرهقت بعض ناثري عصره ويلحظ أيضا تأثره بثقافته واهتمامه بالطريقة المنطقية.

٦-الفتوحات :

والأصل أنها في اللغة من الفتح : "وهو توسعة الضيق حس اومعنى"[2]. والأصل أنه يطلق هنا على الفتح الإسلامي للبلاد ، وقد حوله الكاتب للون أدبي يكتب فيه رسائل الشكر لله ، وتهنئة الفاتحين.

وقال لسان الدين بن الخطيب في هذا الشأن فِي مُخَاطبَة السُّلْطَان بالمغرب أَمِير الْمُسلمين أبي عنان الْمُتَقَدّم ذكره، مُعَرفا عَن أَمِير الْمُسلمين أبي الْحجَّاج بن نصر بِفَتْح حصن قنيط: " أما بعد حمد لله الَّذِي يسر لنا من لطفه الْخَفي سَبِيلا وَاضحا ومنهاجا، وجدد علينا ملابس الإقبال بسعادة ملككم السَّامِي الْجلَال، وَقد كَادَت ترق انهاجا، فاتح أَبْوَاب الأمل، إِذا سامتها الشدايد أرتاجا، ومسخر ضروب الْأَيَّام، وَقد أعيت جماحا ولجاجا. وَالصَّلَاة وَالسَّلَام على سيدنَا ومولانا رَسُوله، الَّذِي أطلع مِنْهُ فِي أفق المهدى، سِرَاجًا وهاجا، وَأَقَام بِهِ عماد الْحق لَا يعرف اعوجاجا، وَعقد عَلَيْهِ من جاه الشَّفَاعَة الْعَامَّة تاجا، وأيده بنصره وَبِالْمُؤْمِنِينَ، وأمده فِي الأَرْض بملايكته المسومين أَفْوَاجًا. وَالرِّضَا عَمَّن شملته حُرْمَة جواره، ووسعته رَحْمَة قربه وحبهوإيثاره صحابة وقرابة وأزواجا، الَّذين لم يألوا فِي شدّ أزره، وإعلا أمره التحاما

([1]) ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب، لابن الخطيب:٤٤٦/١، وله في هذا الفن خمس وعشرون رسالة :٤٢٤/١-٥١٢.

([2]) التوقيف على مهمات التعاريف ، زين الدين: ٢٥٦.

وامتزاجا، وإلجاما فِي مجاهدة عداهُ وإسراجا، فَكَانُوا غيوثا كلما باشروا احتياجا، وليوثا كلما حَضَرُوا هياجا، فانبلج بهم صباح الْحق انبلاجا، وَلم يدع هديهم فِي النُّفُوس ريبا، وَلَا فِي الصُّدُور اختلاجا. وَالدُّعَاء لمقامكم الْأَعْلَى أبقاه الله بحرا بأمواج الكتايب الناصرة عجاجا، وغماما لغيوث الْمَوَاهِب الهامرة ثجاجا، واطلع عَلَيْهِ من أنباء الصنع الْجَمِيل على يَدَيْهِ، مَا يهز عطفه الْكَرِيم ارتياحا وابتهاجا، وَلَا زَالَت كواكب يمنه أسعد أبراجا، وأدلة سعده، أوفى حظوظا فِي حُدُودهَا وأوفر أدراجا، وَجعل عزمه الأمضى، وسعيه الأرضي، لعلل الدّين وَالدُّنْيَا علاجا. فَإِنَّا كتبناه إِلَيْكُم، كتب الله لكم صنعا، يسحب من أذيال المسرات المستمرات عصبا وديباجا، وَعزا يطوف بمقامه وُفُود البشاير حجاجا. من حَمْرَاء غرناطة حرسها الله، وَعِنْدنَا من الثِّقَة بِاللَّه عُقُود لَا يتَطَرَّق إِلَيْهَا انفصام، وَمن التَّوَكُّل عَلَيْهِ حصن حُصَيْن إِلَيْهِ فِي الشدايد والاعتصام..."[1].

فتجري الرسالة على أجزاء وهي كعادة رسائله بالمدح، والثناء على الله ، ثم الصلاة على النبي وهي مقدمة في كل رسائله ، ولكنه هنا يعمد إلى تقسيم الرسالة بنوع آخر ، فهي يعمد بعد الافتتاح إلى مدح الفاتحين ، ومن ثم يذكرهم بأمجاد أجدادهم الفاتحين، ثم يعمد إلى فضل الجهاد والثناء على المجاهدين وذكر شجاعتهم.

ثانيا: الرسائل الاخوانية:

إذا كان المراد بالرسائل الديوانية هو ما يصدر عن دواوين الدولة المختلفة من مكاتبات رسمية مختلفة أمليت على الكاتب أو أنشأها بنفسه ، وحبرها بأسلوبه على لسان الخليفة ، أو من ينوب عنه ، وتعالج هذه الرسائل شؤون الإدارة والتنظيم الداخلي الذي يتعلق بالحياة العامة ، فإن الرسائل الاخوانية تبتعد عن الجانب الرسمي لاختلاف غرضها، فالأولى تؤدي وظائف رسمية، أما الأخرى فهي عادة تكون بين عامة الناس من الأهل، والأقارب، أو الأصدقاء، الأحباء والمتخاصمين، و"المكاتبات الإخوانيّة، وربما وقعت في المكاتبات الملوكية إذا كان قدر الملكين

(1) ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب، لابن الخطيب:١/١٣٤-١٣٦. وله في هذا الفن عشر رسائل، من ١/١٢٧-٢٠٥.

المتكاتبين متقاربا، وهو نسبة إلى الإخوة، وكأنه جعله أخاه حقيقة"[١]، تؤدي وظائف غير رسمية مثل: (التهنئة أو التعزية، أو العتاب، والشكر، أو الذم)، ولهذا كان بناء هذه الرسائل أقل كلفة من سابقتها وإلى هذا أشار القلقشندي(المتوفى:٨٢١هـ) في قوله: وليس لمصطلحهم ضابط في الابتداء، ولا الترتيب في الرفعة والضعة، بل افتتاحاتهم في ذلك متباينة، فمن ذلك أنهم كانوا يفتتحون رسائلهم بالدعاء وهو أكثر ما يقع في مكاتباتهم"[٢]،وهذا ما جعل الرسائل الديوانية "ميدان فسيح يتبارى فيه الكتاب والأدباء ،ويتيح لأقلامهم أن تنطلق على سجيتها،وأن يعبر أصحابها عن عواطفهم الشخصية في لغة مصقولة وأساليب قوية موشاة"[٣].

ومن أمثلة الرسائل الاخوانية ما كتبه ابن الخطيب لابن خلدون وقد جاء فيها: "فَمن ذَلِك مَا خاطبت بِهِ أَبَا زيد بن خلدون [وَقد اشْترى بكرا من بَنَات الرّوم مولدة اسْمهَا هِنْد وأعرس بهَا]

أوصـــيك بالشـــيخ أَبَـــا بكـــرَ لَا تـــأمنين فِـــي حَالَـــة مكـــره

واجتنـــب الشَّـــك إِذا جِئْتـــه جَنْبـــك الـــرَّحْمَن مَـــا تكـــره

سَيِّدي، لَا زلت تتصف بالوالج بَين الخلاخل* والدمالج**، وتركض فَوْقهَا ركض الهمالج***. أَخْبرنِي كَيفَ كَانَت الْحَال، وَهل حطت بالقاع من خير الْبِقَاع الرّحال، وَأحكم بمرود المراودة الاكتحال،وارتفع بالسقيا الإمحال،وَصَحَّ الانتحال، وحصحص الْحق، فَذهب الْمحَال..."[٤].

نلحظ أن البناء الفني لهذه الرسالة يختلف عن البناء الفني للرسائل الديوانية التي كتبها ابن الخطيب للملوك أو على لسانهم، فقد افتتح ابن الخطيب رسالته هذه

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشا، للقلقشندي :٦/ ٥.
(٢) المصدر نفسه: ٨/ ١٦٧.
(٣) الأدب العربي في الأندلس، عبد العزيز عتيق:٤٥٤ .
* الخلاخل: ثوب رقيق تلبسه الفتاة، أو حلية تلبسها النساء. ينظر تاج العروس: ٢٨/ ٤٣٤، و المعجم الوسيط: ١/ ٢٤٩.
**الدمالج: سوار يُحِيط بالعضد وَالْحجر الأملس: ينظر: المعجم الوسيط: ١/ ٢٩٧.
***الهَمالِجُ: جَمْعُ الهَمْلَجة فِي السَّيْرِ أَي أَنَّ هَذَا الْبَعِيرَ السَّانيَ يُحْسِنُ الْمَشْيَ بَيْنَ الْبِئْرِ وَالْحَوْضِ. وَدَابَّةٌ هِمْلاج: وَاحِدُ الهَمالِيج.لسان العرب :٢/ ٣٩٤.
(٤) ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب ،لابن الخطيب: ٢/ ٢٢٦.

بأبيات من الشعر يمازح فيها الكاتب ابن زيدون وهو يخاطب عروسه الجديد، فهو يوصيها به خيراً وينبهها على طباعه التي يجب عليها أن لا تأمن مكره، كما ويوصيها بتجنب الشك بابن زيدون لان الشك في يوصلك إلى ما تكرهين، ونلحظ روح الدعابة في هذا النص الشعري إذ أنه يمدح ويذم في الآن ذاته وهذا الأسلوب لا يكون محموداً إلا بين الأصحاب المتقاربين فهو أن صدر إلى طبقة أعلى يكون استصغاراً وإن صدر لطبقة أدنى يكون استعلاءً.

لقد لاحظنا في الرسائل الديوانية أن ابن الخطيب يمهد للمخاطب بالكثير من ألفاظ المدح والثناء فيكثر من المدح والثناء والدعاء للمخاطب قبل أن يذكره، فيما نجده يفتتح خطابه لابن خلدون بلفظ (سيدي)، الدالة على الود البادي بينها.

وبعدها يذكر حال المتزوجين ليلة العرس، ثم ينتقل ابن الخطيب إلى ذكر أحوال الناس الصالحين منهم، الذين زاغت إبصارهم عن الحق وأخذت الباطل منهجاً لها فيقول: "فَإِن كنت أعزّك الله من النمط الأول، فقد جنيت الثَّمر، واستطبت الثَّمر، وتلوت أول وردك، اقْتَرَبت السَّاعَة وَانْشَقَّ الْقَمَر، فاستدع الأبواق من أَقْصَى الْمَدِينَة، واخرج على قَوْمك فِي لِبَاس الزِّينَة، واستعد كرْسِي الْقعُود، والقبقاب من المدهون الْمَشْهُود، واستبشر بالوفود، وَعرف المسمع عارفة الْجُود، وتبجح بصلابة الْعود، وإنجاز الوعود، واستمتع بالشهود واجن رمان النهود، من أَغْصَان القدود، وانس من الشُّعُور السود عباسية البنود، واقتطف ببنان اللثم أفاح الثغور، وَورد الخدود. وَإِن كَانَت الْأُخْرَى، فأخف الكمد، وَارْضَ بالثمد، وانتظر الأمد، واكذب التوسم، وَاسْتعْمل التبسم واستكتم النسْوَة، وأفض فِيهِنَّ الرِّشْوَة، أَو تقلد المغالطة وارتكب، وَجِيء على قَمِيصك بِدَم كذب، واستنجد الرَّحْمَن، واستعن على أَمرك بِالْكِتْمَانِ:

لَا تظهـــرن لعـــاذل أَو عـــاذر حاليـك فِـي السَّـرَّاء وَالضَّـرَّاء"[1]

(1) ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب،لابن الخطيب: ٢/ ٢٣١

فقد أنتقل ابن الخطيب من مقام عرض خصال الناس وصفاتهم إلى مقام الوعظ والنصح، فهو يوصي صاحبه بحسن معاشرة النساء، ومداراتهن، كما ويوصيه بالحذر منهن.

وقد ختم رسالته الطويلة هذه بقوله: "وَكم من شُجَاع خام ويقظ نَام، وَدَلِيل أَخطَأ الطَّرِيق، وأضل الْفَرِيق. وَالله عز وَجل يَجْعَلهَا خلة مَوْصُولَة، وشملا أكنافه بِالْخَيرِ مشمولة، وبنية أَرْكَانهَا لركاب الْيمن مأمولة، حَتَّى تكْثر خدم سَيِّدي وجواريه، وأسرته وسراريه، وتصفو عَلَيْهِ نعْمَة باريه، مَا طورد قنيص، واقتحم عيص، وَأدْرك مرام عويص، وَأعْطى زاهد، وَحرم حَرِيص، وَرَحْمَة الله وَبَرَكَاته"[1].

نجد أن ابن الخطيب قد تابع المشارقة في كتابة رسائلهم فقد أكثر من استعمال البديع وأطال في الرسائل، وجدا اختلافاً واضحا بين الرسائل الديوانية والرسائل الإخوانية على مستوى البناء الفني للنوعين وعلى مستوى الخطاب.

ومن الرسائل الاخوانية الأخرى ما كتبه لابْن مَرْزُوق:" سَيِّدي الَّذِي يَده الْبَيْضَاء لم تذْهب بشهرتها الْمُكَافَأَة. وَلم تخْتَلف فِي مدحها الْأَفْعَال، وَلَا تغايرت فِي حمدها الصِّفَات، وَلَا تزَال تعترف بهَا الْعِظَام الرفات، أطلقك الله من أسر الْكَوْن، كَمَا اطلقك من أسر بعضه، وزهدك فِي سمائه العاتية وأرضه، وحقر الْحَظ فِي عين بصيرتك بِمَا يحملك على رفضه، اتَّصل بِي الْخَبَر السار من تَركك لشأنك، وأجنا الله إياك ثَمَرَة إحسانك وانجياب ظلام الشدَّة الحالك، عَن أفق جلالك، فكبرت ارتياحا لانتشاق رضَا الله الطّيب الأرج، واستعبرت لتضاؤل الشدَّة بَين يَدي الْفرج، لَا بسوى ذَلِك من رضَا مَخْلُوق يُؤمر فيأتمر، ويدعوه الْقَضَاء فيبتدر، إِنَّمَا هُوَ فَيْء، وظل لَيْسَ لَهُ من الْأَمر شَيْء، ونسله جلّ تَعَالَى أَن يَجْعَلهَا آخر عَهْدك بالدنيا وبنيها، وَأول معارج نَفسك الَّتِي تَقربهَا من الْحق وتدنيها، وكأنني وَالله أحس بثقل هَذِه الدعْوَة على سَمعك، ومضادتها وَلَا حول وَلَا قُوَّة بِاللَّه لطبعك، وَأَنا أنافرك إِلَى الْعقل الَّذِي هُوَ قسطاس الله فِي عَالم الْإِنْسَان، والآلة لبث الْعدْل وَالْإِحْسَان، وَالْملك الَّذِي يبين عَنهُ ترجمان

([1])المصدر نفسه: ٢/ ٢٣٢.

اللِّسَان، فَأَقُول لَيْت شعري مَا الَّذِي غبطك سَيِّدي بالدنيا، وَإِن بلغ من زبرجها الرُّتْبَة الْعليا، وأفرض الْمِثَال بِجلَال إقبالها، وَوصل حبالها، وخشوع جبالها، وضراعة سبالها، المتوقع الْمَكْرُوه صباح مسَاء، وارتقاب الْحِوَالَة الَّتِي تديل من النعم البأسا، وَلُزُوم المنافسة الَّتِي تعادي الْأَشْرَاف والرؤسا. لترتب الْعدْل حَتَّى على التَّقْصِير فِي الْكتب، وضغينه جَار الْجنب، وولوع الصّديق بإحصاء الذَّنب، النسبة وقايع الدولة إِلَيْك، وَأَنت مِنْهَا عرى إِلَّا بشهدانك للمضمار الَّتِي تنتجها غيرَة الْفروج والأحقاد الَّتِي تضطبنها ركبة السُّرُوج، وسرحة المروج، ونجوم السماء ذَات البروج"[1].

وفي تلك الرسالة التي كتبها لابْن مَرْزُوق ما تضمنته من مقاصد الكلم، والابتداء بالسعي إلى المودة والهمم، وقد أودع رسالته ألواناً من تتابع منتهى الحروف، وسبك الألفاظ والمعاني لإيصالها إلى محل الإخوان بأوضح وأجلى صور البيان، وقد ختمها باقتباس من الآي الحكيم من قوله تعالى: ﴿ وَالسَّمَاء ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ [2].

(1) ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب، لابن الخطيب:٢/ ٤٣٠ – ٤٣١

(٢) سورة البروج: الآية ١ .

المبحث الثاني

المقامـات

توطئـــة :

يعتبر فن المقامات من الفنون التراثية الأصيلة المتجذرة في الأدب العربي، ظهر في أواخر القرن الرابع نتيجة ظروف اجتماعية وثقافية وقد نافس هذا الفن مختلف الفنون الأدبية الأخرى من الخطابة والرسالة، بل احتضنتها واستوعبتها كلها؛ لما تمتاز به من مرونة، وهي إلى ذلك تضيف ألواناً من الأدب الرفيع، والتراكيب الفنية والصور الأخّاذة.

والمقامة في اللغة: هي من المَقام موضع القدمينِ، والقيامُ نقيضُ الجلوسِ، قامَ يقومُ، قومَاً وقِياماً، وقامةً، والقَومةُ: المرّةُ الواحدةُ، والمَقام: الموضعُ الذي تقيمُ فيهِ، والمَقامةُ: الإقامةُ، والمُقامةُ بالضم: الإقامةُ والمَقامةُ بالفتح: المَجلِسُ والجماعةُ من الناسِ[١].

وقد وردت المقامة في معجم مصطلحات النقد العربي القديم بمعنى المجلس والجماعة من الناس، وقال أحمد مطلوب:"المقامات: جمع مَقامة –بفتح الميم–وهي في أصل اللغة اسم للمجلس والجماعة من الناس، وسميت الأحدوثة من الكلام مقامة، لأنها تذكر في مجلس واحد يجتمع فيه الجماعة من الناس لسماعها"[٢].

فالمقامة قصة قصيرة مسجوعة تتضمن عظة أو ملحة أو نادرة، كان الأدباء يتبارون في كتابتها إظهاراً لما يمتازون به من براعة لغوية وأدبية[٣].

ويعرّفها الأستاذ فكتور ألكك:"المقامة حديث قصير من شطحات الخيال أو دوامة الواقع اليومي في أسلوب مصنوع مسجع تدور حول بطل أفاق أديب شحاذ ويحدث عنه وينشر طويته راوية جوالة قد يلبس جبة البطل أحيانا، وغرض المقامة البعيد هو إظهار الاقتدار على مذاهب الكلام وموارده ومصادره في عظة بليغة تقلقل الدراهم في أكياسها"[٤].

---

(١)لسان العرب، ابن منظور، دار صادر بيروت، لبنان،١٩٩٧م: (مادة: قومَ): ٣٤٥/٥.

(٢) معجم مصطلحات النقد العربي القديم، أحمد مطلوب، مكتبة لبنان الناشرون، بيروت، ط١، ٢٠٠١م: ٣٩٦.

(٣) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، كامل المهندس وآخرون، مكتبة لبنان ساحة الصلح، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م: ٣٧٩ .

(٤) بديعيات الزمان، فيكتور الكك، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، د.ط: ٢٥.

أما الدكتور رابح العوبي فعرّفها بأنها: "فن أدبي بأسلوب قصصي، يتخذ الجوار مطية إلى تحقيق أغراض تعليمية واجتماعية ونفسية" [١].

وعرفها ناظم رشيد بقوله: "وأصبحت المقامة فيما بعد مصطلحًا أدبيًا تطلق على نوع من الكتابة على شكل أقصوصة منمقة في ألفاظها وأسلوبها، فيها شيء من الحوار، وتعتمد في الغالب على راوٍ واحد وبطل أديب متحايل، يراد بها وصف أو مفارقة أدبية أو مسألة دينية أو قضية علمية، وتنطوي على لون من ألوان النقد أو التهكم والسخرية أو التصحيح والتقويم أو الثورة ويعد بديع الزمان أول من أعطى كلمة مقامة معناها الاصطلاحي بين الأدباء"[٢]، ونلحظ على التعريف أعلاه لم يلمح إلى شعرية المقامات، بل يلمحُ ويركز على إنها من القصص أو من النثر الفني .

والمقامات طراز من النثر الفني، ظهر أولاً في المشرق على يد بديع الزمان الهمذاني ثم حذا الحريري حذوه فيه، وعن طريقها انتشر في شتى البيئات العربية، ومنها بيئة الأندلس[٣]، وقد عرف الأندلسيون المقامات عن طريق من رحلوا منهم إلى المشرق طلبا للعلم، فقد درسوا هذا اللون الجديد من الأدب في جملة مادرسوه من العلوم والفنون، ثم عادوا إلى بلادهم ناشريه بين مواطنيهم، وانتشرت المقامات بوجه خاص أيام ملوك الطوائف بالأندلس، وفي أوائل عهد المرابطين بالأندلس ظهرت مقامات الحريري بالمشرق ثم لم تلبث أن انتشرت بالمغرب انتشاراً واسعاً[٤] .

ولا تخرج موضوعات المقامة الأندلسية عن النقد الأدبي والسياسة والمدح والهجاء، والغزل، والمجون، ووصف البلدان، والرحلات، فقد بلغ أوجه في هذا العصر مع ابن العميد،وأبي بكر الخوارزمي، وأبي إسحاق الصابي، والصاحب بن عباد حتى أن التزويق أصبح غاية، وحتى أن الكتابة أصبحت مزيجاً من زخرف

---

(١) المقامة البغدادية، د.رابح العوبي، دار الكتاب الثقافي،د.ط،د.ت، (المقدمة) :٧ .

(٢) الأدب العربي في العصر العباسي: ٣٢٧، وأدب المقامات أو الفن الأقصوصي المسجع ، بحث الدكتور صفاء خلوصي، مجلة المعلم الجديد – العدد الأول،مج ٢٥، كانون الثاني، شباط، ١٩٦٢.

(٣) ينظر: النثر الفني في القرن الرابع، زكي مبارك، السعادة الكبرى، مصر،ط٢، ١٩٥٧م: ٢٠٢/١-٢٠٣.

(٤) ينظر: تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، دار النهضة بمصر، القاهرة، د.ط: ٢٢٤.

أنيق وموسيقى لفظية غنية، كما نزع الأدب إلى اللفظية والحرفية التي أغرقت المعنى الضئيل في بحر زاخر من الأسجاع والاستعارات وشتى ضروب البديع[1].

*وتنقسم المقامات الأندلسية على نمطين:

أولا: نمط تقليدي:

من الموضوعات التي تناولتها المقامات الأندلسية التقليدية فقط ولم تعرفها مقامات الشرق، أهمها:(الحب العذري، ورثاء المدن، والرحلة البحرية)، ويتبع نموذج بديع الزمان الهمذاني في المشرق ومن أهم موضوعات المقامة التي اشتركت فيها مع المقامات المشرقية هي: المحافظة على البطل والراوي والعقدة، والسخرية، والوصف، والبراعة اللغوية، والحيلة والكدية، والشعر، والأحكام النقدية[2]،ومن ذلك ما كتبه لسان الدين بن الخطيب لأبي الحجاج بن أبي الوليد إسماعيل أحد قادة الدولة النصرية، وهي مقامة في وصف رحلة فتح هذا القائد لأحد الجزر الأندلسية، وافتتحها بقوله: "نحمد الله حمد معترف بِحقِّهِ، ونشكره على عوائد فَضله ورفقه، الَّذِي جعل لنا الأَرْض ذلولا، نمشي فِي مناكبها، وَنَأْكُل من رزقه، وَنُصَلِّي على سيدنَا ومولانا مُحَمَّد خيرته من خَلفه، ونستوهب للمقام المولوي اليوسفي النصري، سَعْدا يتلألأ نور أفقه، ونصرا يُتْلَى، بغرب الْمَعْمُور وشرقه:

وقابلةُ صَفٍّ لي فديتُكِ رحْلَةً عُنيتُ بهَا يَا شقةَ الْقلبِ منْ بعدِ

فَقلتُ خُذيها منْ لِسَانِ بلاغةٍ كَمَا نُظمَ الْيَاقُوتُ والدّرُّ فِي عِقْدِ

لما وَقع الْعَزْم الَّذِي وَقفه الله على مصَالح هَذِه الجزيرة، وَالْقَصْد المعرب عَن كريم القصيدة، وَفضل السريرة، على تفقد بلادها وأقطارها،وتمهيد أوطانها،وتيسير أوطارها، رأى فِي قَلّدهُ الله أمورها، ووكل إِلَى حمايته ثغورها، مَوْلَانَا وعصمة ديننَا ودنيانا،أَمِير الْمُسلمين،وظل الله على الْعَالمين أَبُو الْحجَّاج،ابْن مَوْلَانَا أَمِير الْمُسلمين

([1]) ينظر: الجامع في تاريخالأدب العربي،حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت،لبنان، ط١، ١٩٨٦م:٦١٦-٦١٧.

([2]) ينظر: المقامات الأندلسية في عصر الطوائف والمرابطين، شاهر عوض الكفاوين، مكة المكرمة، جامعة الملك عبد العزيز، رسالة ماجستير، ٢٠٠٧م:١٣٥.

وكبير الْمُلُوك الْمُجَاهدين الصَّالِحين أبي الْوَلِيد إِسْمَاعِيل، ابْن مَوْلَانَا الْهمام الْأَعْلَى، الَّذِي تروى مفاخره وتتلى،أبي سعيد، حفظ الله مِنْهُ على الْأَيَّام بَحر الندا،وَبدر المنتدا،...فَكَانَ البروز إِلَيْهَا يَوْم الْأَحَد سَابِع عشر شهر محرم فاتح عَام ثَمَانِيَة وَأَرْبَعين وَسَبْعمائة"[1].

في هذه المقدمة حدد الكاتب أركان مقامته إذ إنه حدد موضوع نصه هذا وهو وصف رحلتهم لفتح بعض بلاد الأندلس، والشخصية الرئيسة في النص هي أبو الحجاج بن أبي الوليد، وهو أحد سلاطين الدولة النصرية أما الزمان فهو السابع عشر من شهر محرم الحرام عام سبع مائة وثمان وأربعين للهجرة، وهو تقديم متعارف عليه في كتابة المقامات عند الحريري وغيره من كتاب المقامات المشارقة[2].

أما الأسلوب فهو يبتعد عن أسلوب بديع الزمان الهمذاني في الحوار[3] ويقترب من أسلوب الحريري الذي يأخذ أسلوب القصة[4]، استثمر الكاتب فيه التراث، فنجده يستشهد بالقرآن الكريم والشعر العربي: "واستقبلنا الْبَلدة حرسها الله فِي تبريز سلب الأعياد احتفالها، وغصبها حسنها وجمالها، نَادَى بِأَهْل الْمَدِينَة، مَوْعدكُمْ يَوْم الزِّينَة، فسمحت الحجال برباتها، والقلوب بحباتها، والمقاصر بحورها، والمنازل ببدورها، فَرَأَيْنَا تزاحم الْكَوَاكِب بالمناكب، وتدافع البدور، بالصدور، بَيْضَاء كأسراب الْحمام، متنقبات،تنقب الأزهار بالكمايم، حَتَّى إِذا قضى الْقَوْم من سلامهم على إِمَامهمْ فرضا، اسْتَوْفَيْنَا أعيانهم، تمييزا وعرضا، خيمنا بِبَعْض رباها المطلة"[5]، يوظف الكاتب القص القرآني ليؤكد على جلالة الحدث، فهو يصف دخول أبو الحجاج المدينة كدخول موسى للقاء فرعون، فتناص مع ذلك الحدث الزماني القرآني في قوله تعالى: ﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ [طه: ٥٩].

---

(1) ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب ،لابن الخطيب: ٢/ ٢٤٨- ٢٤٩.
(2) ينظر : المقامة بين الأدب العربي والأدب الفارسي (الحريري والحميدي خصوصا) ، د. فرح ناز علي، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠١١: ١٥٣.
(3) ينظر: المصدر نفسه : ٣٢.
(4) ينظر: المصدر نفسه: ٦٤.
(5) ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب ،لابن الخطيب: ٢/ ٢٥٠.

وقد ختم مقامته هذه بقوله: "حَتَّى إِذا بلغنَا قُصُور الْملك، وانتهينا إِلَى وَاسِطَة السلك، وقفنا مهنئين ومسلمين، وَقُلْنَا ادخلوها بِسَلام آمِنين، وَأَلْقَتْ عصاها، واستقرت بهَا النَّوَى، كَمَا قر عينا بالإياب الْمُسَافِر"[1] .

ومن هنا نلحظ أن ابن الخطيب قد اعتمد على الأسلوب القصصي في عرضه لمقاماته، كما أنه في هذه المقامة أرد أن يبين حركة الجيش والمناطق التي مر بها وأحوال الناس وطباعهم، وهذا غرضها الرئيس.

ثانياً: نمط غير تقليدي

هذا النوع من المقامات أشبهما يكون برسالة تقدم لأمر ما بين يدي شخص ذي نفوذ وسلطان على أمل نواله أو تحقيقه، وموضوعاتها: المدح، الهجاء، الغزل، الفخر، الحنين وغيرها[2] .

ومثال هذه المقامة عند ابن الخطيب هو ما صدر عن ابن الخطيب للسلطان ابي عنان فارس والتي افتتحها بكلمات تحتوي جميعها على حرف السين فقال[3]:

سقتْ سارياتُ السّحبِ ساحةَ فاسِ سواحبُ، تكسو السَّرْحَ حسنَ لِبَاسِ
وسارتْ بتسليمـي لـسدّةِ فَـــارسٍ نسيـمٌ ســـرَى للسلسبيـلِ بكـاسِ

ومنها قوله: "باسم السَّلَام أستمنح مُسبل الإسعاد، وأبلس أنفس الحساد، وبإرسال التَّسْلِيم لسَيِّد الْمُرْسلين، أَسد أسراب الْفساد، وألتمس لسفري سَلامَة النُّفُوس والأجساد، سَلام وسيم، تستعير نفس مسراه الْبَسَاتِين، ويحسده الآس والياسمين، ويستمده النرجس السَّاجِي والنسرين، يسير لمجلس، مستخلف القدوس السَّلَام سُبْحَانَهُ، ويستبق لسدة سُلْطَان الْمُسلمين، سل السعد حسامه، وسدد سهامه، سيف السّنة السمحاء سَحَابَة سَمَاء السخا أَسد المراس، ملبس المفسدين لِبَاس الباس، ميسر الْحَسَنَة للنَّاس، يعسوب الْخَمِيس، مسرح سوائم التسجيع والتنسيم والتجنيس سَنَد السّنة، أَسد الأسنة، الباسل السَّيِّد السّني المسدد، السَّامِي السّني، سُلْطَان السلاطين، الساطي بأسه بالساطين، مُسْتَند

---

(1) ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب ،لابن الخطيب: ٢/ ٢٦٤.
(2) ينظر: المصدر نفسه:٢/ ١٤٩-١٥٠.
(3) ينظر: المصدر نفسه:٢٤٦/٢.

الْإِسْلَام، فَارس، سدلت لسيرته الْحَسَنَة الملابس، واستنار بابتسام سعده المسري العابس"[١].

نلحظ أن جميع مفردات هذه المقامة احتوت على حرف السين، وهذا ما يظهر مكانة وعلمية وقدرة لسان ابن الدين الخطيب، فقد استطاع أن يكتب مقامة طويلة غرضها المدح مستعيناً بالكلمات التي تحتوي على حرف السين فقط، فلا نجد كلمة لا يوجد فيها حرف السين وحتى حروف الجر وأدوات الربط التي لا تحتوي على حرف السين لم يستعملها في نصه هذا إلا ما ندر، وما يؤكد قدرته وتمكنه من لغته أنه استمر في نفسه هذا حتى نهاية المقامة فأرخها بكلمات تحتوي على حرف السين فقال: "وبسين اسمكم سعيدة سنية، خلسة مجْلِس، ووسع مُفلس. وسمحكم مسئول، ومستعيذ سلطانكم أسعد رَسُول، نسل السَّلَام تقدس اسْمه، بتسنيم سعادتكم سرُور الْمُسلمين، ويسنى بسببكم سنة سيد الْمُرْسلين، ورسم تَاسِع مستفتح سنة سِتّ وَخمسين وَسَبْعمائة"[٢]، وهذا وأن فيه تكلفاً كثيراً إلا أنه يدل على قدرة ابن الخطيب على تخيير ألفاظه، ففي هذا المقامة وأن كان الغرض المعلن منها مدح أبي عنان فارس بن علي حاكم مريني، إلا أنها "تنحو نحو بلاغة اللفظ وحب اللغة لذاتها فالجوهر فيها ليس أساساً، وإنما الأساس العرض الخارجي والحلية اللفظية"[٣]، وهذا ما حاول إبرازه لسان الدين بن الخطيب في مقامته هذه فقد كشف عن ثروة لفظية برهن عليها باستعمال الألفاظ الحاوية على حرف السين فقط.

ومن ذلك مقامته في المفاخرة بين مالقة* وسلا**، التي سأله أحدهم عن فضلهما فيقول:

---

(١) ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب ،لابن الخطيب: ٢/ ٢٤٦.
(٢) المصدر نفسه: ٢/ ٢٤٧.
(٣)المقامة، شوقي ضيف وآخرون، دار المعارف، مصر، ط٣: ٩.
*مدينة بالأندلس عامرة من أعمال ريّة سورها على شاطئ البحر بين الجزيرة الخضراء والمرية، قال الحميدي:هي على ساحل بحر المجاز المعروف بالزقاق، وأصل وضعها قديم ثم عمرت بعد

فيها: "مالقة، أرفع قدرا، وَأشهر ذكرا، وَأجل شَأْنًا [واعز مَكَانا] وَأكْرم نَاسا، وَأبْعد التماسا، من أَن تفاخر أَو تطاول، أَو تعَارض أَو تصاول، أَو تراجع أَو تعادل، وَلَكِنِّي سأنتهى إِلَى غرضك، وَأبين ربع مغترضك، وأباين جوهرك وعرضك، فبقول الْأُمُور الَّتِي تتفاضل بهَا الْبلدَانِ، وتتفاخر مِنْهَا بِهِ الإخوان، وتعرفه حَتَّى الولائد والولدان، هِيَ المنعة والصنعة والبقعة والشنعة، والمساكن والحضارة، والعمارة والإثارة والنضارة"[1]، يحدد ابن الخطيب موضوع مقامته وهو المفاخرة بين مدينتين الأولى هي المدينة الأندلسية التي عاش فيها، والثانية المدينة المغربية التي نُفي إليها، فهو وإن كان لا يجد مجالا للمقارنة بين مالقة وسلا، إلا إنه استجابة للطلب سيبين أفضلية مالقة على سلا من مواضع عدة هي (المنعة،والصنعة، والبقعة، والشنعة، والمساكن، والحضارة، والعمارة، والإثارة، والنضارة)، وفي كل هذه المواضع تظهر أفضلية مالقة فيقول مثلا في المنعة: "فإمَّا المنعة، فلمالقة حرسها الله فضل الِارْتفَاع، ومزية الِامْتِنَاع، أما مقبثها فاقتعدت الْجَبَل كرسيا، ورفعها الله مَكَانا عليا بعد، أَن ضوعفت أسوارها وأقوارها، وسما بسنام الْجَبَل الْمُبَارك منارها، وقرت أبراجها وصوعدت أدراجها، وحصنت أَبْوَابهَا، وَحسن جنابها، وَدَار ببلدها السُّور والجسور، وَالْخَنْدَق المحفور فقلهراتها مداين بذاتها، وأبوابها المغشاة بالصفايح شاهدة بمهارة بناتها، وهمم أمرائها وولاتها، كَأَنَّهَا لبست الصَّباح سربالا"[2]، فيما يصف منعة سلا بقوله: "وسلا، كَمَا علمت، سور حقير وثور، إِلَى التنجيد والتشييد فَقير، إطام خاملة وللروم آملة، وقصبتها بِالْبَلَدِ مُتَّصِلَة [وَمن دَعْوَى الحصانة منتقلة] سورها مُفْرد، لَا سلوقية نقية، وبابها تقصد لَا سَاتِر تحميه وَالْمَاء بهَا مَعْدُوم وَلَيْسَ لَهُ جب مَعْلُوم، وَلَا بير بالعذوبة مَوْسُوم، وَفِي عهد قريب استباحتها الرّوم فِي الْيَوْم الشامس، وَلم ترد يَد لامس، من

وكثر قصد المراكب والتجار إليها فتضاعفت عمارتها حتى صارت أرشذونة وغيرها من بلدان هذه الكورة كالبادية لها أي الرستاق، ينظر:معجم البلدان:٤٣/٥.

*مدينة متوسطة موضوعة على زاوية من الأرض قد حاذاها البحر والنهر، فالبحر شماليها والنهر غربيها جار من الجنوب وفيه نهر كبير تجري فيه السفن أقرب منه إلى البحر، وفي غربي هذا النهر اختط عبد المؤمن مدينة وسماها المهدية، كان ينزلها إذا أراد إبرام أمر وتجهيز جيش، ومنها إلى مراكش عشر مراحل، وهي من مراكش غربية جنوبيّة، ينظر: معجم البلدان:٢٣١/٣ .

(1) ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب ، لابن الخطيب:٢/ ٣٥٥.

(2)المصدر نفسه: ٢/ ٣٥٥.

غير منجنيق نصب، وَلَا تَاج ملك عَلَيْهِ عصب، قلَّة سلَاح وَعدم فلاح، وخمول سور، واختلال أُمُور. وَقد سَقَطت دَعْوَى المنعة"[1].

ومن الواضح أن هذه المفاخرة بنيت على أساس المفاضلة التي تظهر تقدم المدينة الأولى على المدينة الثانية، في كل أمورها، فهي مقامة ذات موضوع واحد وان اختلفت طرق الاستدلال على أفضلية هذه المدينة على تلك. فهو يعتمد على أساليب إقناعية كما في قوله: (وسلا، كَمَا علمت) وكأنه يريد أن ينفي عن نفسه التحيز إلى مالقة، ويؤكد إن ما يصف به البلدين هو الحقيقة والواقع.

ومن هنا نجد أن لسان الدين بن الخطيب قد أبدع في كتابة المقامة والفنون النثرية الأخرى فقد سار على نهج الكتاب القدماء وقلد أثارهم تارة وأبدع في أساليبه تارة أخرى .

ومن أنواع المقامات في كتاب ريحانة الكُتّاب ونُجعة المُنتاب لابن الخطيب هي:

١-المقامة السلطانية :

وتتمثل بقوله: "فمن ذلك ما صدر عنى للسلطان الجليل المعظم الكبير أبي عنان فارس رحمه الله من سبتة بَين يَدي ركُوب الْبَحْر وَفِي كل كلمة مِنْهَا سين:

سقتْ سارياتُ السّحبِ ساحةَ فاسِ سواحبُ، تكسو السَّرْحَ حسنَ لِبَاسِ

وسارتْ بتسليمي لسدّةِ فَارسٍ نسيمٌ سرى للسلسبيلِ بكاسِ

منها في ذكر السلطان أبي عنان :

أنسَتْ بمسرى سبتةٌ وتأنّسَتْ بساحتهِ نفسي وأسعدَ ناسِ

ويسّرَتْ لليُسرى ويسّرَ مرسلي وسدّدَ سهمي واستقامَ قياسِ"[2]

تتردد في النصوص الشِّعرية أعلاه أبيات كان مبعثها التأمل في تبدل أحوال الدول والأيام وجاءت الجناس البديعي: (أنست / تأنست/ ناس / يسرت / لليسرى/ ويسر) موحية معبرّة أجمل تعبير عن لوحةٍ مكانية يقصدها الشاعر الخطيب بخياله.

ويقول في نص آخر:"باسم السلام أستمنح مسبل الإسعاد، وأبلس أنفس الحساد، وبإرسال التسليم لسيد المرسلين، أسد أسراب الفساد، وألتمس لسفري سلامة النفوس

([1]) ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب ،لابن الخطيب: ٢/ ٣٥٦.

([2])المصدر نفسه: ٢/ ٢٤٦.

والأجساد، سلام وسيم، تستعير نفس مسراه البساتين، ويحسده الآس والياسمين، ويستمده النرجس الساجي والنسرين، مستخلف القدوس السلام سبحانه، ويستبق لسدة سلطان المسلمين"[1].

فالكاتب ابن الخطيب استحضر إلى ذهن المتلقي ليصف حال السلام والطمأنينة ويتحدث عن تفاصيلها، فجاءت الفنون البديعية موحية معبِّرة أجمل تعبير ،إذ استطاع توضيح المعاني وإبرازها بقالبٍ فنّي جميل، حيث حركت النفوس واستثارت الخيالات، فاستعان بالجناس، والاستعارة، وحسن التقسيم ليوصل رسالته إلى من يريد السلام بأحسن طريقة.

ومن المقامات الأخرى لابن الخطيب منها: "سل السعد حسامه، وسدد سهامه، سيف السنة السمحاء سحابة سماء السخا أسد المراس، ملبس المفسدين لباس الباس، ميسر الحسنة للناس، يعسوب الخميس، مسرح سوائم التسجيع والتنسيم والتجنيس سند السنة، أسد الأسنة، الباسل السيد السني المسدد، السامي السني، سلطان السلاطين، الساطي بأسه بالساطين، مستند الإسلام، فارس، سدلت لسيرته الحسنة الملابس، واستنار بابتسام سعده المسري العابس، حسبك باسم ومسمى، ونفس نفيسة سكنت الإسلام جسما، وأسنت لسعادة المسلمين قسما، ينسى السحايب الساكنة لمسنتي السنين، وتخرس ألسن محاسنه اللسنين، ويستعبد إحسانه إحسان المحسنين، سما مجلسه، وسعد ملتمسه، وتسنت سلامته، وحرست سبل السنة استقامته، وسدد سهمه، وسنى السعادة للناس بأسه وسلمه، فسبحان ميسر العسير، ومسدي الكسير ،ومسهل الإكسير، ومسنى سلطانه يستوعب محاسن السبعة المستخلفين، استيعاب التيسير، فسهلت المسالك العسيرة، وحسنت السيرة، ليستبين سر الاستخلاف، ويتيسر سبب الاستيلاف، ويستجد ملابس سلطنة الأسلاف، وسيطهر سيفه مساجد المسلمين بالأندلس، سالبا دنس الناقوس، ويلبس إبليس باستنقاذها، لباس البؤس، ويستفتح القدس، بتيسير القدوس، رسمه بسبته حرست ساحتها، واتسعت باليسر مساحتها، مسترق إحسانه، ومستعبد سلطانه السعيد السفارة والرسالة، بسببه، المتوسل بالوسائل الحسنة"[2] .

([1]) ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب ،لابن الخطيب: ٢/ ٢٤٦.

([2])ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب ،لابن الخطيب:٢٤٦- ٢٤٨، وله في هذا الشأن ثلاث مقامات:٢/ ٢٤٦-٢٧٨.

جاء الأسلوب في هذه المقامة على غير المقامات الأخرى، فأكثر المقامات الأخرى له قد امتزج بها الشعر مع النثر إلا هذه فقد جردها من الشعر وأخلاها للنثر فقط،فهو قد ملأ تلك المقامة بالقصص وأحيانا بالحكم والمواعظ، ويتبين لنا كذلك أسلوب جميل وممتع عند تأمل القارئ بها وتحليلها يحسُّ بحلاوتها، وإنَّ اللذة تأتي بعد التأمل والتفكير، حيث استطاع التعبير عن المعاني من خلال تجسيدها وجعلها محسوسة، حيث اقتربت تلك الصور البلاغية إلى الإفهام ، وأصبحت أكثر وضوحاً.
ومن ذلك أيضًا قوله: "فَقلت، بِي إِلَى تعرف الْبلدَانِ جنوح وجنون، وَالْجُنُون فنون، وَقد ظَفرت قبلك بنقاب، وعود احتقاب وبسارب نقاب، حصل بِهِ من طلى الشُّكْر، وَبِك يتم السطر ويعظم الْخطر، فَقَالَ النَّاس مُتَّهم ومنجد، وخاذل ومنجد، وَلَا تجود يَد بِمَا تَجِد، وَالله المرشد، وَجعل ينشد:

إذا المشكلات تصدين لي ... كشفت غوامضها بِالنّظرْ
وَلست بائقة فِي الرِّجَـــال ... أسائل هَذَا وَذَا مَا الْخَبَرْ
ولكنني مدرب الأصفرين ... أبين مَعَ مَا مضى مَا غبَرْ

ثمَّ قَالَ: هَات، أَمن عقدك الشُّبُهَات، قلت: مَا تَقول فِي باديس، قَالَ، بدأت بحمدلة الرقعة، وبركة الْبُقْعَة، ومدفن الْوَلِيّ، ومظهر النُّور الجلى، والنحر غير العاطل وَلَا الخلي من الحلى، بلد السراوة والشجاعة، والإيثار على فرض الْجَمَاعَة، والنفوس الأوابة إِلَى الله الرجاعة، حَيْثُ الْبر والحوت، والخشب الَّذِي ينشأ مِنْهَا كل منحوت، والبأس والإقدام، والفاكهة الطّيبَة والإدام، وَرب الْجبَال، وَفضل المدافعة لصب السبال، إِلَّا أَنَّهَا موحشة الْخَارِج وعرة المعارج مجاورة من غمارة بالمارد المارج، فهم ذُو دَبِيب فِي مدارج تِلْكَ الغرابيب، وكيدهم ببركة الشَّيْخ فِي تثبيت"[1].

يبدو أن لسان الدين ابن الخطيب قد أبدع في إنتاج نصوصه بمستوياتٍ عالية يتجلى فيها إبداعه الخاص، حيث كان مهتماً كثيراً بالبديع في شعره؛ ولذلك نراه يعتني به كل العناية في بعض الأحيان، من خلال إيراده الشواهد الشعرية والنثرية فقد وقع الجناس في:(الرقعة– البقعة)، و (الجلى– الحلى)، و (الجبال – السبال)،

([1])ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب ،لابن الخطيب ٢/ ٣٠٤

ولا شك أنه مما يدعم الموسيقى الدّاخلية للنص، لأنه ليس تكراراً محضاً للحروف بل نجد اختلافاً بين ألفاظه من حيث المعنى، والدلالة.

٢-مقامة معيار الاختيار:

لقد وصف أبن الخطيب في هذه المقامة أهم مدينتين هما: غرناطة، والمغرب، إذ تناول فيه لسان الدين بن الخطيب النواحي التأريخية، والجغرافية، والاجتماعية لأغلب المدن التي ذكرها، إذ بدأ بجبل طارق الذي يقع ضمن مملكة بني مرين المغربية،إما المدن الأندلسية التي ذكرها في الوصف منها:(اسطبونة، مربلة، سهيل، مالقة، قمارش، المنكب، وغيرها من المدن)،وأما مدن المغرب التي ذكرها بالوصف كالتالي:(بادس، سبتة، طنجة، قصر كتامة، أصيلا، سلا، وغيرها من المدن) وابن الخطيب لم يراعِ المدن ترتيبًا تاريخيًا وجغرافيًا، بل حسب الأهمية[١].

ومن قول لسان الدين بن الخطيب في هذه المقامة: "الْحَمد لله الَّذِي انْفَرَدت صِفَاته بالاشتمال على أشتات الْكَمَال، والاستقلال بأعباء الْجلَال، المنزه عَن احتلال الْحَلَال، المتصفة الْخلال بالاختلال، الْمُتَعَمد بالسؤال، لصلة النوال، جَاعل الأَرْض كسكانها مُتَغَايِرَة الْأَحْوَال، باخْتلَاف الْعرُوض والأطوال، متصفة بالمحاسن والمقابح، عِنْد اعْتِبَار الهيئات والأوضاع والصنائع والأعمال، على التَّفْصِيل والإجمال، فَمن قَامَ خَيره بشره، دخل تَحت خطّ الِاعْتِدَال، وَمن قصر خَيره عَن شَره، كَانَ أَهلا للاستعاضة بِهِ والاستبدال، وَمن أربى خَيره على شَره، وَجب إِلَيْهِ شدّ الرّحال، وَالْتمس بِقَصْدِهِ صَلَاح الْحَال، وَكَثِيرًا مَا اغتبط النَّاس بأوطانهم، فحصلوا فِي الْجبَال على دعة البال، وفازوا فِي الرمال بالآمال، حِكْمَة مِنْهُ فِي اعْتِبَار ربع الشمَال، وتضيء أكنافه عَن الْيَمين وَالشمَال، إِلَى أَن يَدْعُو بِأَهْل الأَرْض، لموقف الْعرض وَالسُّؤَال. وَيذْهل عَن الأمل عظم الْأَهْوَال. وَالصَّلَاة على سيدنَا مُحَمَّد الْمُصْطَفى، الَّذِي أنقذ بدعوته الوارفة الظلال من الضلال، وجا بِرَفْع الأغلال، وتمييز الْحَرَام من الْحَلَال، وَالرِّضَا عَمَّن لَهُ من الصحب والآل"[٢].

---

(١) ينظر: معيار الاختيار، لابن الخطيب: ٤٣-٤٥.
(٢) ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب، لابن الخطيب: ٢/ ٢٧٩.

لقد تفنن ابن الخطيب في هذه النص المقامي التي هي قريبة من الخطبة أو الرسالة، فصور ما رأى حوله من روائع الذات الإلهية، فجاءت الصور الفنية البلاغية تجسيداً من الاستعارات، والكنايات، والأضداد، والجناس بصورةٍ بلاغية جميلة وراقية في اختيار الألفاظ من غير إسهاب أو تقصير.

ومن ذلك قوله: "أما بعد، ساعدك السعد، ولان الْجَعْد، فَإِن الْإِنْسَان، وَإِن اتّصف بِالْإِحْسَانِ، وأبانة اللِّسَان، لما كَانَ بعضه لبَعض فَقِيرا، نبيها كَانَ أَو حَقِيرًا، إِذْ مونه الَّتِي تصلح بهَا حَاله، وَلَا يَسعهَا انتحاله، لزم اجتماعه وائتلافه على سياسة يُؤمن مَعهَا اختلافه، واتخاذ مَدِينَة يقر بهَا قراره، وَيتَوَجَّهُ إِلَيْهَا ركونه وفراره، إِذا رابه إضراره، وتختزن فِيهَا أقواته الَّتِي بهَا حَيَاته. ويحاول مِنْهَا معاشه، الَّذِي بِهِ انتعاشه، وَإِن كَانَ اتخاذها جزَافا واتفاقا. واجتزاء بِبَعْض الْمرَافِق وارتفاقا،تحاول خَيرهَا وشرها، وتعارض نَفعهَا وضيرها، وفضلها فِي الْغَالِب غَيرهَا، وَإِن كَانَ عَن اخْتِيَار وتحكيم معيار، وتأسيس حَكِيم، وتعويض لِلْعَقْلِ وتحكيم، تنافر إِلَى حكمهَا للنفر، وإعمال السّفر، وَكَانَت مساويها بِالنِّسْبَةِ إِلَى محاسنها تفْتَقر، إِذْ وجود المَال فاضح للآمال، وَلله در الْقَائِل:

وَمن ذَا الَّذِي ترْضى سجاياه كلّهَا ... كفى الْمَرْءُ فضلاً أَنْ تعدَّ معايبَهْ

وبحسب ذَلِك، حدث من يعْنى بالأخبار ينقلها، وَالْحكم يصقلها، والأسمار بنتقيها، والْآثَار يخلدها ويبغيها، والمجالس يَأْخُذ صدورها، والآفاق يشيم شموسها وبدورها، وَالْحلَل يصرف دورها، وَيَأْكُل قدورها، والطرف يهديها، والخفيات يبينها، وَقد جرى ذكر تَفْضِيل الْبلدَانِ، وَذكر القاصي والدان، ومزايا الْأَمَاكِن، وخصائص الْمنَازل والمساكن، والمقابح والمحاسن، وَالطّيب والآسن، قَالَ ضمني اللَّيْل، وَقد سدل الْمَسِيح راهبه، وَأَشْهَب قرصة الشَّمْس من يَد الأمس ناهبه، وذلفت جيوشه الحبشية وكتائبه، وَفتحت الأزهار شط المجرة كواكبه، وجنحت الطُّيُور إِلَى وَكونهَا، وانتشرت الطوافات بعد سكونها، وعويت الذئاب فَوق هضابها، ولوحت البروق بفيض عضابها، وباحت الْكَفّ الخضيب بخضابها، وتسللت اللُّصُوص لانتهاز فرصها، وَخرجت الليوث إِلَى

قسمهَا وحصصها فِي مناخ رحب المنطلق، وثيق الغلق، سامي السُّور، كَفِيل بِحِفْظ الميسور "[1].

مما نلاحظ من أسلوب ابن الخطيب في هذه المقامة سلاسة الأسلوب وبساطته والبعد عن الصنعة التي أرهقت بعض ناثري عصره ويلحظ أيضا تأثره بثقافته الدينية واهتمامه بالطريقة المنطقية إذ ترد بعض المصطلحات الدينية والشواهد الدينية إذ يذكر العلل، والمقدمات، والنتائج في كثير من المواضع.

ولقد استقى ابن الخطيب من النصّ القرآني، والحديث النبوي الشريف، والشعر العربي، بوصفها مصادر أدبية تخصب نصوصه المقامية، وتمنح الخطاب النثري سمة التصديق والذي تظهر فيه الأبعاد الإنسانية ، وصاغها صياغةً بلاغية فنية ووظفها في نصّه واستدعى الأضداد، والجناس، والاستعارات، وحسن التقسيم ليختبئ وراءها ويحمّلها دلالات بلاغية عميقة تكشف عن ألوان الانفعالات النفسيّة لديه.

ومن النصوص الأخرى لدى ابن الخطيب: "وأطل بأعلاه قصر، وأظله فتح من الله وَنصر، سَاوَى سُورَة الْبَحْر فأعياه، قد تهلل بالكلس محياه، واستقبل الثغر الْغَرِيب فحياه، واطرد صنع الله فِيهِ من عَدو يَكْفِيهِ، ولطف يخفيه، وداء عضال يشفيه، فَهُوَ خلْوَة الْعباد، ومقام العاكف والباد، ومسلحة من وَرَاءه من الْعباد، وشقة الْقُلُوب الْمسلمَة والأكباد...، قلت: فأسطبونه، قَالَ: عَفا رسمها، وبقى اسْمهَا وَكَانَت مَظَنَّة النعم الغزيرة، قبل حَادِثَة الجزيرة. قلت: فمربلة، قَالَ: بلد التاذين على السرذين، وَمحل الدُّعَاء والتأمين لمطعم الْحُوت السمين، وحد ذَاتهَا مفرس الْعِنَب الْقَدِيم الْفرس إِلَى قبَّة أرين، إِلَّا أَن مرْسَاها غير أَمِين، وعقارها غير ثمين، ومعقلها تركبه الأَرْض من عَن شمال وَيَمِين، قلت: فسهيل قَالَ: حصن حُصَيْن، يضيق عَن مثله هِنْد وصين، وَيَقْضِي بفضله كل ذِي عقل رصين، سَبَب عزه متين، ومادة قوته شعير وتين، قد علم أَهله مشربهم، وأمنوا مهربهم، وأسهلت بَين يَدَيْهِ قراه ماثلة بِحَيْثُ يرَاهُ،... "[2]، وهنا يتضح أسلوب ابن الخطيب الكتابي الفني بتوشيح نصه النثري

([1]) ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب ،لابن الخطيب:٢/٢٧٩-٢٨٠.

([2]) ريحانة الكتاب،لابن الخطيب:٢/٢٨٤-٢٨٥، وله في هذا الشأن مقامات أخرى:٢/ ٢٨٥-٢٨٦و٢٩٣و٣٠٤.

المقامي بألوان بلاغية المتتابعة بالسجع،والتكرار، والتضاد، والجناس وغير ذلك، ليجعل النص مونقاً بليغاً موئراً في نفس المتلقي وذوقه.

٣-مقامة خطرة الطيف ورحلة الشتاء والصيف

لقد وصف ابن الخطيب في هذه المقامة رحلة رسمية، رحل بها إلى غرناطة،لتفقد أحوال الثغور الشرقية لمملكة غرناطة،الذي قام بها أمير المسلمين أبي الحجاج يوسف بن نصر ومعه وزيره لسان الدين بن الخطيب[١].

ومن هذه المقامات: "نحمد الله حمد معترف بِحقِّهِ، ونشكره على عوائد فَضله ورفقه، الَّذِي جعل لنا الأَرْض ذلولا، نمشي فِي مناكبها، وَنَأْكُل من رزقه، وَنُصَلِّي على سيدنَا ومولانا مُحَمَّد خيرته من خَلفه، ونستوهب للمقام المولوي اليوسفي النصري، سَعْدا يتلألأ نور أفقه، ونصرا يُتْلَى، بغرب الْمَعْمُور وشرقه:

وقابلة صف لي فديتك رحْلَة ... عنيت بهَا يَا شقة الْقلب من بعدِ

فَقلت خذيها من لِسَان بلاغة ... كَمَا نُظمَ الْيَاقُوتُ والدرُّ فِي عقدِ

لما وَقع الْعَزْم الَّذِي وَقفه الله على مصَالح هَذِه الجزيرة، وَالْقَصْد المعرب عَن كريم القصيدة، وَفضل السريرة، على تفقد بلادها وأقطارها، وتمهيد أوطانها، وتيسير أوطارها، رأى فِي قَلّدهُ الله أمورها، ووكل إِلَى حمايته ثغورها، مَوْلَانَا وعصمة ديننَا ودنيانا، أَمِير الْمُسلمين، وظل الله على الْعَالمين أَبُو الْحجَّاج، ابْن مَوْلَانَا أَمِير الْمُسلمين وكبير الْمُلُوك الْمُجَاهدين الصَّالِحين أبي الْوَلِيد إِسْمَاعِيل، ابْن مَوْلَانَا الْهمام الْأَعْلَى، الَّذِي تروى مفاخره وتتلى، أبي سعيد، حفظ الله مِنْهُ على الْأَيَّام بَحر الندا، وَبدر المنتدا، وسابق الْفَخر الْبعيد المدا، وشمله برواق عصمته، كلما رَاح واغتدا، أَن يُبَاشِرهَا بِنَفسِهِ، وَيجْعَل آفاقها مظلة شمسه، نظرا لِلْإِسْلَامِ وقياما بِحقِّهِ، وَعَملا على مَا يقربهُ مِمَّن اسْتَخْلَفَهُ على خَلفه، فِي وجهة حالفها الْغَمَام المستجم، ونصبة قضى لَهَا بالسعد من لَا ينجم، فَكَانَ البروز إِلَيْهَا يَوْم الْأَحَد سَابِع عشر شهر محرم فاتح عَام ثَمَانِيَة وَأَرْبَعين وَسَبْعمائة، خرجنَا وصفحة الْأُفق بالغيم متنفسة، وأدمع السحب

(١) ينظر: خطرة الطيف،لابن الخطيب:١٦، ومعيار الاختيار، لابن الخطيب:٣٣ .

لوداعنا منسكبة، نتبع من الرَّايَة الْحَمْرَاء دَلِيلا هاديا، ونثق بوعد الله سُبْحَانَهُ فِي قَوْله، وَلَا يقطعون وَادياً"[1].

يُقدِّم لسان الدين ابن الخطيب نصّه المقامي بصورةٍ لافتة مميّزة ، إذ يبدأ بحمد الله تعالى وشكره وفضله ونعمائه، ويسرد فيها أحداث الرحلة مثل : (فكان البروز إليها يوم الأحد سابع عشر.../ خرجنا وصفحة الأفق بالغيم متنفسه/ وأدمع السحب لوداعنا منسكبة..)، ومحاولة تقلبهم أثناء الرحلة بسعةِ صدر من خلال مقولتهم التي استغلوا فيها التورية وخداعها الفني : (تتبع من الراية الحمراء دليلاً هاديا..) ، ونلحظ في النصّ أيضاً أنه يذكر الجناس الغير تام كما في : (أوطانها – أوطارها) ، (هاديا– وادياً) ، (ديننا – دنيانا) ، وكذلك التضاد: (غربه– شرقه) ، والتناص مع القرآن الكريم مثل : (الَّذِي جعل لنا الأَرْض ذلولا، نمشي فِي مناكبها، وَنَأْكُل من رزقه) ، ومدى الاعجاب بالوداع فيقول : (وأدمع السحب لوداعنا منسكبة..) ،فاللغة في مقامة خطرة الطيف لغة سهلة وسلسة تكثر فيها الفنون البديعية، والصور المجازية التي تشكلت تشكلاً دقيقاً وبديعاً وفريداً.

وكذلك النص التالي قول ابن الخطيب: "وَلما ابتسم ثغر الصَّباح، وبشرت بمقدمه نسمات الرِّيَاح، ألفينا عمل السراج إِلَى الإسراج، وشرعنا فِي السّير الدائب، وصرفنا إِلَى وَادي أنس صروف الركائب، واجتزنا بوادي حمتها، وَقد متع النَّهَار، وتأرجت الأزهار، فشاهدنا بِهِ معالم الْأَعْلَام، وحيينا دَار حمدة بِالسَّلَامِ، وتذاكرنا عمَارَة نواديها، وتناشدنا قَوْلهَا فِي واديها:

أَبَاحَ الشوقُ أسراري بوادي ... لَهُ فِي الْحسنِ آثَارٌ بوادي
فَمن وَادٍ يطوفُ بِكُلِّ روْضٍ ... وَمن روضٍ يطوفُ بِكُلِّ وَادي
وَمن بَين الظبي مهاةُ أصابتْ ... قلبِي وَقد ملكت فُؤَادِي
لَهَا لحْظٌ ترقّدهُ لأمرٍ... وَذَاكَ الْأَمرُ يَمْنعُنِي رقادي

واستقبلنا الْبَلدة حرسها الله فِي تبريز سلب الأعياد احتفالها، وغصبها حسنها وجمالها، نَادَى بِأَهْل الْمَدِينَة، مَوْعدكُمْ يَوْم الزِّينَة، فسمحت الحجال برباتها، والقلوب بحباتها،

([1]) ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب، لابن الخطيب :٢/٢٤٨

والمقاصر بحورها، والمنازل ببدورها، فَرَأَيْنَا تزاحم الْكَوَاكِب بالمناكب، وتدافع البدور، بالصدور، بَيْضَاء كأسراب الْحمام، متنقبات، تنقب الأزهار بالكمايم، حَتَّى إِذا قضى الْقَوْم من سلامهم على إِمَامهمْ فرضا، اسْتَوْفَيْنَا أعيانهم، تمييزا وعرضا، خيمنا بِبَعْض رباها المطلة، وسرحنا الْعُيُون فِي تِلْكَ العمالة المغلة، والزروع المستغلة، فحياها الله من بَلْدَة أنيقة الساحة، رحبة المساحة"[1].

وفي هذا الموضع يصوّر لنا لسان الدين ابن الخطيب في رحلة الذهاب كيفية استقبالهم والاحتفاء بهم:(واستقبلنا البلدة حرسها الله ...)، ونجد كذلك تداخل الأبيات الشعرية مع نص المقامة وهو ما يكثف بنية النص مازجاً بين إبداعه وإبداع الشعراء وليضيف للنصّ رونقاً ومتعة فنيَّة، ويضيئ لنا النمط الذي سوف تؤطر فيه فيدخلها في الرحلة الأدبية الوصفية؛إذ نجد أن النص يتسم بالإيجاز والتكثيف والتلميح، الذي أغنى عن سرد الكثير من الأحداث سواء كانت أحداث تتصل بالرحلة أو ما تستدعيه من ذكريات وتراكيب جديدة.

وبلحاظ ذلك نجد أن ابن الخطيب يركز على زوايا مهمة التقطها وشدت انتباهه ورصدها أثناء الرحلة:(فحياها الله من بلدةٍ أنيقة الساحة، رحبة المساحة/خيمنا ببعض رباها المطلة..)، وكذلك استدعاؤه للمحسنات البديعية والتشبيهات والاستعارات في النص، وكذلك الأبعاد الفكرية والمعرفية والشحنات الشعورية والعاطفية في نصّه الرحلي/المقامي واشارات خفيّة لتكسب النص عمقاً فنياً .

ومنها قوله: "وارتحلنا وَقد أذن الله للسماء فأصحت، وللغيوم فسحت، وللريح فَلَانَتْ بعد مَا ألحت، وساعد التَّيْسِير، وَكَانَ على طَرِيق قنالش الْمسير، كبرى بناتها، وشبيهتها فِي جداولها وجناتها، مَا شِئْت من أدواح توشحت بِالنورِ وتنوجت، وغدران زرع هبت عَلَيْهَا الصِّبَا فتموجت، سفربها الشَّقِيق الأرجواني. عَن خدود الغواني، فأجلنا الْعُيُون فِي رياض، وتذكرنا قَول القَاضِي عِيَاض:

انْظُرْ إِلَى الزَّرْعِ وخاماتهِ يحْكى ... وَقد مَاسَ أَمَام الرِّيَاحِ

كتيبتُهُ خضرًا مهزومةً شقائقُ ... النُّعْمَـــــانِ فِيهَا جراح

([1])ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب ، لابن الخطيب :٢/٢٤٩ - ٢٥٠ .

مثل أَهله فَسَلمُوا، وَمن عدم النُّزُول بهم تألموا، وأتينا فحص الْأَبْصَار فتجددت لَهُ ملابس المجادة، وتذكر عهود من حل بِهِ عِنْد الْفَتْح الأول من السَّادة، لما خَفَقت بِهِ راية سعد بن عبَادَة"[1] .

يعمد ابن الخطيب هنا إلى إضفاء شيء من الرموز والشخصيات: (القاضي عيّاض / سعد بن عبادة)، ويسرد أحداثاً ارتبطت بهم ، فابن الخطيب عاش تجربة الرحلة وذاق نفحاتها، فيذكر موقف الارتحال: (وارتحلنا وقد أذن الله للسماء فأصحت..)، ولقد حفل النص بالرؤى الفنية المميزة من الفنون البديعية ممثلة لما كانت تجيش في نفسه.

٤-مقامة الإشارة إلى أدب بالوزارة:

لقد ذُكرت لفظة الوزارة في كتب اللغة وتسمى أوزاراً، ما يحمله من أثقال، وفِعلها(وزرَ) والمضارع منه(يزرُ)، والوَزر بفتح الواو والزاي، وهو مصدر لوِزْر ،أي الملجأ، كما يأتي بمعنى الجبل، وكل مانع أو ستار ما يحتمي به[2] ،

وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٥]، أي أرسلَه اللهُ إلى فرعونَ وقومِه، وقوله تعالى: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾[طه: ٢٩]، أي وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا يؤازرني على المضي إلى فرعون ويعاضدني عليه.

وقد جاء في كتاب الإشارة إلى أدب الوزارة:"الوزير وسيط بين الملك ورعيته، فيجب أن يكون في طبعه شَطر يناسب طباع الملوك، وشطر يناسب طباع العوام، ليعامل كلا من الفريقين بما يوجب له القبول والمحبة"[3]

ومن قول لسان الدين بن الخطيب في هذه المقامة: "اعْلَم يَا وَلَدي أَن هَذِه الرُّتْبَة لمن فهم وعقل، مُشْتَقَّة من الْوَزِير، وَهُوَ الثّقل، لِأَنَّهَا تحمل من عبء الْملك وَثقله مَا تعجز الْجبَال عَن حمله، وَهِي الْآلَة الَّتِي بهَا يعْمل، وبحسب تباينها يتباين مِنْهَا الأنقص والأكمل، وَعَصَاهُ الَّتِي بهَا يهش، ويحتطب ويحش... وَإِذا فسد الْملك وَصلح الْوَزِير، رُبمَا نَفَعت السياسة واستقام التَّدْبِير، وَصَلَاح الْأَمر بعكس هَذِه الْحَال

---

(1) ريحانة الكتاب ، لابن الخطيب :٢/ ٢٥٢ – ٢٥٣ ، وله في هذا الشأن مقامات أخرى:٢/ ٢٥٤ و ٢٥٧ و ٢٥٨ و ٢٦٠ و ٢٦١ و ٢٦٢ و ٢٦٤ و ٢٦٨ - ٢٧٩ و ٢٧٠.

(2) ينظر: لسان العرب، مادة (وزر):٥/٢٨٣.

(3) الإشارة إلى أدب الوزارة، لابن الخطيب:٣٣

مَحْسُوب من الْمحَال لِأَن الْوَاسِطَة الْقَرِيبَة، ونكتة السياسة الغريبة، وموقعه من الْملك موقع الْيَدَيْنِ من الْجَسَد، اللَّتَيْنِ فِي الْقَبْض والبسط عَلَيْهِمَا يعْتَمد وَقَالُوا الْملك طَبِيب والرعية مرضى،والوزير تعرض عَلَيْهِ شكاياتهم عرضا والنجاح مُرْتَبِط بسداد عقله، وَصِحَّة نَقله، فان اخْتَلَّ السفير بَطل التَّدْبِير. وَإِذا تقرر وجوب الْإِمَامَة ونصبها، وعقدها وعصبها، وَكَانَت ضرورتها إِلَى الوزارة هَذِه هِيَ، ومنزلتها هَذِه الصُّورَة، وَفِي الْوَاجِب شَرط، وَلَا يَسْتَقِيم لَهُ بغَيْرهَا ضبط، كَيفَ لَا يكون قدرهَا خطيرا، ومحلها أثيرا، وَقَول النَّبِي (صلى الله عَلَيْهِ وآله وَسلم) الَّذِي اصطفاه برسالته وبكلامه، واختصه بخصيصتي الْكَرَامَة مَعَ كَونه مَعْصُوما بعصمة ربه، غَنِيا بدفاعه، متأنسا بِقُرْبِهِ، وَاجعَل لي وزيرا من أَهلِي هَارُون أخي، اشْدُد بِهِ أزري، وأشركه فِي أَمْرِي،... "[1].

ابن الخطيب في هذا النص استلهم قصة النبي موسى(عليه السلام) وكيف أنه شدّ أزره بأخيه هارون واستئناسه به لتصوير المعاناة في صراعه مع القوم الكافرين: (واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي ..) ، و(عصاه التي يهشُّ بها) ، إشارةً إلى توظيف الوضع لصاحب الوزارة بصورةٍ استدعائية تقوم على امتصاص الملفوظ النثري الغائب عبر مدلولات إيحائية بطريقةٍ إبداعية لتخصيب نصّه المقامي، فنجد ابن الخطيب قد تفنن في وصف صاحب الوزارة،إذ تأتي الحكمة والتدبير في تجربة الحكم ومقاليد الوزارة والتعامل العادل مع الرعية؛ وتكشف عن توظيف البيان، والبديع من استعارة، وتشبيه، وكناية، وتورية، وجناس، وتضاد.

ومن ذلك أيضاً قوله: "وَكَانَ الوزراء يختارون من الْجَوَارِي للمباضعة، من ظهر مِنْهَا فضل التَّمْيِيز، وأخلصها الِاخْتِيَار خلوص الذَّهَب الإبريز، وَلَا يغشوهن فِي سكر مسْقط، وَلَا فَرح مفرط، وَلَا كسل مقْعد، وَلَا حزب مُفسد، وَلَا غضب مبرق موعد. وَإِذا هم بِطَلَب الْوَلَد، استفتى الكاهن فِي اخْتِيَار الْوَقْت الرامق، فَلَا يُطلق لَهُ ذَلِك إِلَّا فِي الْأَوْقَات المختارة، وَالنّصب الخليقة بِتِلْكَ الإنارة، وَبعده إصْلَاح الْقَمَر وَالشَّمْس، وَالْكَوَاكِب الْخمس، واستحضار الهيئات النابهة، والأشكال المتنافسة المتشابهة، وتقريب القرابين بَين يَدي الْآلِهَة، ثمَّ يلقى الْجَارِيَة، وَكِلَاهُمَا يَقُول قولا مَنْقُولًا عَن الصُّحُف الموصوفة، والكتب المقدسة الْمَعْرُوفَة، مَعْنَاهُ يَا من قصرت الْأَلْبَاب عَن

([1])ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب ، لابن الخطيب :٢/٣٤٠ - ٣٤١

كنهه، وعنت الْوُجُوه لوجهه، قد اجْتَمعنَا على مزج مواد لَا نَعْرِف مَا تحدثه مِنْهَا،...، وابتهالنا فِي رحمتك المستنزلة تَنْبِيها لأقدارك الْمُصِيبَة للسداد، الْجَارِيَة بمصالح الْعباد، إِنَّمَا هُوَ بِحَسب مَا نحرز بِهِ فضل الرَّغْبَة إِلَيْك، وَالسُّؤَال لما لديك، وَنحن بِحسن اختيارك أوفق منا بارائنا، وقضاؤك السَّابِق من وَرَائِنَا، فلك الْحَمد على قضائك، وَالشُّكْر على نعمائك"[1].

في النص المقامي السابق نرى كيف يوضح ابن الخطيب بعض تفصيلات اختيار الجواري ، وابتدأ بقوله: (وكان الوزراء يختارون من الجواري للمباضعة..) ، فقد أضفى على المشهد صوراً متتالية تصف المشهد الطبيعي لحال الوزراء وحياتهم الخاصة ، وكيفية حمل الجواري لغرض إنتاج الأولاد في طرقٍ وطقوس خاصة :(تقريب القرابين بين يدي الآلهة / ثم يلقى الجارية ..)، إذ استطاع توضيح بعض المعاني وإبرازها بقالبٍ فني جميل،إذ حركت النفوس واستثارت الخيالات، ليتأمل القارئ في تلك الصور ويحللها ويحسُّ بحلاوتها.

ومن ذلك أيضًا: "وَكَانَ الْوَزِير فيهم، يشْتَرط فِيهِ أَن يكون قديم النِّعْمَة، بعيد الهمة، مكين الرأفة وَالرَّحْمَة، كريم الْعَيْب، نقي الجيب، مُسَدّد السهْم، ثاقب الْفَهم، واثبا عِنْد الفرصة، واصفا للقصة، مريحا فِي القصة، موفور الْأَمَانَة، أصيل الدّيانَة، قاهر للهوى، مستشعرا للتقوى، مشمرا عَن الساعد الْأَقْوَى، جليل الْقدر، رحيب الصَّدْر، مَشْهُور الْعِفَّة، معتدل الكفة، حذرا من النَّقْد، صَحِيح العقد، رَاعيا للهمل، نشطا للْعَمَل. واصلا للذمم، شاكرا للنعم، خَبِيرا بسر الْأُمَم، ذَا حنكة بالدخل والخرج، عفيف اللِّسَان والفرج، غير مغتاب وَلَا غيابة، وَلَا ملق وَلَا هيابة، مجتزئا بالبلاغ، مشتغلا عِنْد الْفَرَاغ، مؤثرا للصدق، صادعا بِالْحَقِّ، حَافِظًا للأسرار، مؤثرا للأبرار، مباينا بطبعه لخلق الأشرار، وَقد فاق قدر هَذِه الرُّتْبَة بَين الأقران، وَأعْطى وزانها، وَالْحَمْد لله، حَقه عِنْد الِاعْتِبَار"[2].

ومن خلال استقرائنا لنص المقامة نجد أن ابن الخطيب أتى ببعض الصور الكنائية لوصف شخصية الوزير تتناسب مع حسن العقل والحكمة، وقد وظف الاستعارات

([1]) ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب، لابن الخطيب :٢/٢٤١ -٢٤٢.
([2]) ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب، لابن الخطيب:٢/ ٢٤٢.

والجناس والتضاد وغيرها من المحسنات اللفظية والمعنوية : (قديم النعمة / بعيد الهمة / كريم العيب / نقي الجيب / مشهور العفة / معتدل الكفة / حافظاً للأسرار / مؤثراً للأبرار..)، ولا شك أنه مما يدعم الموسيقى الداخلية في النص، لتكون تحفة فنية بديعة.

وكذلك قوله: "وَإِذا انصرفت إِلَيْك من إِحْدَى حرمه، رَغْبَة، أَو تأكدت فِي مُهِمّ قربه، أَو بدرت إِلَيْك شَفَاعَة أَو تَوَجَّهت فِي حَاجَة طَاعَة، فَلَا تسمع رسالتها، وَلَا تعْتَبر مقالتها، إِلَّا من لِسَان إِنْسَان مَوْصُوف عِنْد الْملك بِإِحْسَان، حَال من يقنه بمَكَان، وَاحْترز فِي محاورتها من فلتات اللِّسَان وهفواته، وراجع خطابها مُرَاجعَة الْأَخ إِلَى أكْرم أخواته، أَو الابن الإبر أمهاته. وَلَا تصغ فِي مخاطبتها إِلَى خضوع كَلَام ورقة، تَحِيَّة وَسَلام، وانفر من ذَلِك نفرتك من السمُوم الوحية والمهالك الردية، وأسدل دون الْوَلَد وَالْحرم جنَاح التقية، واكتم سره عَن أَبنَاء جنسك لَا بل عَن نَفسك وَاجعَل قَلْبك لَهُ قبرا، وأوسعه صِيَانة وصبرا فَإِن تزاحم عَلَيْك تزاحما تخَاف عَلَيْهِ معرة النسْيَان وإغفال ذكرهَا على الأحيان، فَاتخذ لَهَا رمزا يفردك بعلمها، وَلَا تبح لسواك شَيْئا من حكمهَا، وَلَا تغفل مَعَ الأحيان مَا جرى بِهِ رسمك من عرض كتاب وَارِد، أَو خبر وَافد، أَو بريد قَاصد واستأمره فِيمَا جرت بِهِ العوايد، وَإِن خصت لَدَيْهِ منزلتك، ولطفت مِنْهُ، محلتك، فَلَا تتْرك أَن يمر ذَلِك على سَمعه، معتنيا لرعيه، وأذقه حلاوة الاستبداد بأَمْره وَنَهْيه، واترك لَهُ منفذا] يحْتَج لَهُ بَابه [عِنْد مغيبك، كَمَا تحببه الْعدْل من نصيبك ولازم سدته مَعَ الأحيان .

وَإِيَّاك أَن تَجْتَمِع مَعَه على فرَاغ، فَيبقى الْملك مضيعا بِمِقْدَار ذَلِك الزَّمَان، وَإِذا انصرفت إِلَى منزلتك، فاختل بعمالك وكتابك، وَذَوي الرَّأْي والنصيحة من أَصْحَابك، على إحكام حَال الْملك الَّذِي ناطها بك، فَإِذا أمسيت، فاشغل طايفة من ليلك بمدارسة شَيْء من حكم الدّين، وأخبار الْفُضَلَاء المهتدين، واجل صدا نَفسك بالبراهين، ومجالسة الْعلمَاء وَالصَّالِحِينَ، وَاخْتِمْ سعيك بِبَعْض صحف النَّبِيين، وأدعية الْمُرْسلين والمتألهين لتختم يَوْمك بِالطَّهَارَةِ والعفة، والحلم والرأفة واعتدال الكفة، وليهون عَلَيْك

النصب والوصب، والعمر المغتصب، إِنَّك مهتد بِهَدي رَبك الَّذِي يرعاك وينجح مسعاك، ويثيبك على مَا إِلَيْهِ دعَاك"[1].

برع لسان الدين بن الخطيب في النص في توظيف المعاني الإنسانية للنصح والإرشاد ، وما يخص الأسرة الحاكمة، وما يتوجب عليها في إسداء النصح والتعامل بإيجابية وحسن تصرف مع الرعية والحاشية، ومن ذلك: (واجل صدا نفسك بالبراهين / ومجالسة العلماء والصالحين..) وهو ما يدلُّ على ثقافته الواسعة ومخزونه الغزير ، والتمكن اللغوي ، وتراص البناء، ويستعمل أسلوب التصور والتخيّل والفنون البديعية التي تغلغلت في نصّه المقامي، لتخدم موقفه الشعوري والفنّي معاً.

(1) ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب، لابن الخطيب:٢/ ٣٥٣-٣٥٤ .

المبحث الثالث

المفاخرات وأوصاف التراجم

أولا: المفاخرات:

تعتبر المفاخرات فناً من الفنون الأدبية فهي معروفة منذ زمن طويل في الأدب العربي، وكانت المفاخرات متداولة بين الشعراء والكتّاب، ووردت المفاخرات في كثير من كتب المعاجم اللغوية، منها ما نجده في لسان العرب من مادة(فخرَ):"المفخَرة والمفخُرة، بفتح الخاء وضمها: المأثرة وما فخر به، وفيه فخرة أي فخر، وإنه لذو فخرة عليهم أي فخر، وما لك فخرة هذا أي فخره،عن اللحياني، وفخر الرجل: تكبر

بالفخر"[1]، وكذلك وردت المفاخرات في القاموس المحيط:"والمفخُرة، وتضم الخاء: ما فخر به، والفاخر: الجيد من كل شيء، وبسر يعظم ولا نوى له، واستفرخ الشيء : اشتراه فاخرا، والفخور، كصبور:الناقة العظيمة الضرع القليلة اللبن"[2]، وقد ذكر الدكتور علي الجندي في كتابه تاريخ الأدب الجاهلي المفاخرة بأنها:"محاورة كلامية بين اثنين أو أكثر، وفيها يتباهى كل من المتفاخرين بالأحساب والأنساب، ويشيد بما له من خصال، وما قام به من جلائل الأعمال"[3].

ومن المفاخرات التي وجدناه في كتاب لسان الدين بن الخطيب هي المفاخرة بين مدينتين وهما: مالقة وسَلَا، ما نصُّهُ:"سَأَلتنِي عرفك الله عوارف السعد الْمُقِيم،وحملني وَإِيَّاك على الصِّرَاط الْمُسْتَقيم، المفاضلة بَين مدينتي مالقة وسلا، صان الله من بهما من النسم، وحبا هما من فَضله بأوفر الْقسم، بعد أَن رضيت بحكمي قَاضِيا،وبفضلي الخطة سَيْفا مَاضِيا، لاختصاصي بسكني البلدين، وتركي فيهمَا الْأَثر للعين على أَن التَّفْضِيل إِنَّمَا يَقع بَين مَا تشابه وتقارب، أَو تشاكل وتناسب وَإِلَّا فَمَتَى يَقع التَّفْضِيل بَين النَّاس والنسناس، وَالْملك والخناس، وقرد الْجبَال، وظبي الكناس .مالقة، أرفع قدرا، وَأشهر ذكرا، وَأجل شَأْنًا واعز مَكَانا وَأكْرم نَاسا، وَأبْعد التماسا، من أَن تفاخر أَو تطاول، أَو تعَارض أَو تصاول، أَو تراجع أَو تعادل، وَلَكِنِّي سأنتهى إِلَى غرضك، وَأبين ربع مغترضك، وأباين جوهرك وعرضك، فبقول الْأُمُور الَّتِي تتفاضل بهَا الْبلدَانِ، وتتفاخر مِنْهَا بِهِ الإخوان، وتعرفه حَتَّى الولائد والولدان، هِيَ المنعة والصنعة والبقعة والشنعة، والمساكن والحضارة، والعمارة والإثارة والنضارة"[4] .

يحدد ابن الخطيب موضوع نصه وهو المفاخرة بين مدينتين: الأولى هي المدينة الأندلسية التي عاش فيها، والثانية المدينة المغربية التي نُفيَ إليها، فهو وإن كان لا يجد مجالا للمقارنة بين مالقة وسلا، إلا أنه استجابة لطلب السائل، يبين أفضلية مالقة على سلا من مواضع عدة هي (المنعة،والصنعة، والبقعة، والشنعة، والمساكن، والحضارة، والعمارة، والإثارة، والنضارة)وفي كل هذه المواضع تظهر أفضلية مالقة

---

(1) لسان العرب، لابن منظور، مادة: (فخر):٤٩/٥.
(2) القاموس المحيط ، الفيروز آبادي: ١٠٨/٢
(3) تاريخ الأدب الجاهلي: د.علي الجندي،مكتبة دار التراث للنشر، ط١، ١٤١٢هـ- ١٩٩١م: ٢٣٦.
(4) ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب ،لابن الخطيب:٢/ ٣٥٥

فيقول مثلا في المنعة:"فإمَّا المنعة، فلمالقة حرسها الله فضل الِارْتفَاع، ومزية الِامْتِنَاع، أما مقبثها فاقتعدت الْجَبَل كرسيا، ورفعها الله مَكَانا عليا بعد، أَن ضوعفت أسوارها وأقوارها، وسما بسنام الْجَبَل الْمُبَارك منارها، وقرت أبراجها وصوعدت أدراجها، وحصنت أَبْوَابهَا، وَحسن جنابها، وَدَار ببلدها السُّور والجسور، وَالْخَنْدَق المحفور فقلهراتها مداين بذاتها، وأبوابها المغشاة بالصفايح شاهدة بمهارة بناتها، وهمم أمرائها وولاتها، كَأَنَّهَا لبست الصَّباح سربالا"[1].

فيما يصف منعة سلا بقوله:"وسلا، كَمَا علمت، سور حقير وثور، إِلَى التنجيد والتشييد فَقير، إطام خاملة وللروم آملة، وقصبتها بِالْبَلَدِ مُتَّصِلَة، وَمن دَعْوَى الحصانة منتقلة، سورها مُفْرد، لَا سلوقية نقية، وبابها تقصد لَا سَاتِر تحميه وَالْمَاء بهَا مَعْدُوم وَلَيْسَ لَهُ جب مَعْلُوم، وَلَا بير بالعذوبة مَوْسُوم، وَفِي عهد قريب استباحتها الرّوم فِي الْيَوْم الشامس، وَلم ترد يَد لامس، من غير منجنيق نصب، وَلَا تَاج ملك عَلَيْهِ عصب، قلَّة سلَاح وَعدم فلاح، وخمول سور، واختلال أُمُور. وَقد سَقَطت دَعْوَى المنعة"[2].

ومن الواضح أن هذه المفاخرة بنيت على أساس المفاضلة التي تظهر تقدم المدينة الأولى على المدينة الثانية، في كل أمورها، فهي مفاخرة ذات موضوع واحد وأن اختلفت طرق الاستدلال على أفضلية هذه المدينة على تلك. فهو يعتمد على أساليب إقناعية ففي قوله: (وسلا، كَمَا علمت) وكأنه يريد أن ينفي عن نفسه التحيز إلى مالقة، ويؤكد أن ما يصف به البلدين هو الحقيقة والواقع، ومن هنا نجد أن لسان الدين بن الخطيب قد أبدع في كتابة هذه المفاخرة وأبدع في الفنون النثرية الأخرى فقد سار على نهج الكتاب القدماء وقلد آثارهم تارة وأبدع في أساليبه تارة أخرى .

ونصل إلى المقطع النثري الأخير من هذه المفاخرة، الذي يوحي إلى انتهاء نص تلك المفاخرة، إذ يقول:"وَالله يَشْمَل الْجَمِيع بنعماه،ويتغمد الْحَيّ وَالْمَيِّت برحماه وَفضل الخطة أَن لمالقة المزية بجلالها وكمالها، وَحسن أشكالها ووفور مَالهَا،وتهدل ظلالها، وشهرة رجالها وطرق صنايعها وأعمالها،ولسلا الْفضل لَكِن على أَمْثَالهَا ونظايرها من

([1]) المصدر نفسه:٢/ ٣٥٥-٣٥٦.
([2]) المصدر نفسه:٣٥٧/٢.

بِلَاد الْمغرب وأشكالها إِذْ لَا يُنكر فضل اعتدالها،وأمنها من الْفِتَن وأهوالها عِنْد زِلْزَالهَا، ومدفن الْمُلُوك الْكِرَام بجبالها، ومالقة قطر من الأقطار، ذَوَات الأقدار والأخطار، وَتَحْصِيل الأوطار، وسلا مصب الأمطار، ومرعى القطار، وبادية بِكُل اعْتِبَار، وَهنا تلقى عَصا التّسيار، ونفض من عنان الْإِكْثَار وحسبنا اللهُ وَنِعمَ الْوَكِيلُ"[1]، وقد اتبع ابن الخطيب في النص أعلاه طريقة الختام بقوله: (حسبُنا اللهُ وَنِعمَ الْوَكِيلُ) .

ثانياً: أوصاف التراجم:

وردت التراجم في كثير من كتب المعاجم اللغوية بمعنى التفسير، منها ما نجده في لسان العرب:"التُرْجُمَانُ والتُرْجَمَانُ؛المفسر للسان،والتُرْجُمَانُ بالضم والفتح: هو الذي يترجم الكلم أي ينقله من لغة إلى لغة أخرى، والجمع التّرَاجِمُ التاء والنون زائدتان، وقد ترجمه وترجم عنه، قال ابن منظور: أما التُرْجُمَانُ فقد حكيت في تُرْجُمَانُ بضم أوله،ومثاله، فُعْلُلَنُ كعُتْرُفَانُ ودُحْمُسَانُ"[2]، وقد تحدث عنه الفيروز آبادي بنفس المعنى في لسان العرب:" المفسر للسان، وقد ترجمه وترجم عنه، والفعل يدل على أصله التاء"[3].

والتراجم جمع ترجمة، وهو فن أدبي يؤرخ لحياة الأشخاص وانجازاتهم ورحلاتهم وأعمالهم وغيرها من الأمور الحياتية الفكرية حفظاً لهما من الاندثار، فالتراجم عند أهل الاصطلاح هو:" ذلك النوع من الأنواع الأدبية، الذي يتناول التعريف بحياة رجل أو أكثر تعريفا يطول أو يقصر ويتعمق أو يبتعد على السطح، تبع الحالة العصر الذي كتبت فيه الترجمة وتبعاً لثقافة المترجم من مجموع المعارف والمعلومات، التي تجمعت لديه عن المترجم له "[4]، ويعرفها عزّ الدين إسماعيل هي:" ترجمة الحياة هي الكتابة عن أحد الأشخاص البارزين لجلاء شخصيته والكشف عن عناصر العظمة فيها، وجوانب الانحطاط – إن وجدت في الشخصية المترجم لها– فالترجمة في الواقع عملية تحليلية لكل مركب من عناصر كثيرة مختلفة هو شخصية ومن خلال هذا التحليل تبرز القيم الإنسانية التي تنطوي عليها هذه الشخصية والتي يهم

---

(1) ريحانة الكتاب،لابن الخطيب:٣٥٨/٢-٣٦٠

(2) لسان العرب، ط١: ٢ /٦٦.

(3) القاموس المحيط، مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٣م:٤/ ٨٣.

(4) فن التراجم والسير، محمد عبد الغني حسن، دار المعارف، القاهرة، مصر،ط٣، د.ت: ٩.

الآخرين الاطلاع عليها"[1]، وعليه فإن التراجم هي قراءة لحياة شخصيات استحوذت على مكانة مرموقة بين الناس من المولد والنشأة والمشايخ والنبوغ والآثار، وغيرها حتى الممات،أو حتى اللحظة التي تُرجم فيها لهم، ويعد تاريخ الأدب الأندلسي في القرن الرابع الهجري وحتى الخامس حافلاً بتراجم الرجال على أنواعها سواء منها العامة أو الخاصة، والتراجُم نوعان:

أولاً: التراجم الذاتية :

يتحدث فيها الكاتب عن نفسه فيكون هو المترجم والمترجم له يؤرخ فيها عن نفسه من مولده حتى لحظة الكتابة، مفرجاً عن كروبه وهمومه مفضياً لنا بأسرار من مكنونات صدره،ويذكر د. إحسان عباس بأن "صاحبها يجب أن يخلق المرايا المجلوّة وينظر إلى نفسه فيها وهي مكشوفة إذا كان يترجم لذاته ويتحدث عن سيرة حياته وليست الترجمة الذاتية حديثاً ساذجاً عن النفس، ويستخرج الثقة الممنوحة لهمنا، خطوة إثر خطوة؛ لتحقيق غاية كبيرة"[2]، ولا تأتي تلك الكتابات عبثاً أو جزافاً أو أن صاحبها يكتبها لتكون هباءً فيما بعد، بل تُكتَب لغايات تكمن وراءها دوافع للتعريف عن نفسه والدفاع عنها وإزالة الالتباسات التي تحدث جرّاء مؤلفاته وبحثاً عن الراحة النفسية وقد تتداخل الترجمة الذاتية مع أشكال تعبيرية أخرى مثل المذكرات، واليوميات، والرسائل، والمفكرات[3]، ومن أمثلة ذلك النوع من التراجم، ترجمة ابن رشيق لنفسه في كتاب(أنموذج الزمان)[4]،تعرض لظروفه الحياتية بتفاصيلها وما أسعد هو ما حز في نفسه، فشد اهتمامنا بذلك، وعد مصدراً هامّاً للتأريخ في الدراسات الأدبية الحديثة،وقد كتب ابن الخطيب الترجمة الذاتية وسجل أهم ملامح حياته في كتابه(الإحاطة في أخبار غرناطة)[5].

ثانياً: التراجم الموضوعية أو الغيرية :

---

(1)الأدب وفنونه دراسة ونقد، عز الدين إسماعيل، دار النشر المصرية، مصر، د.ت: ٢٤٤.

(2) فن السيرة، د. إحسان عباس:٩٨.

(3) ينظر:السيرة الذاتية في الأدب، تهاني عبد الفتاح شاكر، المؤسسة العربيةالنشر، بيروت-لبنان،ط١، ٢٠٠٢م:١٩-٢٠.

(4)ينظر: أنموذج الزمان في*شعراء القيروان* تأليف :حسن بن رشيق *القيرواني* ، حققه وجمعه : محمد العروسي المطوي و بشير البكوش الناشر : الدار التونسية للنشر(تونس)، والمؤسسة الوطنية للكتاب(الجزائر)،ط١، ١٤٠٦ه-١٩٨٦م: ٥

(5) ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة :المقدمة ٤/٥

وتعني قيام الكاتب بترجمة حياة الآخرين، أي أشخاص غيره؛ لذلك سميت بالترجمة الغيرية، فالمترجم يؤرخ لحياة المترجم له مولدا ونشأة حتى الوفاة، وذكر مكانته وارتباطه ببيئته مؤثرا ومتأثرا بها، يحضر فيها الضمير الغائب وتمتاز بالنقدية أكثر من الذاتية أي؛ أن المترجم أثناء بحثه في شخص هذا العلم يصدر أحكاماً عليه، وآراء الآخرين فيه، فـ" السيرة الغيرية لا يمكن أن يتطابق فيها المبدع مع الشخصية الرئيسة، وفي كثير من الأحيان لا يستطيع كاتب السيرة الغيرية أن يصف أحاسيس شخصية وانفعالاتها"[1]، فمهما كان المترجم خبيراً ومتميزاً في كتابة ترجماته إلا إنه لا يتعدى الرسم الخارجي لشخصية المترجم لها، أما في الداخل فيحاول الوصول إلى أكبر عمق ممكن، راصداً ذلك مدخلاً لإنتاج صاحب الترجمة ومن روى عنه والمصادر التي اعتمدها في ترجمته، على عكس النوع الأول فـ"كاتب السيرة الذاتية يصور لنا مادة منتزعة من ذاته، لذلك فإنه يتعامل معها بعطف، أما كاتب السيرة الغيرية فإنه يستقي مادته من العالم المحيط"[2]، فالترجمة الذاتية تنطلق من الداخل إلى الخارج، والكاتب يكون أصدق في التعبير عن دواخله من غيره، أما الترجمة الغيرية فتسير في الاتجاه المعاكس،أي من الخارج نحو الداخل متغلغل إليها عن طريق التحليل والاستقراء الجيدين للمعطيات المتوفرة،ومن أنواع الترجمة الموضوعية أو الغيرية (كتب التراجم العامة، كتب تراجم البلدان، كتب التراجم حسب العصور، كتب تراجم الطبقات، وغيرها).

وإذا كان ابن الخطيب قد ترجم للكثير من أبناء العصر في الأندلس بتراجم وافية[3]،إلا أنه في هذا الكتاب موضوع الدراسة قد اعتمد على منهج مغاير عن مناهج الترجمة المعروفة، إذ إنه اكتفى بذكر أوصاف الرجال بعد ذكر أسمائهم في العنوان، وبأسلوب نثري فني، على نحو ما جاء في قولهفِي وصف الشريف أبي عبد الله بْن الْحسن الحسني:" كريم الانتماء، مستظل بأغصان الشَّجَرَة الشماء، الممتدة الأفياء، الَّذِي أَصْلهَا ثَابت وفرعها فِي السَّمَاء، من رجل سليم الضَّمِير، وَنَفس أصفى

([1]) السيرة الذاتية في الأدب، تهاني عبد الفتاح شاكر، المؤسسة العربية النشر، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠٠٢م:١٩-٢٠.

([2]) السيرة الذاتية في الأدب، تهاني عبد الفتاح شاكر:٢١.

([3])هناك الكثير من مؤلفات ابن الخطيب التي يترجم فيها للآخرين، ذكرناها في المبحث الثاني/الفصل الأول.

من المَاء النمير، وشهامة تثنى عَلَيْهِ الرِّجَال إِذا ضَاقَ المجال، وتقوضت الْآجَال، وَله فِي الشّعْر طبع يشْهد بعروبية أُصُوله، ومضاء نصوله، وَقد أثبت من شعره مَا ينضح فِي البلاغة سَبيله وَيشْهد بِعِتْق الْجواد صهيلة"[1]، نلحظ أن ابن الخطيب في تراجمه هذه يعتمد الوصف ويشير إشارات عامة إلى حال المترجم له، فنراه يصف (أبا عبد الله بن الحسن الحسني) بكرم الانتماء إلى العترة الطاهرة المتصلة برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فوظف المعنى القرآني المتحصل من الآية الكريمة: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤]، للإشادة بالشخص المترجم له، وإثبات فضله وتأكيد صحة نسبه.

وَمن تراجمه أيضاً: فِي وصف أبي الْقَاسِم ابْن الرئيس أبي زَكَرِيَّا العزفي:"فرع تأود من الرياسة فِي دوحة، وَتردد مَا بَين غدوه فِي الْمجد وروحه: نَشأ والرياسة العزفية تعله وتنهله، والدهر يسهل أمره الْأَقْصَى ويسهله، حَتَّى اتسقت أَسبَاب سعده وانتهت إِلَيْهِ رياسة سلفه من بعده، وَأَلْقَتْ إِلَيْهِ رِحَالهَا وحطته ومتعته بقربها بعد مَا شحطت وشطت، ثمَّ كلح لَهُ الدَّهْر بعد مَا تَبَسم، وَعَاد زعزعا نسيمه الَّذِي كَانَ تنسم، وعاق هلاله عَن تمه، مَا كَانَ من تغلب ابْن عَمه، وَاسْتقر بِهَذِهِ الْبِلَاد نازح الدَّار، بِحكم الأقدار، وَإِن كَانَ نبيه المكانة والمقدار ،وَجَرت عَلَيْهِ جراية وَاسِعَة ورعاية متتابعة. وَله أدب الرَّوْض باكرته الغمايم، والزهر تفتحت عَنهُ الكمايم، رفع مِنْهُ راية خافقة، وَأَقَام لَهُ سوقا نافقة، وعَلى تدفق أنهاره وَكَثْرَة نظمه واشتهاره، فَلم أظفر مِنْهُ إِلَّا باليسير التافه، بعد وداعه وانصرافه"[2].

فقد استهل ابن الخطيب الترجمة باسم المترجم له فقط دون الخوض في مولد أو صنعة أو غيرها، ثم وصفه بعدة أوصاف وقد حضرت الصنعة البلاغية بكثرة هنا ومن ذلك: (الغمايم، الكمايم) وبينها جناس ناقص، و(شحطت وشطت)، وبينها جناس بنقص حرف، وقد حضرت الكناية في الجمل السابقة حضورا لطيفا، ومن ذلك: (وله أدب الروض باكرته الغمايم، والزهر تفتحت عنه الكمايم)، وهو كناية عن

---

(1) ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب، لابن الخطيب: ٢/٤٠٠.
(2) ريحانة الكُتاب ونُجعة المُنتاب،لابن الخطيب: ٢/٤٠٠- ٤٠١.

الكثرة والجمال حتى شبهه بالزهر الذي انهمر عليه المطر باكرا، وتفتح وازدهر، وقد حضرت الصورة بعض الشيء وإن كان الحضور على استحياء ومن ذلك قوله: (ثم كلح له الدهر بعد ما تبسم، وعاد زعزعا نسيمه الذي كان تنسم) وهي استعارة مكنية ،إذ استعار للزمن صفات البشر.

وَمن ذَلِك أيضاً فِي وصف أبي عبد الله ابْن الشَّيْخ الْحَاجِب بتونس أبي الْحسن بن عَمْرو:" غذى نعْمَة هامية، ورقي رُتْبَة سامية، تقلد أَبوهُ حجابة الْخلَافَة بتونس، وَهِي مَا هِيَ من سمو الْمَكَان، ورفعة الشان، فصرفت إِلَيْهِ الْوُجُوه، وَلم يبْق إِلَّا من يخافه أَو يرجوه. وَبلغ ابْنه هَذَا مُدَّة ذَلِك الشّرف الْغَايَة فِي الترف. ثمَّ قلب لَهُم الدَّهْر ظهر الْمِجَن، وَاشْتَدَّ بهم الْخمار عِنْد فرَاغ الْيَدَيْنِ، وبزتهم الْأَيَّام بزتها، واسترجعت عزتها، وَلحق صاحبنا هَذَا بالمشرق، بعد خطوب مبيرة، وَشدَّة فِي الْبَحْر كَبِيرَة، فامتزج بسكانه وقطانه، ونال من اللَّذَّات مَا لم ينله فِي أوطانه، واكتسب الشمايل الغر الْعَذَاب، فَكَانَ كَابْن الجهم، بعث إِلَى الرصافة ليرى فذاب، ثمَّ حوم إِلَى وَطنه تحويم الطَّائِر وألم بِهَذِهِ الْبِلَاد إِلْمَام الخيال الزائر، فاغتنمت مِنْهُ صَفْقَة وده لحين وُرُوده، وخطبت موالاته على انقباضه وشروده، فحصلت مِنْهُ على درة تقتنى،وحديقه طيبَة الجني، فيا لله من سَاعَات بالأنس قَطعْنَاهَا، ولذات أطاعتنا وأطعناها، مَا كَانَت إِلَّا كأحلام نايم أَو إفاقة هايم، رحلن وَمَا أبقين إِلَّا الأسى والتعلل بعسى، والفقيه أَبُو عبد الله هَذَا ذُو فهم حَدِيد، وَقصد سديد، وَبَاعَ من الْأَدَب مديد، وَلَو تفرغ للتحصيل بِمُقْتَضى طبعه الْأَصِيل،لعلت قداحه، ..."[1]

يعتمد ابن الخطيب في تراجمه هذه على لغته العالية وقدرته على رصف الألفاظ بما يلائم المعنى بجرس موسيقي مميز، فهو في هذا النص وفي سابقة، يذكر تغيير أحوال المترجم لهم ويؤكد على أن النعيم لا يدوم وإن الضيق الحال يمكن أن يتغير إذا ما سعى الشخص إلى ذلك، وبثَّ لنا في ترجمة أبي عبد الله هذا حكمة عميقة تُفضي بالإنسان إلى عدم الاغترار بالدنيا، وإن المكان يجب أن يقف

(1) ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب،لابن الخطيب:٢/١٠٤

عائقا لأجل تحقيق الذات لذا مثل حياة أبي عبد الله بحياة علي بن الجهم* الذي أعجب ببغداد وتغنى فيها بعدما اطمأنت نفسه لها.

وكذلك قول ابن الخطيب فِي وصف أبي جَعْفَر بن الزيات:"علم الْأَعْلَام، وخاتمة شُيُوخ الْإِسْلَام، تجرد لِلْعِبَادَةِ فِي ريعان شبابه، ولازم جناب الله وَأكْثر الْوُقُوف بِبَابِهِ، وَلم تزل الفتوحات القدسية، تعرض عَلَيْهِ أذواقها، والمحبة الربانية تطلع إِلَيْهِ أشواقها، وتدير لَدَيْهِ دهاقها، حَتَّى قلع لِبَاس البدنيات الدنيات، وَنزع نطاقها، وَبث أَسبَاب هَذِه الأكوان ذَوَات الألوان وأزمع فراقها، فَأصْبح فَردا تُشِير إِلَيْهِ الْأَبْصَار، وتنال ببركته الأوطار، وتجدي لرويته الأقطار، ودعا إِلَى السفارة فِي صَلَاح الْمُسلمين فَأجَاب، وسعى فِي إخماد الْفِتْنَة، فانجلى لَيْلهَا وانجاب، وأعمل فِي مرضاة الله لإقتاب،وخاض الْعباب، وَكَانَ ببلش بَلَده منتج رايد، ومعدن فرايد،وفجر الله ينابيع الْحِكْمَة على لِسَانه ،وَجعل زِمَام الفصاحة طوع إحسانه،دون النّظم فِي شَتَّى الْفُنُون،وجلى أبكار المعارف ، فوقد المطارف للعيون، وَكَانَ يقْعد بمسجدها الْجَامِع فيدرس ويحلق، وينعرب ويخلق ، فَيَأْتِي من الْإِعْرَاب بالأغراب، وَيتَكَلَّم فِي التَّفْسِير بِغَيْر الْيَسِير ،ويلمع من التَّعْلِيل لَا بِالْقَلِيلِ، وَيُشِير إِلَى فريقه برموز طَرِيقه، وَلما نَادَى بِهِ مُنَادِي فِرَاقه، وغيب الدَّهْر نور إشراقه، بَكت عَلَيْهِ هَذِه الربوع دَمًا، وَأصْبح وجودهَا عدما، وَقد أثبت من آدابه وشعره مَا يشْهد بسعة صَدره، وَيدل على قدره"(١).

عمد ابن الخطيب في ترجمة أبي جَعْفَر بن الزيات غلى ذكر بعض مراحل حياته ابتداءً من مرحلة الشباب التي تفرغ فيها للعبادة والتعلم حتى أصبح أحد أشهر أعلام عصره، يقصده الناس للتعلم بين يديه وفض النزاعات عنده، لما له من مكانة كبيرة وعلم كثير، وذكر وفاته ومكانته العلمية.

*علي بن الجهم: هوصاحب البيت المشهور: عيونُالمَهَا بينَ الرّصافةِ والجسرِ... جلبنَ الهوى من حيثُأدري ولا أدري، ينظر: ديوان *علي بن الجهم* ;المؤلف: علي بن الجهم؛ المحقق: خليل مردم بك، الناشر: المملكات العربية السعودية، وزارة المعارف، دار المكتبية المدرسية، ط٢: ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م: ٤٨.

(١) ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب ،لابن الخطيب:٣٦١/٢

وكذلك قوله فِي وصف أبي عَمْرو بن عباد من أهل رُنْدَه*: "صوفي مُحَقّق، ومريد عَن صبوح الْمحبَّة مرفق، كَانَ بِبَلَدِهِ رَحمَه الله عينا من أعيانها، وقريع بَيت من بيوتات إحسانها، شام للغرب بارقا، فَأَصْبح لدنياه مفارقا، فنزح عَن بِلَاده، وَخرج عَن طريفه وتلاده، وشمر لمقارعة الْهوى وجلاده، وخاض بَحر تِلْكَ الْأَهْوَال حَتَّى صَار معدودا فِي أهل الأحوال، وَظَهَرت عَلَيْهِ سمات الحضرة، وسطعت لَهُ أنوار الْعِنَايَة الإلهية، وَلم يزل يعبر عَن وجده ويكنى بحاجره ونجده، حَتَّى حفظت أَقْوَاله، واشتهرت أَحْوَاله"(١) .

ونلحظ إن ابن الخطيب ينوع في ذكر المعلومات التي ينقلها عن الشخصيات التي يترجم لها، فهو يذكر طريقة أبي عمر بن عباد الصوفية، وينسبه إلى مدينة (رُنْدَه)، التي خرج منها إلى بلاد أخرى، ويذكر لنا أوصافه وأحواله على أفضل ما يمكن.

وكذَلِك ذكر ابن الخطيب فِي وصف أبي جَعْفَر الروية من أهل بلش:" ناظم للفقر الشاردة، ومقتنص الْمعَانِي الصادرة والواردة، وَصَاحب قريحة ملتهبة الْوقُود، وبديهة منتظمة الْعُقُود، إِلَى بَيت ينتمي إِلَى مجد، وأصالة أطيب من عرار نجد. نَشأ بِبَلَدِهِ بلش قرارة ميلاده، مُقْتَصرا على انتجاع تلاده، صان بذلك وَجهه عَن إِرَاقَة مَائه وهتك حجاب حيائه، وَلم أظفر من شعره على استرساله، وتدفق سلساله إِلَّا بقوله يهني السُّلْطَان بِأحد أَوْلَاده"(٢) .

تحمل هذا الترجمة بعداً نقدياً اخلاقياً، فبعد أن ذكر لسانُ الدين بن الخطيب الرجلَ وبلده، ذكر أيضاً سمات أشعاره التي خلت من التكسب؛ فالتكسب يريق ماء الوجه وهذه ما حفظ لأبي جَعْفَر الروية مكانه، فلم يجد في شعره إلا قولاً واحداً يهنئ به أحد أولاد السلاطين، وقد عرض ابن الخطيب هذا الوصف في تلك الشخصية وفحوى ترجمة إحدى خِصالها، ولهذا عقدنا في هذا المبحث بما يُسمى بـ(أوصاف التراجم)، لأن الكاتب الأديب ابن الخطيب، مؤلف كتاب دراستنا قد أعطى مساحة

---

*(رُنْده) بضم أوّله، وسكون ثانيه: معقل حصين بالأندلس من أعمال تاكرنّا، وهي مدينة قديمة على نهر جار وبها زرع واسع وضرع سابغ، ينظر: معجم البلدان:٣/ ٧٣.

(١) ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب، لابن الخطيب:٢/٣٩٥.

(٢) ريحانة الكُتاب ونُجعة المُنتاب ،لابن الخطيب: ٢/٣٩٨.

واسعة لذكر أوصاف تلك الشخصيات الأدبية والعلمية[1]، وبأسلوب نثري قد ازدهى بألوان من حُسن الكتابة ورونقها وعذوبة الأوصاف وسحرها، وقد رصفها بأساليب البلاغة والبيان، وبلوغ مقاصد الترجمان، بسبك الألفاظ ومعانيها وصورها لإيصالها إلى المتلقي بأعذب إحساس ووجدان.

(1) ينظر: المصدر نفسه: ٣٦١/٢-٤٢٨. وردت في هذا الشأن مائة وتسعة وسبعون ترجمة للعديد من الشخصيات، وبعضها تراجم مختصرة بصفاتهم فقط لا تشتمل على مولد أو وفاة أو تفاصيل الحياة.

الفصل الثالث

البناء الفني في نثر لسان الدين في كتاب(ريحانة الكُتّاب)

المبحث الأول: التشكيل البنائي

المبحث الثاني: التشكيل الإيقاعي

المبحث الثالث: التشكيل البياني

المبحث الأول

التشكيل البنائي

توطئة:

قبل البدء في التشكيل البنائي عند لسان الدين بن الخطيب لابُدَّ أن نشرع أولا في بيان مصطلح البنية عند النقاد، مصطلح البنية في اللُغة فهو مشتقٌ من الفعل "بنى" وهو البناء أو الطريقة، كما تدل على التشييد والعمارة،أو الكيفية التي شُيّد عليها [١].أما الدلالة النحوية فيُعنى بها بناء الجملة، أو تكوين طرفي الإسناد[٢]، أما الدّلالة الاصطلاحية فقد تلقى الكثير من الرؤى، وبإيجاز فإننا نعرض لأهم التعريفات وهو تعريف جان بياجه، وهو يعدّها: نسق من التحويلات يحتوي على تلك القوانين التي من شأنها أن تجعل النص قائما، وألا تخرجه عن إطاره العام الذي بناه الأديب، والبنية تحد بثلاثةِ خصائص عنده وهي: هي الكليةُ والتحولاتُ والضبط الذاتي [٣].

ونلحظ من تعريفه عدّة أشياء وهي:

أولا: أنه يجعل البنيوية فرع من فرع العلوم الإنسانية.

ثانيا: يفرق بين ماهية البنيوية وما ترمي إليه من أهداف.

ثالثا: أن البنيوية تهدف إلى تكوين البناء النصي، وأنها تكتفي بعناصره ولا تحتاج إلى العناصر الخارجيةِ، ونلحظ في تعريفها السابق أيضا أنه دل على أن البنية أولا نسق من التحولات الخارجية، إما ثانيا فهو يتطورُ ويتوسعُ من الداخل، لذلك لا يحتاجُ لأي عنصر خارجي[٤].

أما عن خصائصِ البنيةِ التي أشارَ إليها جان بياجه في تعريفهِ للبنية فهي ثلاثُ خصائص كالتالي[٥]:

---

(١) ينظر: المعجم الوسيط ، مجموعة من المؤلفين إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر دار الدعوة، د.ت، باب الباء:٧٢/١، و مشكلة البنية أو أضواء على البنيوية، زكريا إبراهيم، دار مصر للطباعة، د.ط، د.ت: ٣٠.

(٢) ينظر:المدخل اللغوي في نقد الشعر قراءة بنيوية،مصطفى السعدني،دار المعارف، مصر، د.ط، د.ت: ١١.

(٣)ينظر:البنيوية،جان بياجه، ترجمة،عارف منيمنه وبشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت، ط٤، ١٩٨٥م: ٨.

(٤) ينظر: الاتجاهات النقدية والأدبية الحديثة (دليل القارئ العام)، أحمد العشيري، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ٢٠٠٣م : ٥٣ – ٥٤ .

(٥) ينظر: البنيويَّة ، جان بياجيه : ٧ .

أولا: الكلية أو الشمول :

ويعنى بها كلية العمل الفني وفق هدف واحد، وهي أن يوظف الأديب العمل الفني لخدمة هدف واحد، فتتضافر العناصر لتكون البنية الواحدة، فهي تُضفي على الكُل خصائص مغايرة لخصائص العناصر التي يتألف منها البعض[٣٤٤].

ثانيا: التحولات :

وهي النشاطات الداخلية للنص، من تحول الأسلوب مما يسير عليه إلى أسلوب مغاير يرمي منه الأديب نوعا من الخصائص المغايرة والتي تشترك من الأسلوب السابق لها في المعنى[٣٤٥].

ثالثا: التنظيم الذاتي :

وهي خاصية تعنى بما يدور في النص من ألفاظ تراكيب، ثم انتقال الأديب إلى تراكيب مغايرة للأول، وهذا لا يُعني أن تندرج ضمن بنيةٍ أخرى أوسعَ منها، دون أن تفقد خواصها الذاتية [٣٤٦].

وعرفها عبد السلام المسدّي بأنها:" يعتزم الولوج إلى بنية النص الدلالية من خلال بنيته التركيبية"[٣٤٧].

إما البنيوية من حيث المنهج فقد عرّفها فائق مصطفى وعبد الرضا على إنها:" منهج فكري يقوم على البحثِ عن العلاقات التي تعطي العناصر المتحدة قيمة، ووصفها في مجموع منتظم مما يجعل من الممكن إدراك هذه المجموعات في أوضاعها الدالة"[٣٤٨].

([٣٤٤]) ينظر: النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، إبراهيم محمود خليل، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٣م : ٩٥.

([٣٤٥]) ينظر: المصدر نفسه : ٩٦ . والبنيويَّة ، جان بياجيه : ١١

([٣٤٦]) ينظر: النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، إبراهيم محمود خليل:٩٦- ٩٧ . والبنيوية ، جان بياجيه : ١٣

([٣٤٧]) قضية البنيوية دراسة ونماذج، عبد السلام المسدي، وزارة الثقافة، تونس، ط١، ١٩٩١م : ٧٧ .

([٣٤٨]) في النقد الأدبي الحديث منطلقات وتطبيقات، فائق مصطفى و عبد الرضا، دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد، د.ط، ١٩٨٩م : ١٨٢ .

وما نرمي إليه هنا أن البنيوية في نظر النقاد العرب ثمرة من ثمرات التفكير اللساني، وأثر من آثاره.

أما المنهج البنيوي من حيث الاتجاه يُعدُّه بعض الدارسين أقرب المناهج إلى الأدب؛ لأنه يجمع بين الإبداع من الناحية اللُغوية، ومن ثم أثر هذا الإبداع اللُغوي على نفوس السامعين، فهو متوافق في بداية الأمر في علم اللغة، أما من وجهة نظر فرديناند دي سوسير فإن تعريف البنية في علم اللُغة أخذ تودوروف وبارت وآخرون إلى الكشف عن عناصر النظام في الأدب[٣٤٩].

ونلاحظ تعدد التعاريف لمفهوم البنيوية عند النقاد العرب وكذلك النقاد الغرب، وهذا يجعلني أطرح سؤالٍ عن تعدد هذا المصطلح ولم يكن تعريف موحد ودقيق لدى النقاد؟ قد يكون سبب ذلك هو اختلاف الرؤية الفكرية والعلمية لمن يقوم بترجمة مفهوم البنيوية ، لذلك يختلف تعريف البنيوية من ناقد لآخر، وقد تكوّن لدي مفهوم للبنيوية من خلال ما رأيته سابقاً بأنه منهج نقدي يبدأ بالنص وينتهي به أي يهتم بدراسة داخل النصوص الأدبية .

المطلب الأول: البنية الفنية الداخليّة في نثر لسان الدين في(ريحانة الكُتّاب):

أولا: محور اللغة

اللغة هي المحور الأساسي الذي يبني عليها الكاتب النصّ أو الخطاب، وهي الأداة الأولى للتّعبير عن التجارب الإبداعية والتواصل بين البشر، والأصل أن تلك اللغة إنما تعمل على تنظيم وتصنيف الإخبار الدلالية للمتتاليات ككل، فاللغة هي المحور الأول الذي تتشكل منه الجمل في النص، ثم تتضافر تلك الجمل في نسيج واحد مكونة ذلك النص، الذي يؤدي وظيفة الخطاب والذي يعد بدوره البنية الدلالية والتي يتم بواسطتها وصف انسجام الخطاب، وتعتبر أداة إجرائية حدسية يتم بها تقارب البنية الكلية للخطاب[٣٥٠].

([٣٤٩]) في نظرية الأدب، شكري الماضي، دار الحداثة، بيروت، ط١، ١٩٨٦م : ١٩٠ .

([٣٥٠]) ينظر: لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)،محمد الخطابي،الناشر المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩١: ٤٠.

إذ تهتم البنية بالمخاطب أو المرسل أو المتكلم، و كذلك تهتم بمتلقي الخطاب ونوع الرسالة، وهي عناصر أساسية في هذا العنصر، تدخل في تشكيل البنية الخطابية لأي نص، و تساهم في تأويله و فهمه و الوصول إلى حقيقة تماسكه دلاليا. ومن ثم فإن المهتمون باللغة قد نظروا في دراسة اللغة من حيث المخاطب ثم من حيث المتكلم وغيرها فجنحوا باللغة إلى الأسلوب وهو قسم من أقسام دراسة اللُغة، فإن دراسة الأسلوب كنوع أدبي من أجلّ وأعلى مراتب الدراسات الأدبية؛ وذلك لكون الأسلوب أحد الطرق الموصّلة إلى فهم اللُغة فهماً دقيقا، ولقد تعددت الأساليب العربية بين الخبر والإنشاء من النواحي البلاغية واللُغوية وغيرها من النواحي ، ولقد عني البلاغيون بأنواع الأساليب وذلك لتوقف نوع الكلام والمراد منه على نوع الأسلوب، ومن ثم انطلقوا إلى دراسة الأسلوب من حيث وقعه على المستمع ، ومن ثم أغراضه من المتكلم، أما الأسلوب فهو في اللغة : الطريقة أو الوجهة، ويقال للسطر من النخيل: أسلوب. وكُلَّ طريق ممتد، فهو أسلوب. قال: والأسلوب الطريق، والوجه ، والمذهب؛ يقال : أنتم في أسلوب سوء ، ويجمع أساليب [٣٥١]

ومن ثم صرف المعنى إلى ما أرداه المتكلم ، فأسلوب المتكلم هو طريقته في الكلام ، وقد قسم البلاغيون الأساليب على نوعين :

النوع الأول : الأسلوب الخبري، وهو الذي يعني به إيجاد خبر يَصحُّ وصفهُ بالصدق أو الكذب، وعكسه الإنشائي: وهو الذي لا يمكن وصفه بصدقٍ ولا بكذب، والمقصود بصدق الخبر هو مطابقته للواقع ويكون نفس الأمر، والمقصود بكذبهِ هو عدم مطابقته له، وقد اهتموا بكلا النوعين فقد اهتموا بالأسلوب الخبري، وذكروا أحوال الإسناد الخبري، وأحوال أجزاء الجملة من مسند ومسند إليه، بين ذكر وحذف وتقديم وتأخير وأغراض ذلك، والأصل أن الأسلوب الخبري مبني على الحكاية، ويقصد به الإخبار والإعلان، وعلى الصعيد الآخر يوجد الأساليب

(٣٥١) ينظر: لسان العرب،(مادة سلب): ٦ / ٣١٩

الإنشائية التي يقصد بها إنشاء الكلام وإيجاده ابتداءً، كالأمر والنهي والاستفهام والتمني والرجاء[٣٥٢] .

ومن ثم فقد نظروا في اللغة من ناحية أخرى وهي السياق، وقد عرف السياق بأنه: مجموع النص الذي يقدم الكلمة أو يصاحب الوحدة أو البنية التركيبية التي تتوقف عليها دلالتها، والدور الذي تؤديه[٣٥٣].

وعند دراسة طبيعة الألفاظ اللغوية في النثر الفني عند لسان الدين بن الخطيب في كتابه (ريحانة الكُتّاب)، نجدها قد أتت محاكية لأسلوب النثر المشرقي، فلغة الكاتب منمقة الديباجة، حسنة السبك، قد سلكت ألواناً من الترسل وبلاغة العبارة، فأتت متسمة بالوضوح، كما توافقت طبيعة لغة الكاتب في كتاباته مع اختلاف الفنون النثرية التي كتب فيها بحسب درجات المقام والمناسبة، وقد برع ابن الخطيب في الكتابة وانماز بكثرة التأليف وغزارة الإنتاج، فانمازت لغته بصورة عامة بالسلاسة والسهولة، والإكثار من المحسنات البديعية؛ بغرض التنسيق والتزيين فـ" مبالغاته في إظهار التواضع؛ لغرض التملق وهذا يظهر واضحاً في رسائله التي يخاطب بها الأمراء والسلاطين[٣٥٤].

وكان يُكثر من استخدام أسلوب السجع، وكثرة الاقتباسات القرآنية، والتضمين الشعري[٣٥٥]، والترادف وغيرها من المحسنات، وكذلك يكثر في انشائياته من استخدام الجمل المعترضة[٣٥٦]، ورسم الصور أو التصوير التشخيصي لتجسيد المعاني من خلال استخدام الاستعارات والتشبيهات؛ لتقريب المعنى إلى الأذهان[٣٥٧].

([٣٥٢]) ينظر : جواهر البلاغة ، لأحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت١٩٤٣م)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان ،ط١ ، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م : ١/ ٤٠ و ٥٣

([٣٥٣]) ينظر: نحو نظرية وظيفية للنحو الوظيفي، يحيى يعطيش، تحقيق عبد الله خلخال، جامعة منتوري للنشر، الجزائر ، ط١، ٢٠٠٦م :٢٢٧.

([٣٥٤]) ينظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، تح.إحسان عباس، دار صادر، بيروت– لبنان، ط١، ١٩٩٧: ٣٧/٥

([٣٥٥]) ينظر: أوصاف الناس في التواريخ والصلات: لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: د. محمد كمالشبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢م: ٣٧، ٦٧.

([٣٥٦]) ينظر: ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب،لابن الخطيب: ١٥٢/١.

([٣٥٧]) ينظر: ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب ،لابن الخطيب: ١٥٥/١.

كما كان يكثر من التوكيدات من خلال تكرار المعاني بجمل جديدة متعاطفة، وتكرار الجمل الدعائية[٣٥٨]، يعمد إلى ترتيب عناصر الموضوعات والأفكار بأشكال متسلسلة وفقرات مرتبة تخلو من الاستطراد والتشابك والتضارب[٣٥٩].

ومن مظاهر تجلي سمة الوضوح اللغوي في نثر كتابه: يقول "كتبت عن السلطان أبي الحجاج رحمه الله في شأن جبل الفتح ومدينة رُندة وما شاع من عمل الطاغية على الحركة إليها ما نصه: المقام الذي له المجد الشهير المآثر الكبير المفاخر ،والأصالة المتواترة عن الملوك الأكابر، والحسب الذي تشهد به صدور الملاحم وظهور الجياد وبطون الدفاتر ،مقام محل أخينا الذين كبر مقامه الرفيع الشأن ،ونوجب لها لحقب ما اقتضاه حسبه الراسخ البنيان ،المتناسق تناسق قلائد الجمان، بالملوك الأعيان، السلطان الكذا أبي عنان ابن محل أبينا الذي نعظمه ونجله ونوجب لها لحق الذي هو أهله ،السلطان الكذا صاحب الجهاد المقبول والرفد المبذول ،أمير المسلمين وناصر الدين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي الحسن ابن السلطان المؤيد المعان صاحب الجود الشهير في الأقطار، والبطل المتألق الأنوار والمآثر التي هيأ شهر من محيا النهار.."[٣٦٠]، ففي النص النثري أعلاه تتجلى سمة الإفهام المباشر للمتلقي بألفاظ واضحة موشحة بالمعاني المونقة والخواتيم المسجعة، لعرض المضمون.

ومن ذلك أيضاً: "صدر عني في ذلك صِداق منعقد على أُخت السلطان أبي الحجاج بن نصر للرئيس أبي الحسن علي بن نصر ما نصه الحمد لله مانح أسباب الهبات ومسديها وفاتح أبواب الآمال البعيدة المنال ومُدنيها وجاعل البركات الظاهرة منوطة باتباع أوامر هذه الشريعة الطاهرة واجتناب نواهيها حمدا يصل المنن بالمنن ويربط المواهب بالمواهب الذي أنشأ الإنسان من نفس واحدة وجعل العالم صفات حدوثها بعرمه شاهدة وجاد على الخلايق من نعمه وعواطف رحماه بأفضل صلات وأكرم عايدة وأوردهم من موارد لطفه كل عذب المشارب هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ومنهى عباده إلى ماسبق في هم من سوابق الإرادة

([٣٥٨]) ينظر: لسان الدين بن الخطيب ومنهجه في كتابه (أوصاف الناس في التواريخ والصلات)، سرى طه ياسين، الجامعة العراقية/ كلية التربية للبنات، مجلة كلية الإمام الأعظم: ٤٧٨-٤٧٩

([٣٥٩]) ينظر: فنون النثر في أدب ابن الخطيب الأندلسي(ت٧٧٦ه)، سعود غازي محمد الجودي، رسالة ماجستير، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات العليا، فرع أدب، ١٩٩٠م: ٨٧

([٣٦٠]) ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب،لابن الخطيب: ١٥٢/١

وجاعلهم قسمين فمنية إلى الشقاء ومنية إلى السعادة لا اعتراض على حكمه الفصل وأمره الغالب تقدس عن لواحق الحوادث والأغيار وتعلَّى عن هواجس الخواطر وخطرات الأفكار ووسع الأكوان ظاهرها وباطنها باللطف الخفي والجود المدرار فشملت نعمته الهامية السحاب أوجر العالم ليعبدوه وألزمهم أن ينزهوه ويمجدوه وعرفهم وجوده الضروري ولولاه ماعرفوه ولا وجدوه وخلفهم في بطون أمهاتهم خلقا من بعد خلق في ظلمة الغياهب شرع لنا..."[٣٦١].

مبالغاته في إظهار التواضع؛ لغرض التملق وهذا يظهر واضحاً في رسائله التي يخاطب بها الأمراء والسلاطين[٣٦٢].

و"من ذلك ماكتبتُ به المقام الذي رمى له الملك الأصيل بأفلاذه وأوى منه الإسلام إلى ملجأه الأحمى وملاذه وكلفت السعود بإمضاء أمره المطاع وإنفاذه وشا حلبة الكروم فكان وحيد آماده وفذ أفذاذه وابتدع غريب الجود فقال لسان الوجود نعم البدعة هذه مقام محل أخينا الذي أركان مجده راسية راسخة وغرر عزه بادية باذخة وأعلام فخره سامية شامخة وآيات سعده محكمة ناسخة السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله يجري بسعده الفلك ويجلى بنور هديه الحلك ويسطر حسنات ملكه الملك ويشيد بفضل بأسه ونداه النادي والمعترك معظم حقوقه التي تأكد فرضها المثنى على مكارمه التي أعيا الأوصاف البليغة بعضها الأمير عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبي الوليد إسماعيل بن فرج بن نصر سلام كريم طيب بر عميم يخص أخوتكم الفضلى ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله الذي هيأ لملة الإسلام بمظاهره..."[٣٦٣].

ثانيا: التنويع بين الشعر والنثر:

ليس هناك اتجاه أسلوبي أو مذهب معين غلب على نصوص النثر العربي؛ بل هناك بعض الأدباء ينّوعون في النصّ الواحد غالباً ضمن أدائهم، والانتقال من أسلوب النثر إلى الشعر الذي برع فيه لسان الدين بن الخطيب، من ذلك قوله:" يمُوت الْمَرْءِ على مَا عَاشَ عَلَيْهِ، ويحس

([٣٦١])ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب ،لابن الخطيب:١/٨١.

([٣٦٢]) ينظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للمقري: ٥/٣٧.

([٣٦٣])ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب ،لابن الخطيب:١/٥١٣.

على مَا مَاتَ عَلَيْهِ، أَن تَقول نفس يَا حسرتي على مَا فرطت فِي جنب الله، وَإِن كنت لمن الساخرين. أَو تَقول لَو أَن الله هَدَانِي لَكُنْت من الْمُتَّقِينَ، أَو تَقول حِين ترى الْعَذَاب لَو أَن لي كرة فَأَكُون من الْمُحْسِنِينَ. وَفِي مثل ذَلِك قلت:

أَعُشَّاقَ غير الْوَاحِد الصّمد الباق ... جنونكم وَالله أعيت على الرَّاقِ

جُنِنتم بِمَا يفني ويبقي مضاضةً ... تْعَذّب بعد الْبَيْن مهجة مشتاق"[٣٦٤].

وهنا حَسُن انتقال الشاعر في أسلوب الوعظ من الاقتباس القرآني في نثره إلى الأسلوب الشّعري، وهو في معرض الوعظ ، وكما بين العلماء أن الشّعر له مقام لا يقومه النثر، فللشّعر وقعٌ في النفس وتأثيرٌ بليغ عظيم،وهذا ما أوقعه لسان الدين هنا،إذ انتقل من النثر إلى عرض الآيات، ثم إلى الشّعر، وهو دعوة لترك العُشاق ما جنحوا إليه ثم بين أن حب الله هو الباقي، وأن هذا العشق يفنى، وهذا الانتقال كان روعة في التصوير، وحسن تقسيم من لسان الدين.

ومنه أيضا قوله:" وكتبت عَن السُّلْطَان أبي الْحجَّاج ابْن السُّلْطَان أبي الْوَلِيد بن نصر رَحمَه الله إِلَى التربة المقدسة تربة رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم، وَهِي من أوليات مَا صدر عني فِي هَذِه.

إِذا فَاتَنِي ظلّ الْحمى ونعيمه ... كفاني وحسبي أَن يهب نسيمه

ويقنعني أَنِّي بِهِ متكيف ... فزمزمه دمعي وجسمي حطيمه"[٣٦٥].

أما الانتقال هنا كان في معرض المدح والرثاء، أما الرثاء فقد بين فيه شخص المرثي، وأما المدح فكان لأرض طيبة وقبر الرسول الكريم.

ثالثا: أسلوب الدعاء:

جاء أسلوب الدعاء في نثر لسان الدين بن الخطيب ينم عن إيمانٍ كبير، فأكثر من التضرّع والخشوع، وزاد من الألفاظ وأنّق فيها، وأوقع فيها الألحان بكثرة السجع، وكثر الأجراس الموسيقية التي تُحدثها التماثلات الصوتية، ومن ذلك قوله: "يَا غياث الْأمة وغمام الرَّحْمَة،

([٣٦٤])ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب ،لابن الخطيب: ٥٠/١.

([٣٦٥])المصدر نفسه: ٥٥/١.

ارْحَمْ غربتي وانقطاعي، وتغمد بطولك، قصر باعي، وقو على هيئتك خور طباعي. فكم جزت من لج مهول، وَجَبت من حزون وسهول، وقابل بِالْقبُولِ نيابتي،وَعجل بِالرِّضَا إجَابَتِي، وَمَعْلُوم من كَمَال تِلْكَ الشيم، وسخاء تِلْكَ الديم، أَن لَا يخيب قصد من حط بفنايها، وَلَا يظمأ وَارِد أكب على مَا يها. اللَّهُمَّ يَا من جعلته أول الْأَنْبِيَاء بِالْمَعْنَى، وَآخرهمْ بالصورة، وأعطيته لِوَاء الْحَمد، يسير آدم فَمن دونه، تَحت ظلاله المنشورة وملكت أمته، مَا زوى لَهُ من زَوَايَا البسيطة المعمورة"[٣٦٦].

وشرح الدعاء أولا بالثناء والمدح، ثم الابتهال والتضرع، فتحلى بأدب الدعاء الشرعي، ومن ثم شرع في توسله إلى الله تعالى، ثم يتضرع إلى الله بأفعاله العظمى، وبصفاته العُليا، في نسق من السجع والجناس كما هو الحال بين(الصورة، المعمورة) وبين(الأمة، الرحمة) وبين(انقطاعي و طباعي)، فتلك الأسجاع وغيرها مما يضفي الترابط بين عناصر النص،ومن هذا التأنق أيضا ضرب آخر وهو حسن الانتقال من الإنشاء إلى الخبر، ثم العودة إلى الإنشاء مرة أخرى.

ومن أسلوب الدعاء قوله: " فيا لَهُ من سرب مروع، وصريخ عَنْك مَمْنُوع، وَدُعَاء إِلَيْك وَإِلَى الله مَرْفُوع، وصبية حمر الحواصل، تخفق فَوق أوكارها أَجْنِحَة المناصل"[٣٦٧].

ويظهر هنا الدعاء في أسلوب خبري، تخلص لسان الدين من الدعاء في صيغته الإنشائية الطلبية إلى الصيغة الخبرية، فهو يتوسل إلى الله بهذا الضعف، ويرفع إلى الله هذا الدعاء.

ومن أسلوب الدعاء أيضا قوله:" فَلَا تفردنا وَلَا تهملنا وناد رَبك فِينَا رَبنَا لَا تحملنا، وطوايف أمتك حَيْثُ كَانُوا عناية مِنْك تكفيهم،وَرَبك يَقُول وَقَوله الْحق: وَمَا كَانَ الله ليعذبهم وَأَنت فيهم"[٣٦٨].

ويتضح من الأسلوب السابق نوع التوسل المنشود، فكان لسان الدين يدخل في دعاء التوسل إلى الله بآياته، كما توسل بضعفه، ثم توسل إلى الله بوعوده.

رابعا: أسلوب الاعتراض:

([٣٦٦]) ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب ،لابن الخطيب:١/٦٠-٦١.

([٣٦٧]) المصدر نفسه: ١/٦٠.

([٣٦٨]) المصدر نفسه: ١/٦٢.

الاعتراض هو:" من محاسن الكلام في الشعر والنثر،وهو أن يعترض المُتَحَدّثُ بكلامهِ كلاماً آخر قبل أن يُتَمّم المعنى، ثُم يعود إلى إتمامه "[٣٦٩]، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾[الواقعة: ٧٦]،نجد الاعتراض بين الصفة والموصوف في قوله (لو تعلمون عظيم)

وقد ذكر أبو هلال العسكري في كتابه(الصناعتين) الاعتراض قال:"هو كلام في كلام لم يتمّ، ثم أنْ ترجعَ إليه فَتتُمّه "[٣٧٠].

وقد جاء أسلوب الاعتراض في نثر لسان الدين بن الخطيب في الجمل الشرطية ومن ذلك قوله:" وماذا عسى أن يبلغ القول وإن اضطر، أو ينتهي المدح وإن شرد، فِي أنباءِ صحابة الرَّسُول وأنصاره، وسلالة سعد بن عُبَادَة، وزيره الَّذِي لَا يضاهى فِي رفْعَة شَأْنه، وعلوّ مِقْدَاره، ووليّه الَّذِي أعلن بإجلاله فِي قومه الْأَنْصَار وإكباره، وَقَالَ لَهُم لما أطلّ، قومُوا لسيدكم تسجيلا لعقد فخاره، إِلَى أَن ألبس الله طوق هَذِه الْخلَافَة النصرية، ..."[٣٧١] .

والأصل أن الجملة هي؛ وماذا عسى أن يبلغ القول، في أنباء صحابة الرسول وأنصاره، وهنا حصل الاعتراض بالجمل الشرطية وهي: وإن اضطر، أو ينتهي المدح وإن شرد .

وأيضًا من الاعتراض في نثر لسان الدين بن الخطيب هي جملة الدعاء قوله:" من حَمْرَاءِ غَرناطة [حرسها الله] دارِ ملك الْإِسْلَام بالأندلس، قاصيه سُبلك، ومَسْلحة رَجْلك، يَا رَسُول الله وخيلك، وأنأى مطارح دعوتك، ومساحب ذَيلك، حَيْثُ مصَاف الْجِهَاد، فِي سَبِيل الله وسبيلك، قد ظلَّلها القِتام، وشهبان الأسنة أطلعت مِنْهُ الإعتام، وأسواق بيع النُّفُوس من الله، قد تعدَّدَ لَهَا الأيامي والأيتام، حَيْثُ الْجراحَ قد تحلَّت بعَسْجَد نجيعها النُّحور، ..."[٣٧٢]

وهنا قد فصل بين النعت والمنعوت بجملة الدعاء وهو جائز، وقد بينا سابقًا إذ فصل بين غرناطة ودار ملك السلام بالجملة الاعتراضية حرسها الله دلالة على الدعاء .

([٣٦٩]) البديع، ابن المعتز : ١٠٨.

([٣٧٠]) الصناعتين، أبو هلال العسكري: ٤١٠.

([٣٧١]) ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب،لابن الخطيب: ٨٥/١.

([٣٧٢])المصدر نفسه:٦٨/١.

ومن أسلوب الاعتراض أيضًا قوله :" وَمن عَامل الله فِي نصر هَذِه الأقطار الْمسلمَة، مَعَ اخْتِلَاف الْكَلِمَة، بِمَا جمع بَين الْكَرَى والأجفان، وَمد الْقَوَاعِد بعد الرَّجَفان، وَأمْسك حملهَا العاصم عِنْد فيض الطُّوفان، كَيفَ يكون عمله بعد ارْتِفَاع الْمَوَانِع وزوالها، وَسُكُون الْبِلَاد من أهوالها، قِيَاس بِمَشِيئَة الله صَادِق، وبُرهان بَين الشَّك وَالْيَقِين فَارق ..."[٣٧٣] .

والأصل هنا أنه فصل بين معمول الجملة بجملة اعتراضية، وهي: مع اختلاف الكلمة ، وهذا جائز بلا خلاف .

وقد يكون الاعتراض بغرض الشكوى كما صنع لسان الدين في قوله : " فتعرَّفت أَن بعض مَا يُتَلاعَبُ بِهِ بَين أَيدي السَّادة الخدام، وتتفكَّه بِهِ المناقبة والإقدام، من كُرَة مُرْسلَة الشّهَاب، أَو نارِنْجة ظهر عَلَيْهَا من صَبْغها الالتهاب، حوَّمت حول عَيْنك، لَا كدر صفاؤُها، وَلَا عدم فَوق مهاد الدَّعة والأمن إغفاؤها، فَرَعت حول حِماها، وَرَأَتْ أَن تُصيب فجنَّب الله مرماها

ترى السوء مِمَّا يُتَّقى مِنْهَا بِهِ ... وَمَا لَا نرى مِمَّا يَقي الله أَكثر

فَقلت مَكْرُوهٌ أَخطَأ سَهْمه، وتنبيه من الله قبل عقله وفهمه، ودفاع قَامَ دَلِيله، وَسعد أشرف تَليله، وَأَيَّام أعربت عَن إقبالها، وعصمة غطت بسر بالها"[٣٧٤].

وهنا يشتكي إلى الوزير من عماله ممن يتلاعب ببعض الأفعال مما يضر بالرعية،فجاء الاعتراض غرضه الشكوى للوزير ،وقد جاء بالمحسّنات كالسجع والجناس مما يضفي ذلك الجرس الموسيقي الرائع، ثم عدل عن أسلوب النثر إلى الشعر، وأحدث هنا ضربا من التأنق في التعبير، ثم عاد مرة أخرى إلى النثر على ضرب ما قال في الشعر.

المطلب الثاني: البنية الفنية الخارجية: (الافتتاح الغرض الخاتمة)

إن عنصر الربط بين الافتتاح والغرض والخاتمة، نوع من الربط الفنّي في النصوص، لاسيما النثرية منها، والأصل المتبع في العربية أن النصّ يجب أن يكون مكوناً من جمل متتابعة، وهذه المتتاليات تمتلك أبنية كبرى هي وحدها التي تسمى من الوجهة النظرية

([٣٧٣])ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب،لابن الخطيب: ١ / ٢٢٨ .

([٣٧٤])المصدر نفسه: ١٠٥/٢

نصوصاً[٣٧٥] ، وكما نص على ذلك الكثير من العلماء بأن عمليات الترابط بين هذه الجمل المتتالية النصية تقوم على أسس في الأصل دلالية ومنطقية، ونقول إن أصل علم النحو في دلالة ترابط الجمل إنما يعول بكثرة على علم الدلالة والمعاجم لإقامة الوحدة البنيوية في النص، فتحصل حالة الربط بين الجملتين فيما بينهما لقيام المدلول الواحد بينهما، أو لقيام عنصر الربط بالجمع بين دلالتيهما، فتكونا مترابطين فيما بينهما، ففي عبارة مثل:(لو ذاكر زيد فإنه سينجح) فإنه ثمة علاقة وثيقة بين النجاح والمذاكرة وقامت الفاء هنا بالربط بين العنصرين لاتحاد دلالتهما، فتعتبر الثانية متحصلة للأولى وتعتبر الأولى سببا لوجود الثانية، وهذا في الأصل ما تقوم به دلالة الربط بين الجملتين فتربط عنصرين أساسيين ببعضهما، وفي عبارة أخرى مثل: (كان الجو جميلاً، فذهبنا إلى الشاطئ) فهنا تتحصل علاقة الإسناد بين طرفي الجملتين بالاختلاف فيما بينهما فنجد إن المسند إليه في الجملة الأولى هو جملة الخبر، وفي الجملة الثانية ذهابنا للشاطئ والناظر في الجملتين يجد أن العلاقات الإسنادية متحدة ومع هذا فقد قام الربط بينهما؛ وذلك لاتساق الظروف والشروط الموطئة لهذا الربط عند المتلقين بين جمال الجو والخروج في نزهة على الشاطئ [٣٧٦].

وإذا أردنا إن نبين موضحات الربط في الاتساق النصي بين العناصر الأساسية وهي(المفتتح والخاتمة) وما بينهما وهو(الغرض) كان لابد لنا من الوقوف على أنواع الربط بينها، وقد بين العلماء أنه لابد لذلك البيان من الوقوف على تلك الجمل وأن نأخذ بعين الاعتبار ما تشكله تلك الجمل،فإن النص في الربط على خلاف الخطاب، وإن أردنا ان نحلل عناصر الربط في النص، فعلينا أن ننظر في تلك المجموعة من الجمل التي تشكّل النّص، وأن نقوم بعملية تحليل لتلك الجمل من خلال النص الذي شكلته، وما يحصل بينها من التماسك والاتساق، فإن يتحصل هذا الترابط فالأصل أنها ليست نصا .

([٣٧٥]) ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص، لصلاح فضل ، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت ،صدرت السلسلة في يناير ١٩٧٨ بإشراف أحمد مشاري العدواني ١٩٢٣ – ١٩٩٠ : ٢٦١ .

([٣٧٦]) ينظر :المصدر نفسه: ٢٦١.

وإن لم يحصل هذا الترابط فلا نصية حتى ولو كانت تلك الجمل مأخوذة من الكتب التي قامت على تعليم قواعد اللُغة، فهي جمل صحيحة نحوياً ولكنها لا تتعلق بعضها ببعض، والسياق وحده هو الذي يدلنا على أن هذه المجموعة من الجمل ينضم بعضها إلى بعض للدلالة على شيء، وهو نوعان: لُغوي (مقالي)، وحالي (مقامي)، وكلاهما يؤدي في نظرها إلى تماسك عناصر النص، فمستهلك النص المنطوق أو المكتوب يعتمد في تفاعله مع الكلام على إدراك الروابط وعلاقات التضام بين أجزائه[٣٧٧].

وهذا الترابط بين المقدمة والخاتمة والغرض إنما يحصل من خلال التنظيم الداخلي للنص، وتسند أول محاولة لهذا التنظيم إلى (هارفنج) وقد شرع في هذا من خلال الحديث عن بعض العلاقات التي تسوده، مثل علاقة الإحالة والاستبدال التي فصل فيها القول مشيراً إلى التكرار والترادف والعطف والترتيب...، وهذا كله مما يقع في دائرة الترابط والاتساق الداخلي للنص[٣٧٨].

وهذا الترابط بين الافتتاح والخاتمة والغرض إنما يسمى عند العلماء بالاتساق وأشهر تعريفاته ما جاء على لسان محمد خطابي بأنه:" ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص، أو خطاب ما،ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته "[٣٧٩].

وهذا التماسك لا يتحصل لدينا بغير ترابط بين عناصره الأساسية الثلاثة "الافتتاح والغرض والخاتمة" فلابد أن تأتي تلك العناصر متضافرة لتكون نسيج النص الذي يبنى عليه، والكاتب بين تلك المضامين منتقل:" ولحصول هذا الاتساق لابد أن يكون الكاتب متدرجا من بداية الخطاب حتى نهايته، مرورا بالغرض منه، راصدا الضمائر والإشارات المحلية – الإحالة القبلية والبعدية" [٣٨٠].

([٣٧٧]) ينظر: الأسلوبية ونظرية النص، إبراهيم خليل ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،دار الفارس للتوزيع والنشر، عمان ، ط١ ، ١٩٩٧م : ١٣٥-١٣٦ .

([٣٧٨]) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ،محمد خطابي: ٥.

([٣٧٩])المصدر نفسه: ٥

([٣٨٠])المصدر نفسه: ٥.

ولتحقق هذا الاتساق لابد من تحقق مصطلحات منها: السبك والذي عده محمد الخطابي هو الاتساق [٣٨١]. في حين اعتبره تمام حسان السبك [٣٨٢]،واعتبره إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد التضام[٣٨٣].أما عمر عطاري، فيترجمه إلى الترابط[٣٨٤].

وينتج عندنا عدة مصطلحات هي الاتساق أو التضام أو الترابط أو السبك، ويعنى بها:" ترابط الجمل في النص مع بعضها بعضاً بوسائل لغوية معينة"[٣٨٥].وهذا والأصل أنه العنصر الأساسي الذي يبني عليه الكاتب النص، ويربط من خلاله الافتتاح بالغرض بالخاتمة بعدة روابط للنص، وهي: الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة، وغيرها من عناصر الربط.

وبعد انتقال الكاتب من عنصر الافتتاح وعنصر الخاتمة فإنه لابُدّ أن يجرى على عنصر أهم منهما وهو عنصر الغرض وهو أن ينهض العنوان أو المفتتح بدور تأويلي فعال لأنه يتحكم في تحديد الرؤية و يؤسس العلاقة التغريض ذلك، أما مفهوم التغريض فإنه يتعلق بالارتباط الوثيق بين ما يدور في الخطاب، النص و أجزائه، و بين عنوان الخطاب أو نقطة بدايته، و بالتالي فإن الخطاب، مركز جذاب يؤسسه منطلقه، و تحوم حوله بقية أجزائه[٣٨٦].

ومن هنا تبين لنا أن الغرض مع الافتتاح والخاتمة له علاقة وطيدة مع بموضوع الخطاب عنوانه، وكذلك علاقة وطيدة بينه وبين الخاتمة، و لعله يمكن اعتبار العنوان(هو الوسيلة القوية لظهور الغرض) تتجلى العلاقة بين العنوان و موضوع الخطاب في كون الأول تعبيرا ممكنا عن الموضوع[٣٨٧].

([٣٨١]) ينظر : لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ،محمد خطابي: ٥-٦.

([٣٨٢]) ينظر : المصدر نفسه: ١٠٣.

([٣٨٣]) ينظر : مدخل إلى علم لغة النص، تأليف روبرت ديبوغراند وولفغانغ دريسلر، جامعة فلورينا ، وجامعة فينا ، الهام ابو غزالة ، وعلي خليل حمد ، جامعة بيرزيت ، مكتب التربية – نابلس ،مطبعة دار الكاتب ، ط١ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م: ١١

([٣٨٤]) ينظر: الخطاب والمترجم ، باسل حاتم و أيان ميسون ، ترجمة عمر فايز عطاري،الرياض جامعة الملك سعود ، إدارة النشر العلمي والمطابع ، ١٩٩٨: ٣٣٢

([٣٨٥]) مقدمة في اللغويات المعاصرة ، شحدة فارخ وجهاد حمدان وموسى عمايرة و محمد عناني ، الجامعة الاردنية ، ط٧ ، ٢٠١٥ : ٢٠١

([٣٨٦]) ينظر : لسانيات النص،محمد خطابي: ٥٩.

([٣٨٧]) ينظر: لسانيات النص،محمد خطابي: ٢٣٣ .

وقد أبدع في ذلك لسان الدين، فكان يبدأ كل خطبه بالحمد والثناء على الله، ثم الصلاة على النبي، وهذا المفتتح الثابت عنده في كل تلك المقطوعات النثرية، إلا في مخاطباته للرؤساء والوزراء منها، فكان يفتتحها كلها بالثناء على ذلك المخاطب، ثم هو يختمها بالسلام إلى ذلك المخاطب، فجاء عنصر الربط بين الافتتاح والخاتمة مترابطا،فعنصر البدء الثناء على المخاطب، وعنصر الختم السلام إلى ذلك المخاطب.

ومن أمثلة الافتتاح:

قوله: " وَمن ذَلِك فِي مُخَاطبَة الْوَزِير الْمَذْكُور وَأَنا سَاكن بسلا

أيا عُمر الْعدْل الَّذِي مَطَر الندا ... بوعد الْهُدى حَتَّى وفيتُ بِدِينِهِ

وَيَا صارم الْملك الَّذِي يستعدُّه ... لدَفْع عُداهُ أَو لمجلس زينه"[٣٨٨].

ومن ذلك أيضا: " جُمْهُور الْأَغْرَاض السلطانيات الْمقَامُ الَّذِي بِنور سعادته، تتجلَّى الغمّا، وتتَّصل النَّعما، فنِيَّتُه قد صَحَّ مِنْهَا لجَانب الله الانتما،... "[٣٨٩].

ومن ذلك أيضا:" صدر عني لشيخ الْغُزَاة بالحضرة الْعلية أبي زَكَرِيَّا يحيى بن عمر بن رحو لأوّل دولة أَمِير الْمُسلمين السُّلْطَان أبي عبد الله بن نصر رَضِي الله عَنهُ"[٣٩٠].

فكان الغرض من الرسالة متحصلا بين المقدمة والخاتمة، ويظهر هذا الغرض غالبا في مقدمة الخطاب وفي خاتمته.

من أمثلة ظهور الغرض في العنوان:

قال لسان الدين بن الخطيب :" كتبت عَن السُّلْطَان أبي الْحجَّاج ابْن السُّلْطَان أبي الْوَلِيد ابْن نصر، رَحمَه الله تَعَالَى لأهل ألمرية، أعرف بِهَلَاك الطاغية ملك قشتالة،..."[٣٩١]

([٣٨٨]) ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب ،لابن الخطيب: ١٠٥/٢.

([٣٨٩])المصدر نفسه: ٥/٢.

([٣٩٠]) المصدر نفسه : ٦٤/٢.

ثم انتقل إلى بيان الغرض بعد الافتتاح وقال:" فَإِنَّا كتبناه إِلَيْكُم، كتب الله لكم شكر النِّعْمَة، وَمَعْرِفَة بمواقع كرمه. من حَمْرَاء غرناطة [حرسها الله] وَلَا زايد بِفضل الله، إِلَّا مَا أَمَّن الأرجاءَ ومهَّدها، وَأَنْشَأَ معالم الْإِسْلَام وجدَّدها، وَأسسَ أَرْكَان الدّين الحنيف، وَأقَام أودَها، وَأَنْتُم الْأَوْلِيَاءُ الَّذين نعلم مِنْهُم خلوص الْأَهْوَاءِ، ولتحقّق مَا عِنْدهم من الوُدّ والصَّفا. وَإِلَى هَذَا فقد علمْتُم مَا كَانَت الْحَال آلت إِلَيْهِ من ضَيْعَة الْعباد والبلاد بِهَذَا الطاغية، الَّذِي جرى فِي ميدان الأمل جرى الجموح، ودارت عَلَيْهِ خمر النخوة وَالْخُيَلَاءُ مَعَ الغَبُوق والصبوح، حَتَّى طمح بسكر اغتراره، واعتز على أنصار الله بأنصاره ومحص الْمُسلمين على يَدَيْهِ الوقائع الَّتِي تجَاوز بهَا مُنْتَهى مِقْدَاره، وتوجَّهت إِلَى استئْصال الْكَلِمَة مطامع أفكاره، ووثق بِأَنَّهُ يطفىء نور الله بناره، ونازل جبل الْفَتْح فَشد مخنق حصاره، وأدار أشياعه فِي الْبر وَالْبَحْر دور السوار على أسواره، وانتهز الفرصة بِانْقِطَاع الْأَسْبَاب" [٣٩٢].

وقد اتضح من النص السابق بين الافتتاح وبين الغرض، فإنه يوضح عنصر العنوان أولا، ثم ينتقل إلى الافتتاح ثم الغرض، وقد بين الغرض من الكتابة بعد إطالة عنصر الافتتاح كعادته.

ثم بين الغرض في الخاتمة بوعظ الناس من اتخاذ عاشوراء عيد، ونصحهم وإرشادهم وفي ذلك نوع من الربط بعد عنصر الإطالة فقال:" فشكرا لله سُبْحَانَهُ، يستدعى الْمَزِيد من نعمه، وَيضمن اتِّصَال كرمه، وَعرفُوا بذلك من يليكم من الرّعية، ليأخذوا بِمثل حظكم، ويلحظوا هَذَا الْأَمر بِمثل لحظكم، فحقيق عَلَيْهِم أَن يشيدوا بِهَذَا الْخَبَر فِي الْحَاضِر والباد، ويجعلوا يَوْم عَاشُورَاء الَّذِي تجلى فِيهِ هَذَا الصنع ثَالِث الأعياد،وَالله عز وَجل يَجعله للمسرة عنوانا،ويطلع علينا [وُجُوه صنعه]غرا حسانا" [٣٩٣].

ومن ذلك أيضا ما جاء في التهاني بالصنايع المكيفات، قوله:" صدر عني جَوَاب للسُّلْطَان الْكَبِير الشهير أبي عنان عَن كِتَابه الَّذِي وَجهه إِلَى سُلْطَان الأندلس أَمِير الْمُسلمين أبي الْحجَّاج بن نصر، رَحْمَة الله عَلَيْهِمَا، يعرفهُ فِيهِ بِمَا أتاح الله لَهُ من الظُّهُور على بني زيان، واستيلائه

([٣٩١])ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب ،لابن الخطيب: ٣٨/٢.

([٣٩٢]) المصدر نفسه: ٢/ ٣٩.

([٣٩٣])المصدر نفسه: ٤١/٢ -٤٢

على ملكهم بِمَدِينَة تلمسان، وَذَلِكَ فِي وسط شهر ربيع الأول الْمُبَارك من عَام اثْنَيْنِ وَخمسين وسبعمائه"[٣٩٤].

فقد بدأها بالعنوان وفيه الغرض،ثم ختمها قوله:" وَأَن الظُّهُور على أَعدَاء دين الله دين لحسامه وَهُوَ لَا ينَام عَن اقْتِضَاء دينه. فَمَا هم النُّفُوس الْكَرِيمَة، إِلَّا اكْتِسَاب المناقب الفاخرة، وَلَا بعد تَحْصِيل الْفَوْز بالدنيا إِلَّا حَدِيث الْآخِرَة [وَلَا وَرَاء تمهيد] الْأمة الْمسلمَة، إِلَّا قتال الْأمة الْكَافِرَة" [٣٩٥].

ويتضح من الأمثلة السابقة إن لسان الدين بن الخطيب كان يربط بين العناصر الثلاثة (الافتتاح والغرض والخاتمة) ربطا متينا، مما يجعل النص متماسكا قويا رصينا، مما ينتج عنه تلك البلاغة والفصاحة والبراعة في التأليف.

([٣٩٤])ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب ،لابن الخطيب: ٢١٦/١.

([٣٩٥]) المصدر نفسه : ٢٢٤/١

المبحث الثاني

التشكيل الإيقاعي

أولا : السجع

ثانيا : الجناس

ثالثا : الطباق

رابعا :المقابلة

المبحث الثاني:التشكيل الإيقاعي

الإيقاع سِمَة جوهرية في الشعر العربي القديم والحديث؛ إذ لا يمكن تصور وجود شعر من دون إيقاع، ولابد إن نقف على المفهوم اللُغوي للإيقاع، فإذا عُدنا إلى المعاجم العربيّة وجدناها :

في لسان الدين الإيقاع انه :" من إيقاع اللّحْنِ والغِناءِ، وهو أن يوّقع الألحانَ ويبينها، و سمي الخليل، رحمه الله، كتابًا من كتبه في ذلك المعنى كتاب الإيقاع"[٣٩٦]

وفي القاموس المحيط:"الإيقاع : إيقاعُ الحانِ الغناءِ، وهو أن يُوقِعَ الألحانَ ويَبنِيَها"[٣٩٧]

وفي المعجم الوسيط :" الإيقاع : اتّفاقُ الأصوات وتوقيعها في الغناء"[٣٩٨]

نجد كل المفاهيم في المعاجم اللُغوية له علاقة مرتبطة باللحن والطّرب والغناء .

من خلال التعاريف السابقة للإيقاع نلاحظ أنه ورد في أغلب المعاجم العربيّة ، وهذا يدل على معاني قد نجملها في البيان والتوضيح والإظهار معبرًا عن ارتباط الإيقاع باللحن والغناء

ومن المفهوم اللُغوي الذي يرتبط باللحن والطّرب والغناء نسترسل إلى التعريف في الاصطلاح :

نجد الإيقاع في مفاتيح العلوم أنه:"هو النّقلة على النّغم في أزمنة محدودة المقادير"[٣٩٩]

الإيقاع في اللغة والاصطلاح سابق للغناء والطرب والموسيقى ؛ لأنه أخذ من الطبيعة ناتجة من حركة الإنسان .

أولا: السجع:

السجع: توافق الفاصلتين في الحرف الأخير، ويكون السجع في النثر والشعر، وأحسنه ما توافقت فقرُه نحو :" أي شيء أطيب من ابتسام الثغور، ودوام السرور، وبكاء الغمام، وسجع الحمام. ونحو قول الحريري:يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماء بزواجر وعظه"[٤٠٠].

([٣٩٦]) لسان العرب ، لابن منظور (مادة : وقع) : ١٥ / ٣٧٣

([٣٩٧]) القاموس المحيط ، مجد الدّين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (المتوفى: ٨١٧هـ) ، تنقيح وتعليق الشيخ أبو الوفا نصر الهُوريتي المصري الشافعيّ (المتوفى :١٢٩١هـ) ،راجعه واعتنى به انس محمد الشّامي زكريّا جابر احمد ، دار الحديث القاهرة ، طبع سنة ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م ، (مادة : وقع) : ١٧٧٣

([٣٩٨]) المعجم الوسيط ، (مادة : وقع) : ١٠٥٠

([٣٩٩]) مفاتيح العلوم ، للإمام الأديب اللغوي الشيخ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب الخُوارزمي ، عني بتصحيحه ونشره للمرة الأولى سنة ١٣٤٢ ، إدارة الطباعة المُنيرية بمصر، مطبعة الشرق لصاحبيها عبد العزيز فايد واخيه : ١٤٠

ومن ذلك ما حكاه أبو هلال العسكري أن أعرابيا قال لرجل سأل لئيما:" نزلت بوادٍ غير ممطور، وفناءٍ غير معمور، ورجل غير مسرور؛ فأقم بندم، أو ارتحل بعدم"[٤٠١].

والمعني هنا اتفاق الفواصل(ممطور . معمور . ميسور) في الحرف الأخير (وهو حرف الراء)

أما عند لسان الدين فقد جاء السجع بكثرة وافرة مما لا يمكننا حصره في هذا العمل الصغير.

ومن ذلك قوله:" الْمقَام الَّذِي مآثره الْعلية،لَا تحصى،ومكارمه السّنيَّة عَمت،الْأَدْنَى والأقصى، وَأَحْكَام مجده ثبتَتْ فِي كتاب الْفَخر نصّاً،وبدور سعده،لَا تخَاف بفضل الله نقصاً"[٤٠٢].

وهنا اتفقت فوصل المقطع الأول (العلية، السنية) ، والسجع هنا لم يقع على فواصل فحسب بل أيضا على توازن بين اللفظين، فقد جاءت الكلمتان متماثلتين في الوزن والقافية، وكأن النص نص شعري، وكذلك بين (تحصى، الأقصى، نصا، نقصا) وهنا اتفقت الفواصل فقط بين الكلمات، وهذا هو السجع في توافق الأحرف الأخيرة في المقاطع.

ومن ذلك أيضا قوله:" تقدس عَن لواحق الْحَوَادِث والأغيار، وتعلَّى عَن هواجس الخواطر، وخطرات الأفكار، ووَسِع الأكوان، ظَاهرهَا وباطنها،باللُّطف الْخَفي،والجود المِدْرار"[٤٠٣].

أما السجع هنا فقد دار مع الراء التي قبلها ألف، (الأغيار، الأفكار،المدرار) قد أوقع السجع هنا مع الجناس هنا الجناس الناقص في صيغة السجع، فسجع وجانس بين الألفاظ.

ومن ذلك قوله أيضا:" وَالصَّلَاة وَالسَّلَام على سيدنَا ومولانا مُحَمَّد رَسُوله [الْمُصْطَفى الْكَرِيم]، الَّذِي ختم بِهِ رسله ، وَنبّيه الْعَظِيم قدره، الْكَرِيم مَحَلُّه،ملْجأ الْأُمة يَوْم لَا ظلَّ إِلَّا ظلُّه، وَالرِّضَا عَن آله وَأَهله وَأَصْحَابه، فيا حبَّذا أَصْحَابُه الْكِرَام وَأَصلُه ،الَّذين كَانُوا فِي آفَاق دينه الحنيف شُهباً أَضَاءَت بهم سُبُله ،وَالدُّعَاء لمقامكم الْأَسْنَى أبقاه الله مَعْرُوفا صبره وشكره وعدله ،مجموعاً

([٤٠٠]) اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل،محمد علي السَّراج، عني بمراجعته وتحقيقه خير الدين شمسي باشا ، دار الفكر – دمشق ، ط١ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م :١٨٤

([٤٠١]) الصناعتين (الكتابة والشعر)، لأبي هلال العسكري ، ط٢ : ٢٦٨.

([٤٠٢]) ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب ، لابن الخطيب : ١ /١٢٧.

([٤٠٣])المصدر نفسه: ٨١/١.

فِي مَوَاقِف الْفِرَاق شَمْلُه، بالنصر الَّذِي يمْضِي فِي مَوَاقِف السعد نَصْلُه، والعز الَّذِي تُمَيز فئته الْغَالِبَة فَضله"[٤٠٤].

وهنا ضرب من السجع مع الجناس، أما السجع فهو قد دار على: (رسله، قدره، مَحَله، ظله،وَأَصله،سبله،صبره وشكره وعدله،مجموعا فِي مَوَاقِف الْفِرَاق شَمله ،نصله ،فَضله)، وهو أطول أنواع السجع عنده، فلم يأت بمقطع مسجوع أطول من هذا.

وهنا نوعان للجناس: الأول الناقص وهذا بين(رسله، سبله، نصله) وبين: (نصله، فضله) وهو وإن كان الجناس ناقصا في حرف أو اثنين كما هي عادة لسان الدين الغالبة إلا أنه يؤدي الوظيفة نفسها من الجناس الذي ينقص بحرف واحد.

ومن ذلك قوله:"عرَّفهم الله عوارف الآلاء، وشكر مَا لَهُم من صَحِيح الوُدَّ ومَحْض الْوَلَاءِ، وأوْزَعهم شكر نعْمَة هَذَا الْفَتْح الرباني الَّذِي تفتَّحت لَهُ أَبْوَاب السَّمَاءِ، وأشرت معجزاته مّيتَ الرجا، سَلام كريم طيب عميم تُنْشَق مِنْهُ نفحات الْفرج، عاطرة الأرَج عَلَيْكُم أَجْمَعِينَ وَرَحْمَة الله وَبَرَكَاته"[٤٠٥].

أما السجع هنا فقد تحقق في الألف والهمزة بعده في أواخر الفواصل، وذلك بين:(الآلاء،الْوَلَاء،السَّمَاء،وأشرت معجزاته ميت الرجا)

والأولى هنا أن يقال: الرجاء بدل الرجا لتتحقق الفاصلة كاملة متناسقة مع ما قبلها.

وثمت جناس هنا قريب وهو بين(فرج ، أرج) وبين (الآلاء، الولاء) وهو هنا أظهر من سابقيه.

ثانيا: الجناس:

الجناس عند البلاغين هو أحد أنواع المحسّنات البديعية ، وهناك تعريفات كثيرة ، منهم ابن المعتز الذي عدّه من ألوان البديع :" وهو أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام ، ومُجانستها لها أن تُشبهها في تأليف حروفها "[٤٠٦]

([٤٠٤])ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب، لابن الخطيب: ٣٢٧/١.

([٤٠٥]) المصدر نفسه : ٣٨/٢.

([٤٠٦]) البديع، لابن المعتز:٣٦.

منهم الجرجاني فضبطه بالاستحسان وقال:" أما التجنيس فإنك لا تستحسن تجانُس اللفظتين إلا إذا كان وقع معنييهما من العقل موقعاً حميداً، ولم يكن مَرْمَى الجامع بينهما مَرْمًى بعيداً"(٤٠٧)

أما قدامه بن جعفر فقد عرف التجنيس في باب المطابق والمجانس:" وهما داخلان في باب ائتلاف اللفظ والمعنى، ومعناهما أن تكون في الشعر معان متغايرة قد اشتركت في لفظة واحدة وألفاظ متجانسة مشتقة"(٤٠٨) .

وذكر الدكتور ماهر مهدي هلال يعرفه بأنه :" اتفاق الألفاظ في الحروف، أو في بعضها"(٤٠٩).

وذكر أيضاً الدكتور علي جارم، ومصطفى أمين في كتاب البلاغة الواضحة الجناس هو : " أن يتشابه اللفظان في النُّطق ويختلفا في المعنى"(٤١٠) .

ويكون الجناس على ضروب: تام وناقص ، وذلك على النحو الآتي:

١-**الجناس التام:** فهو :" ما أتَّفقَ فيه اللفظان في أمور أربعةٍ هي : نوع الحرف ، وشكلها وعددها ،وترتيبها"(٤١١)، واختلاف المعنى(٤١٢)، كما في قوله تعالى:﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ [الروم : ٥٥] ، فالساعة الأولى يوم القيامة والساعة الثانية الوقت .

٢-**الجناس الناقص** :" وهو ما اختلفتَ فيه اللفظان في واحدٍ من الأمور المُتَقَدّمَة"(٤١٣)، كما في قوله تعالى : ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾[القيامة :٢٩- ٣٠] ، هنا الجناس في كلمتي (الساق و المساق) من حيث زيادة الأحرف .

---

(٤٠٧) أسرار البلاغة،عبد القاهرة الجرجان تحقيق محمود شاكر أبو فهر، الناشر مكتبة الخانجي،ط١،١٩٩١ م :١٦.

(٤٠٨) نقد الشعر ، قدامه بن جعفر : ٦٠

(٤٠٩) جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال،العراق ، دار الرشيد للنشر ، ١٩٨٠ : ٢٧١.

(٤١٠) البلاغة الواضحة(البيان والمعاني والبديع)، تأليف علي الجارم ومصطفى أمين، دار المعارف، د.ط، د.ت: ٢٦٥.

(٤١١)المصدر نفسه: ٢٦٥.

(٤١٢) ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، لأحمد الهاشمي: ٣٢٦.

(٤١٣) البلاغة الواضحة (البيان والمعاني والبديع) : ٢٦٥

وهنـاك ضـروب أخـرى مـن الجنـاس منها:(الجنـاس المُحـرّف و المصـحف)، ومنها(الجنـاس المضارع واللاحق) ومنها (جناس القلب)، وغيرها .

ومن الجناس في نثر ابن الخطيب قوله :" فَأَسْمع من أسرى بِهِ إِلَى حَضْرَة الْجمع صريفاً ،وَعلم الْإِنْسَان مَا لم يعلم،... وَمَا أوهم الالتباس بِالْأَمر الشريف كَانَ شريفا"[٤١٤].

وهنا ثمة نوعان من الجناس، الأول: الناقص بين(شريفا، صريفا)، أما الجناس التام هنا في(فأحله بذلك محلا شريفا... وَمَاأوهم الالتباس بِالْأَمر الشريف كَانَ شريفا)، والأصل أن الأولى للمكان، والثانية للشخص.

ومـن ذلـك أيضـا قولـه:" الْحَمـد لله الَّـذِي جعـل الْأَزْمِنَـة كـالأفلاك، ودول الْأَمْـلَاك، كـأنجم الأحلاك، تطلعها من الْمَشَارِق نَيّرة، وتلعب بهَا مُسْتَقِيمَة أَو مُتحيّرة"[٤١٥].

والجنـاس هنـا بـين:(الأفلاك،الْأَمْـلَاك، الأحلاك)،وهـو كعـادة لسـان الـدين قـد جـاء بالجنـاس الناقص.

ثالثا: الطباق (التضاد):

التضـاد ويسـمى الطبـاق، وهـو الجمـعُ بـين الشـيء وضـده فـي كـلام أو بيـت شـعر كـالإيراد والإصدار والحرّ والبرد والليل والنهار والبياض والسواد[٤١٦]، وهو" الجمع بين معنيين متضـادين، أي معنيين متقابلين في الجملة "[٤١٧]

وقد جاء في الطباق تعريفات عده نذكر منها :

أولا : سماه قدامة بن جعفر بالتكافؤ، ونعت من نعوت الشعر. وقال في تعريفه: وهو أن يذم الشاعر أو يتكلّم بشيء أو يصفه بمعنى ما،فيأتي بمعنيين(متكافئين).أي(متقاومين) إمـا مـن ناحيـة السـلب، والإيجـاب، أو المصـادرة وغيرهمـا مـن أقسـام التقابـل[٤١٨]، ولـم

([٤١٤]) ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب ، لابن الخطيب: **١٧/١**.

([٤١٥])المصدر نفسه: **٢٤/١**.

([٤١٦]) ينظر: الصناعتين، الكتابة والشعر، أبو هلال العسكري: ٣١٦.

([٤١٧]) أنوار الربيع في أنواع البديع ، للسيد علي صدر الدين بن معصوم المدني : ٢ /٣١ .

([٤١٨]) ينظر : النقد الأدبي ، لقُدامة بن جعفر ، تحقيق الدكتور بدوي طبانة ، ط٣ ، المطبعة الفنية الحديثة ١٣٨٩هـ -١٩٦٩م ، الطبع والنشر مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة ، ط ٢، مطبعة الرسالة ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م : ٢٧٨ . وكذلك ينظر : فنون بلاغية (البيان - البديع)، لأحمد مطلوب ، أستاذ في جامعتي بغداد والكويت ، دار البحوث العلمية ، ط١ ، ١٣٩٥ ه – ١٩٧٥م : ٢٦٩.

يسّمي الطباق بالتكافؤ غير قدامة بن جعفر والنحاس[٤١٩]، فنجد تكافؤ في كلمتي(حُلْوُ و مرّ)، في قول الشاعر أبي الشغب العبسي:

حُلْوُ الشَّمائل وّهْوَ مرٌّباسلٌ .... يحْمي الذّمارَ صَبِيحَةَ الإرْهَاقِ[٤٢٠].

ثانيا: الطباق عند الآمدي هو :" مقابلة الحرف بضدّه أو ما يقارب الضد"[٤٢١]، مشيراً في القسم الأول من تعريفه إلى الطباق اللفظي وفي القسم الثاني إلى الطباق المعنوي، ثم يعلل تسمية الطباق بقوله:" فسَمَّوا المتضادين – إذا تقابلا– مطابقين"[٤٢٢].

ويمثل للطباق بقول زهير بن أبي سلمى :

ليثٌ بِعَثَّرَ، يصطادُ الرِّجالَ ، إذا ... ما كذَّبَ اللّيثُ ،عن أقرانِهِ صَدَقا[٤٢٣]

ويكون الطباق هنا بين الكذب والصدق .

ثالثاً :عرفه أبو سكين فقال التضاد:" هو دلالة اللفظ على معنيين متضادين دلالة مستوية عند أهل تلك اللغة. كقولهم جلل: للعظيم ولليسير أو الصغير. والجون للأسود وللأبيض، والصارخ للمستغيث وللمغيث، الصريم: الصبح والصريم الليل والظن يقين وشك"[٤٢٤].

ورأي الباحث على التعريف السابق فإن قيل: أن الاسم دال على المعنى وموضح تأويله، لم يعرف المخاطب أيهما أراد المتكلم ، ولم نعرف معنى الخطاب منه إلا عند استكمال كل حروفه فإذا تناوب اللفظة الواحدة معنيان مختلفان، بذلك يبطل معنى تعليق الاسم على هذا المصطلح؛ لأنها تتقدمها ويأتي أحد المعنيين دون الآخر، ويراد بها معنى واحد في حال وجود التكلم والإخبار، فمن ذلك قول الشاعر :

فلئن عفوت لأعفون جللا ... ولئن سطوت لأوهنن عظمي[٤٢٥]

([٤١٩]) ينظر : العمدة في محاسن الشعر ، وآدابه ، ونقده ، لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت ٣٩٠ – ٤٥٦ من الهجرة) ، حققه وفصله وعلق حواشيه محمد مُحي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، مطبعة السعادة بمصر ،ط٢ ، ذو القعدة ١٣٧٤ - ١٩٥٥ ، باب المطابقة : ٥/٢.

([٤٢٠]) النقد الأدبي ، لقُدامة بن جعفر : ٢٧٨.

([٤٢١]) الموازنة في شعر أبي تمام والبحتري، لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدى(ت٣٧٠هـ) ، تحقيق أحمد صقر ،ط٤، دار المعارف ، د.ت: ٢٨٨/١ .

([٤٢٢]) المصدر نفسه : ١/ ٢٨٩.

([٤٢٣]) ديوان زهير بن أبي سلمى ، شرحه وقدم عليه الأستاذ علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م:٧٧. وأنوار الربيع في أنواع البديع ، للسيد علي صدر الدين بن معصوم المدني: ٢ / ٣٢.

([٤٢٤]) دراسات لغوية في أمهات كتب اللغة ، إبراهيم محمد أبو سكين، د.ط، د.م، د.ت :١/ ٢٢٦.

فهنا دل الكلام على انه أراد إن يقول:(فلئن عفوت لأعفون عفواً عظيماً)؛ لأن الإنسان يفخر عن ذنب فعله، ولم يذكر وقوع الكلمة في كلامي مختلفي اللفظين،و(الجلل)هو العظيم والصغير .

رابعاً : الطباق عند الدكتور أحمد البدوي هو :" الجمع بين المعنيين المتقابلين في الجملة ، كقول الفرزدق :

قَبَحَ الإلَهُ بَنِي كُلَيْبٍ إنَّهُمْ ... لا يَغْدِرُونَ ولا يَفُونَ لِجَارِ

يَسْتَيْقِظُونَ على نُهَاقِ حِمَارِهِم ... وَتَنَامُ أعْيُنُهُمْ عن الأوتَارِ[٤٢٦]"[٤٢٧]

والطباق هنا في البيت الثاني، حيث جعل الموازنة بين أفعالهم مثيرة للسخرية والاستهزاء منهم، ويكون للطباق ميزة في أثارة الانفعالات المختلفة في نفس السامع أو القارئ إزاء الأمور المتناقضة، عند الموازنة بين ما يستيقظون له وما ينامون عنه [٤٢٨] .

وإذا جمع المؤلف بين الشيء وضده صارت الموسيقى تعتمد على الإيقاع الذي يحدثه الاختلاف والتنوع، وقد قيل قديماً وبضدَّها تتمايز الأشياء، والتضاد يُعد من الوسائل التي تحقق الموسيقى الدّاخلية، والطباق والتضاد معنيان لتصرف بلاغي معين، وهو الجمع بين معنيين متقابلين.

ومن الطباق في نثر لسان الدين بن الخطيب قوله:" وتلقى فِي مراودته وصل وهَجْر ، وارتقب لاجتلابه فِي ليل الحبر فَخر. وَإِن كَانَ ذَلِك مِمَّا لَا يحجب، فالغيرة فِيهِ أعجب، وَفِيمَا فَوْقه أوْجَب، وأنِف لرياضة الْأنف ، أَن يقتطعها الإغفال، ولخزاينه أَن تصدأ فَوق مصاريعها الأقفال، ولجياده الْعتاق، أَن تَلْتَبِس مِنْهَا بالهوادي المشرفة الْأَعْنَاق والأعجاز والأكفال"[٤٢٩].

([٤٢٥]) شرح الشواهد الشعرية في آمات الكتب النحوية ، لمحمد حسن شُرَّاب ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط١ ، ١٤٢٧هـ -٢٠٠٧م : ٣ / ٨٣ ، والبيتان للحارث بن وعلة الذهلي ، قافية الميم .

([٤٢٦]) ديوان الفرزدق : ٣١١.

([٤٢٧]) أسس النقد الأدبي عند العرب ، لأحمد أحمد بدوي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٦: ٤٤٧.

([٤٢٨]) ينظر : البلاغة - البيان والبديع : ٣٨٧/١

([٤٢٩]) ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب ، لابن الخطيب : ١٨/١.

في النص نجد تقابل بين لفظتي (وصل – هجر) ، ولما كان ابن الخطيب في معرض وصف الصفات التي يتمتع أو يتصف بها الآخر، ذكر(الوصل – الهجر) كصفتين ملازمتين له في الآن ذاته فهو يصل عند الحاجة. ويهجر بانعدامها .

وقوله أيضاً:" أَن صَار وجوده عدمافأدميت الأنامل ندما، إِلَّا وَرَقَات تشبَّثَتْ بِمَا أسأرته الْحَادِثَة على الدولة من سقط الْمَتَاع، وشلو مُختلس من براثن سِبَاع"[٤٣٠].

في النص أعلاه نجد أن الطباق كان في لفظين (وجوده – عدم) ، فالوجود والعدم لا يجتمعان ، وقد رسم ابن الخطيب هذه الصورة للآخر ليؤكد انعدام المنفعة المرجوة منه لذا تساوى وجوده مع العدم .

ومن الطباق أيضا قوله:" ويُخلص لله إسرارهم وإعلانهم ،ونَرْثى لعدم إحساسهم ، وخيبة قياسهم، ونغار من اسْتِيلَاء الغفلات على أنواعهم وأجناسهم، ونسل الله لَهُم وَلنَا إِقَالَة العثرات، وتخفيض الشدائد المفتورات،..."[٤٣١].

ومنه أيضاً قوله:" وَالتَّوْبَة ترد الشارد إِلَى الله، وَالله يحب التوابين، وَيُحب المتطهرين، وَهُوَ الْقَائِل: إِن الْحَسَنَات يذْهبن السَّيِّئَات، ذَلِك ذكرى لِلذَّاكِرِينَ"[٤٣٢].

وهنا وقع الطباق بين (الحسنات، السيئات) والطباق هنا قرآني وظفه لسان الدين لغرضه البلاغي، ولتأدية المعنى المطلوب.

ويبدو لنا من الطباق عند لسان الدين بن الخطيب أنه يخلق صورة فنية تقوم على إثارة المتلقي واستجابته، وتحصل ذلك في خضم النص النثري له، وهو مع هذا قد منح نصه الكثير من الإيحاءات ودلالات عميقة في نصه النثري، وهو ما دأب عليه النقاد غرضا من الطباق،

([٤٣٠])المصدر نفسه:١٨/١.

([٤٣١])المصدر نفسه : ٤٩/٢.

([٤٣٢])ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب ، لابن الخطيب:٥٥/٢.

وذلك عن طريق استخدام الألفاظ استخداماً ضدياً متعاكساً، فيحقق بذلك وظائف جمالية ودلالية فضلاً عن تثبيته المعنى في النفس؛ لأن الضد أقرب حضوراً بالبال إذا ذكر ضده[٤٣٣].

رابعا: المقابلة:

يُعدُّ قُدامة بن جعفر من أوائل الذين من تحدثوا عن(المقابلة) ،فقد ذكر بعض الخصائص الأسلوبية التي تزيد من قيمة الشعر[٤٣٤]. إذ قال :" و الذي يسمى به الشعر فائقا، ويكون إذا اجتمع فيه مستحسنا صحة المقابلة، و حسن النظم، و جزالة اللفظ، و اعتدال الوزن، و إصابة التشبيه، و جودة التفصيل، و قلة التكلف، و المشاكلة في المطابقة.و أضداد هذا كله معيبة تمجّها الآذان، و تخرج عن وصف البيان"[٤٣٥].

وقد عرفها في كتابه (نقد الشعر) بقوله:"هو أن الشاعر يريد التوفيق بين بعضها وبعض المخالفة ، فيأتي في الموافق بما يوافق وفي المخالف على الصحة ، أو يشرط شروطاً ويعدد أحوالا في أحد المعنين ، فيجب إن يأتي في ما يوافقه يمثل شرطه وعدده ، وفي ما يخالف بضد ذلك" [٤٣٦] .

ومن أمثلته على ذلك قول الشاعر:

جَزى الله عنَّا ذاتَ بعلٍ تصدَّقتْ ... على عزبٍ حتَّى يكونَ له أهلُ

فإنَّا سنجزيَها كما فعّلتَ بِنَا ... إذا ما تزوَّجنا وليسَ لها بعلُ

فقد أستطاع الشاعر من وضع مقابل، أن تكون المرأة ذات بعل، أي(لا زوج له)، وقابل حاجته وهو (عزب) بحاجتها وهي (عزبة)، من غير أن يترك شرطاً، ولا أن يزيد شيئاً [٤٣٧].

وجاء أبو هلال العسكري بعد قُدامة في الحديث عن المقابلة بقوله :"هي إيرادُ الكلام ، ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة"[٤٣٨]. كما في قوله

([٤٣٣]) ينظر: أسس النقد الأدبي عند العرب، أحمد بدوي: ٤٤١ .

([٤٣٤]) ينظر :علم البديع، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان ،د.ط ،د.ت :٨٤ .

([٤٣٥]) نقد النثر ، لأبي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي ، تحقيق طه حسين ، وعبد الحميد العبادي ، مطبوعات كلية الآداب ، مطبعة الكتب المصرية بالقاهرة ، ط١٥ ، ١٣٥١ هـ – ١٩٣٣م : ٧٣ .

([٤٣٦]) نقد الشعر ، لقُدامة بن جعفر : ١٤١ .

([٤٣٧]) ينظر : نقد الشعر ، لقُدامة بن جعفر : ١٤٢ .

تعالى﴿ :وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنا مَكْراً﴾ [النمل : ٥٠]، فالمكر من الله تعالى هو العذابُ، وجعله الله عز وجل مقابلة لمكرهم بأنبيائه، وأهل طاعته.

وقد عرف الخطيب القزويني (المقابلة) بقوله:" هي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر ثم بما يقابل ذلك على الترتيب وهو يعني بالتوافق خلاف التقابل"[٤٣٩]، فلا يكون هناك شرط أن يأتي المعنيان متماثلين متناسبين[٤٤٠] ،نحو قوله تعالى:﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيراً ﴾[التوبة: ٨٢].

ومن خلال التعاريف المذكورة يمكن أن نقول: أن تأتي المقابلة بمعنيين غير متوافقين ، بعدها يأتي بما يقابلهما على الترتيب .

ومن نماذج ذلك عند لسان الدين بن الخطيب قوله: " مشتغلًا عَن الشَّيْء بِمَا يتلوه،غافلًا عَن منحطه بالغرض الَّذِي يعلوه. وَالْولد فِي الْغَالِب المختبر،لَا يقدر قدره إِلَّا مَعَ الْكبر، فَلَمَّا بتُّ بهمّه، وتقت إِلَى جمعه وضمه، وتوهمت الثراءَ بجمّه، راعني صفور نَادِيه وَقد عَادَته عواديه، ونُضوب واديه، من بعد إمداد غواديه، وانخفاض نَادِيه وصمات مناديه، بعد حذق شاديه، والتقاءِ حاضره وباديه "[٤٤١].

والمقابلة هنا بين (مشتغلا عن الشيء بما يتلوه، غافلا عن منحطه) فالانشغال ضد الغفلة، فالغفلة هي ترك الشيء وعدم الاشتغال به، وتحصلت المقابلة هنا لما بين الصورتين من عكس في الحصول، فإن حصل الاشتغال لم تحصل الغفلة.

والمتأمل للمقابلة أيضا قوله:" أما بعد حَمْدِ الله فاتح أَبْوَاب الأمل، من بعد استغلاقِها، ومُعيد سَعيد سُعود الْإِسْلَام إِلَى آفاقها ،ومبشّر الْعباد والبلاد بحياة أرْماقها، ومُتَدارك هَذِه الْأُمة المحمدية، بالصُّنع الَّذِي تجلَّى لَهَا مِلءَ أحداقها، وَالرَّحْمَة الَّتِي مَدَّت على النُّفُوس..."[٤٤٢].

([٤٣٨]) الصناعتين ، أبو هلال العسكري : ٣٤٦ .

([٤٣٩]) التلخيص في علوم البلاغة ، للإمام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب ، ضبطه وشرحه الأديب الكبير الأستاذ عبد الرحمن البرقوقي ، دار الفكر العربي ، ط١ ، ١٩٠٤: ٣٥٢.

([٤٤٠]) ينظر : المصدر نفسه:٣٥٢.

([٤٤١]) ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب، لابن الخطيب: ١٨/١.

([٤٤٢]) المصدر نفسه : ٣٨/٢.

في هذا النص نرى المقابلة بين (فاتح الأبواب بعد استغلاقها). فالانغلاق ضد الفتح، وتحصلت المقابلة بين الجملتين.

ومن المقابلة التي سجلت حضوراً في قوله:" وتوبوا سرَاعًا إِلَى طَهَارَة الثَّوْب، وَإِزَالَة الشَّوب ، واقصدوا أَبْوَاب غَافِر الذَّنب، وقابل التَّوب، وَاعْلَمُوا أَن سوءَ الْأَدَب مَعَ الله يفتح أَبْوَاب الشَّدائِد، ويسدُّ طُرَق العوائِد، فَلَا تُمطلوا بِالتَّوْبَةِ أزمانكم ،..."[٤٤٣]،وتظهر هنا المقابلة بين (طهارة الثوب وإزالة الشوب) والأصل هنا أن المقابلة سببية، فتحصل طهارة الثوب بعد إزالة الشوائب.

ولنتأمل المقابلة في قوله:" فَوهبت وباعت ، بعد مَا أظمأت وأجاعت ،وَإِذاً فَلم يبْق إِلَّا ثَمَرَاتٍ من أوقار عَيْر، وشعراتٍ من جِلْد بَعير، إِذْ كنت قبل الِاعْتِمَاد من الدولة النَّصْرية، بالمشاورة والموازرة، والمعاونة والمظاهرة،والحرص على خدمتها،بوظيفة الأقلام والمثابرة"[٤٤٤].

حيث نجد المقابلة هنا بين : (وهبت وباعت) فالهبة لا تكون بيعا، فالبيع يحصل بمقابل، والهبة مجانية، وإن كانت المقابلة غير صريحة هنا إلا أنها قد أفادت معنى المقابلة.

أما العلاقة بين (أظمأت وجاعت)، فعلاقة تماثل معنوي، وتناسب سياقي، فالجوع والظمأ كلاهما تعب داخلي للإنسان.

أما عن قيمة المقابلة الفنية عند لسان الدين بن الخطيب فإنها كانت وظيفة دلالية ولفظية، أما اللفظية فإنها ضرب من الربط بين تراكيب النص، وأما الفنية فإنها تكسب الكلام وضوحا وتأنقا، وتبرز المعنى الذي يدور حوله النص، وتقوي الترابط بين عناصره.

([٤٤٣]) المصدر نفسه: ٥٥/٢ .

([٤٤٤]) المصدر نفسه: ١٨/١.

المبحث الثالث

الأساليب البيانية عند لسان الدين بن الخطيب

١-التشبيه

٢-الاستعارة

٣-المجاز

٤-الكناية

توطئة :

يُعدُّ التشكيل البياني من المصطلحات التي لها جذور في التراث النقدي القديم، والتي اختلف فيها النقاد في العصر الحديث، سواء من حيث التعريف، أو من حيث الأدوات والإجراءات ؛ كما عنى مفهومها:" من التحديد الدقيق، وانتابه قدر من الغموض والتعميم، وكأنها تتأبى على التحديد والتأطير "[٤٤٥]؛ ولذا كثف النقاد عملهم في اكتشاف أبعادها في التراث الشعري والنقدي؛ لما لهذه الصورة من قيمة فنية في العمل الإبداعي؛ نظرا لأثرها في العمل الفني، فهي تعد "جزء حيوي في عملية الخلق الفني"[٤٤٦].

([٤٤٥]) الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث(السياب ونازك والبياتي)، محمد علي كندي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠٠٣ م : ١٧.

([٤٤٦]) جدلية الخفاء والتجلي، دراسات بنيوية في الشعر، كمال أبو ديب، مكتبة الأدب المغربي ، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٩٧٩ ، الطبعة الثالثة ١٩٨٤ :٢٩.

ونظرا لأهمية الصورة الشعرية، صرح بعض النقاد بأن الصورة الشعرية، هي :" من أهم معالم القصيدة الحديثة ؛ لما يشكله دورها المحوري الذي تبنى عليه القصيدة المعاصرة بأسرها"[٤٤٧].

والصورة لكي تكون مؤثرة لها إمكانيات، لابد من مراعاتها في رسم الصورة،" فكلما كانت أجزاؤها أشدَّ اختلافاً في الشكل والهيئة، ثم كان التلاؤمُ بينها مع ذلك أتمّ، والائتلافُ أبينَ، كان شأُنها أعجبَ، والحذْقُ لمصوّرها أوجبَ"[٤٤٨]

ويتخذ التشكيل البياني أشكالا متعددة تكون أحياناً على هيأة تشبيه بأساليبه وأدواته المعروفة عند البلاغيين وأحياناً تكون مجازا وأخرى تكون من قبيل الاستعارة والكناية، والمجاز وغير ذلك من الصنوف البلاغية.

أولا: التشبيه:

يُعدُّ التشبيه من أكثر الوسائل الفنية والبلاغية في بناء النص النثري وتحديد أبعاده ، وللتشبيه موقع حسن وجمال في البلاغة العربية ، وأكثرها استعمالاً في الشعر والنثر، وكذلك يزيد المعاني رفعة ووضوحاً ، وفضلاً عن ذلك يكسبها جمالاً ، ويكسوها شرفاً ، فهو دقيق المجرى ، غزير الجدوى، وله من المزايا والفضائل التي تتجلى في الأسلوب[٤٤٩] ، ويعدّ التشبيه من أقدم صور البيان وأوسع الصور أو الفنون استعمالاً في الكلام العربي[٤٥٠].

([٤٤٧]) في بنية الشعر العربي المعاصر، محمد لطفي اليوسفي، سراس للنشر، تونس، ط١، ١٩٨٥م : ٩٢.

([٤٤٨]) أسرار البلاغة، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد ، الجرجاني النحوي (المتوفى: ٤٧١هـ أو سنة ٤٧٤) ، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، الناشر مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، د.ط ،د.ت : ١٤٨.

([٤٤٩]) ينظر : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع : لأحمد الهاشمي: ٢٤٩ .

([٤٥٠]) فنون بلاغية، د. أحمد مطلوب: ٢٧.

التشبيه في اللغة : جاء في اللسان:"الشّبَهُ والشَّبِيهُ المِثْلُ، أشبه الشيءُ الشيءَ ، وأَشْبَهْتُ فلأنّاً وشَابَهتُهُ ، واشْتَبَهَ عليَّ ، وتَشَابَه الشيئان واشْتَبَهَا: أشبه كلٌّ واحد منهما صاحِبه، والتشبيه التمثيل"[٤٥١]

التشبيه في اصطلاح: هو عقد مشابهة بين أمرين أو شيئين اشتركا في صفة أو أكثر بأداة ، قُصِد أمرين أو أكثر ؛ لغرض يقصده المتكلم [٤٥٢].

قال أبو هلال العسكري:" التشبيه الوصف بأنَّ أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة تشبيه"[٤٥٣].

ويعرف التشبيه بأنْهُ:" صفةُ الشيء بما قاربه وشاكله، ومن جهةٍ واحدة أو جهاتٍ كثيرةٍ لا من جميع جهاته"[٤٥٤].

وقال السكاكي(توفى ٦٢٦هـ):" إن التشبيه مستدع طرفين، مشبها و مشبهاً به، واشتركا فيهما من وجه، و افترقا من آخر"[٤٥٥]. أي يشتركا في الحقيقة، وعدم الاشتراك في الصفة، أو بالعكس، فالأول: كالإنسانين: إذا اختلفا صفة: طولا وقصرا، أما الثاني: كالطويلين، إذا اختلفا حقيقة: إنسانا وفرسا[٤٥٦]

([٤٥١]) لسان العرب، لابن منظور(٦٣٠-٧١١هـ) ، اعتنى بتصحيحها أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي ، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت –لبنان،ط٣ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، مادة (شبه): ٢٣/٧.

([٤٥٢]) ينظر : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع : لأحمد الهاشمي : ٢٤٩.

([٤٥٣]) الصناعتين، الكتابة والشعر، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري(المتوفى: . بعد ٣٩٥هـ)، تح: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م : ٢٣٩.

([٤٥٤]) العمدة: ابن رشيق القيرواني : ١٧٤/١ .

([٤٥٥]) مفتاح العلوم، أبي يعقوب يوسف بن محمّد بن علي السّكّاكي(المتوفى: ٢٢٦ هـ)، تحقيق الدكتور عبد الحميد الهنداوي، الناشر دار الكتب العلميّة، بيروت – لبنان، ط١ ،١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م ، ط٢، ١٤–٧هـ – ١٩٨٧م: ١ /٣٣٢.

([٤٥٦]) ينظر : المصدر نفسه:٣٣٢/١.

والتشبيه هو: بيان على إن شيئاً، أو أشياء أو صورة تشترك في غيرها في شيء مع شيء آخر، أو صورة أخرى في معنى أو صفة أو أكثر[٤٥٧].أو هو:" مقارنة بين طرفين متمايزين لاشتراك بينهما في سمة أو سمات"[٤٥٨].

فالتشبيه علاقة مقارنة تجمع بين طرفين ، لاجتماعهما أو اشتراكهما في صفة أو مجموعة من الصفات والأحوال ٠ هذه العلاقة قد تستند إلى مشابهة حسية ، وقد تستند إلى مشابهة في الحكم أو المقتضى الذهني الذي يجمع بين الطرفين المقارنين ، دون أن يكون من الضروري أن يجتمع الطرفان في الهيئة المادية ، أو في كثير من الصفات المحسوسة٠وسواء أكانت المشابهة بين الطرفين تقوم على أساس من العقل ، أم أساس من الحس، فإنَّ العلاقة التي تربط بينهما ، علاقة مقارنة أساساً وليست علاقة تفاعل أو اتحاد[٤٥٩].

ويقوم التشبيه على أركان أربعة : " المشبَّه ، والمشبَّه به يُسميان طرفا التشبيه، ثم أداة التشبيه ووجه التشبيه"[٤٦٠].

ومن التشبيه البليغ قوله:" وَالصَّلَاة وَالسَّلَام على سيدنَا ومولانا مُحَمَّد، رَسُوله، الَّذِي مَلأ الْكَوْن نوراً وَهُدًى، وأوضح سَبِيل الْحق ، وَقد كَانَ طرايق قدَدًا، أَعلَى الْأَنَام يدًا، وأشرف الْخلق ذاتًا، وَأكْرمهمْ مَحْتِدًا، الَّذِي أنْجز الله بِهِ من نصر دينه الْحق ، موعدا حَتَّى بلغت دَعوته، مَا زوى لَهُ، من هَذَا الْمغرب الْأَقْصَى، فَرفعت بِكُل هضبة معلما، وَبنت بِكُل قلعة مَسْجِدا"[٤٦١].

ومن التشبيه قوله:" وَالَّذِي بَعثك بِالْحَقِّ هادياً، وأطلعك لِلْخلقِ نوراً بادياً، لا يطفى غلَّتي إِلَّا شِربك، وَلَا يسكن لوعتي إِلَّا قُربك، فَمَا أسعد من أَفَاضَ من حرم الله إِلَى حَرمك، وَأصْبح بعد

([٤٥٧]) ينظر : علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني): ١٤٣ .

([٤٥٨]) رماد الشعر، دراسة في البنية الموضوعية للشعر الوجداني الحديث في العراق، عبد الكريم راضي جعفر، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٨: ٢٩٠.

([٤٥٩]) ينظر: الصورة الفنيَّة في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، د. جابر عصفور، المركز الثقافي العربي، ط٣، ١٩٩٢ :١٧٢.

([٤٦٠]) البلاغة العربية تأصيل وتجديد، مصطفى الصّاوي الجويني أستاذ البلاغة والنقد الأدبي، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٥: ٨٤ .

([٤٦١]) ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب، لابن الخطيب:١/٣١ -٣٢

أَدَاء، مَا فرضت، عَن الله ضيف كرمك، وعفَّر الخدَّ فِي معاهدك، ومعاهد أُسرتك، وَتردّد مَا بَين دَاري بَعَثْتُك وهجرتك"[٤٦٢].

وهنا شبه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو: (أطلعك للخلق نوراً) وهنا شبه النبي بالنور وهو تشبيه بليغ، حيث حذف الأداة ووجه الشبه.

ومن التشبيه قوله:" بَحر تتلاطم أمواجه، وعدوً تتكاثف أفواجه، ويحجب الشَّمْس عِنْد الظهيرة عجاجه، فِي طايفة من الْمُؤمنِينَ، بك وطَّنوا على الصَّبْر نُفُوسَهم، وَجعلُوا التَّوَكُّل على الله وَعَلَيْك لبوسهم، وَرفعُوا إِلَى مصارختك رؤوسهم، واستعذبوا فِي مرضاة الله ومرضاتك نُفُوسهم، يطيرون من هَيْعة إِلَى أُخْرَى، وينفلتون، والمحاربون عَن يمنى ويسرى، ويقارعون وهم الفئة القليلة، جموعاً كجموع قَيْصر وكسرى،..."[٤٦٣].

وهنا التعبيرات جاءت كلها على سبيل التشبيه، فقد شبيه الألفاظ بأنها(بحر تتلاطم أمواجه، وعدو تتكاثف أفواجه، ويحجب الشَّمْس عِنْد الظهيرة عجاجه) وكلها على سبيل التشبيه البليغ، فحذف الأدلة ووجه الشبه .

وسَرُّ جمال الصورة التشبيهية عند لسان الدين يكمن في نقل المعنى الذهني إلى هيأة أو حركة تجسمها الحالة النفسيّة الشعوريّة في لوحةٍ أَو مشهد.

ثانيا:الاستعارة :

الاستعارة لغةً :جاء في اللسان:استعار: طلب العاريّة. واستعاره الشيء واستعاره منه، وعاوَره إيّاه، طلب منه، والتَّداول في الشيء يكون بين أثنين، واستعاره ثوبا فأعاره إياه، أي نقل الشيء من شخص إلى آخ[٤٦٤].

أما اصطلاحاً :

أول من عرّفها الجاحظ بقوله :" تسمية الشيء باسم غيره إذا أقام مقامه"[٤٦٥].

([٤٦٢]) المصدر نفسه : ٥٩/١.

([٤٦٣]) المصدر نفسه: ١/ ٦٠ .

([٤٦٤]) ينظر ، لسان الدين ، لابن منظور(مادة : عور) : ٤٧١.

وتعرف الاستعارة أيضا بأَنَّها :"نقلُ العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض ، وذلك الغرض إما أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه، أو تأكيده والمبالغة فيه، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ، أو تحسين المعرض الذي يبرز فيه؛ وهذه الأوصاف موجودة في الاستعارة المصيبة؛ ولولا أن الاستعارة المصيبة تتضمن ما لا تتضمنه الحقيقة ؛ من زيادة فائدة لكانت الحقيقة أولى منها استعمالا "[٤٦٦].

وعرّفها القاضي الجرجاني(المتوفى: ٣٩٢هـ) بقوله:" فأما الاستعارة فهي أحد أعمِدة الكلام، وعليها المعَوَّل في التوسّع والتصرّف، وبها يتوصّل إلى تزيين اللفظ، وتحسين النظم والنثر "[٤٦٧].

وقد كان عرفها من قبل بقوله:" ما اكتفُى فيها بالاسم المستعار عن الأصل ، ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها . وملاكُها تقريب الشَّبَه ، ومناسبة المستعار له للمستعار منه ، وامتزاجُ اللفظ بالمعنى ؛ حتى لا يوجد بينهما منافرة ، ولا يتبين في أحدهما أعراض عن الآخر "[٤٦٨] .

ثم جاء السكاكي(المتوفى: ٦٢٦هـ) واعتمد على كلام الجرجاني في تفصيله للاستعارة فعرفها تعريفاً دقيقاً كافياً شافياً فقال هي:" إن تذكر احد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به"[٤٦٩].

وعند القروينى ، يَبيّنَ في تعريفه الاستعارة التحقيقية وأرجعها إلى أصلها الذي هو التشبيه ، ولعلّه اعتمد على السكاكي في ذلك فقال:"الاستعارة هي ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له"[٤٧٠] ، وقد تقيّد بالتحقيقية:" لتحقيق معناها حساً أو عقلاً أي التي تتناول امرأ معلوماً يمكن

([٤٦٥]) كتاب الحيوان، أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (١٥٠ – ٢٥٥) ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ،ط٢،١٣٨٥هـ – ١٩٦٥م:٢/٢٨٠ – ٢٨٣،وكذلك:البيان والتبيين،الجاحظ: ١/١٥٣.

([٤٦٦]) الصناعتين ، أبو هلال العسكري : ٢٧٤ .

([٤٦٧]) الوساطة بين المتنبي وخصومه : أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني (المتوفى: ٣٩٢هـ) تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه: ٤٢٨.

([٤٦٨])المصدر نفسه: ٤١ .

([٤٦٩]) مفتاح العلوم، السكاكي :١٧٤ .

([٤٧٠]) شروح التلخيص، التفتازاني :٤/ ٤٥.

ان ينص عليه ويشار إليه إشارة حسيّة أو عقليّة فيقال انّ اللفظ نقل من مسماه الأصلي، فحمل اسماً له على سبيل الإعارة للمبالغة في التشبيه"[٤٧١].

ومن الاستعارة عند لسان الدين بن الخطيب قوله:" أَفَادَ روح الْحَيَاة،الساطعة الإفادة لكل حَيّ ، وطوي بِسَاط العدوان ، بسلطانه المنصور الأعوان أى طَىّ ، وقر في ملَّته رُتَب السياسة الإلاهيّة، فكان يعلم كل شي ، وقابل زُخْرف الدنيا باقتصاره واقتصاده"[٤٧٢].

وهنا الاستعارة مكنية حيث استعار لفظة (روح) للحياة التي هي شيء معنوي لا يمتلك الروح، وتعود هذه الاستعارة لغرض بلاغي إذا انزل الشيء المعنوي(الروح) منزلة الكائن الحي الذي يمتاز بوجود الروح في. ثم الاستعارة المكنية الثانية (طوى بساط العدوان)، حيث استعار(طوي البساط) للتعبير عن هزيمة العدوان والتقليل من خطرهم – فالعدوان ليس له بساط . وإنما استعار ابن الخطيب هذا اللفظ للدلالة على إمكانيات المعتدي وجهوزيته ، فلما دمر إمكانياته واخل بجهوزيته عبر عن ذلك ب (طوى بساط العدوان) .وحذف المشبه به وترك شيئا من صفاته على سبيل الاستعارة المكنية .

ومن الاستعارة قوله:" وَالطَّاعَة يشهرها الِاعْتِرَاف، وَالْأَمْوَال يحُوطُها الْعدْل، أَو يبيحها الْإِسْرَاف ، والآيات تُعقد ، والأعطيات تُنْقَد ، إذ رأيت الأبواب مهجورة ، والسُّوت لا مؤمَّلة ، ولا مزورة ، والحركات قد سَكَنَت، وأيدي الإدالة قد تمكَّنت ، فكأن لم يَسْمر سامرٌ ، ولا نهى ناه ولا أَمر آمرٌ "[٤٧٣]، وهنا الاستعارة في (الاعتراف والعدل، والإسراف) استعارة مكنية، حيث شبههم بإنسان له تلك الأفعال، وحذف المشبه به وترك شيئا من صفاته على سبيل الاستعارة المكنية.

ويأتي لسان الدين بن الخطيب باستعاراتهِ من خلال قوله:" فاستقرَّ الْملك فِي قراره، وانسحب السّتْر على مَحَلّه. وامتد ظلُّ الْحِفْظ على دَاره. عرف وَسِيلَة هَذَا الْمقَام الَّذِي قامه، والوفَا الَّذِي رفع أَعْلَامه، فَألْقى إِلَيْهِ فِي مُهِمّ الْأُمُور بالمقاليد، وألزمه مُلَازمَة الْحُضُور مَجْلِسَه السَّعيد،وشدَّ يد الاغتباط على قُربه مُسْتمْنَحاً منه بالرأي السَّديد، ومستنداً من وُدّه إلى الركن الشّديد"[٤٧٤].

([٤٧١]) الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني :١٦٤، والتلخيص، التفتازاني : ٣٠ .
([٤٧٢]) ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب ، لابن الخطيب : ٢٢/١ .
([٤٧٣]) ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب ، لابن الخطيب: ٢٤/١.
([٤٧٤])المصدر نفسه:: ٦٥/٢.

والاستعارات هنا كلها مكنية، فالستر، وظل الحفظ، والوفا شبههم بإنسان ونسب لهم أفعاله، وحذف المشبه به وترك شيئا يدل عليه على سبيل الاستعارة المكنية.

ثالثا: المجاز:

المجاز لغة : يقال: جُزْتُ الطريقَ والموضع جَوازًا ومَجازًا ، أي: سار فيه وسلكه، وتقول: يجوز أن تفعل كذا ، أي ينفذ ولا يرد ولا يمنع، وتقول: عندنا دراهم واضحة وازنة وأخرى تجوز جواز الموزانة، أي: أن هذه وإن لم تكن وازنة فهي تجوز مجازها وجوازها؛ لقربها منه،يعني أن الكلام الحقيقي يتبادر إلى الذهن أول الشيء لأول ولهة ولكن المجازي يحتاج إلى ضرب من الخيال والذكاء أو التفكير لمن لم يعرفه[٤٧٥].

فنُقِلَ اللفظ إلى الكلمة الجائزة ، أي:المتعدية مكانَها الأصلي[٤٧٦]، لأنهم جازوا به موضعه الحقيقي الأول إلى موضعه الثاني، فكأنه مسلك ووسيلة إلى الانتقال من المعنى الحقيقي إلى الخيالي[٤٧٧].

والمجاز في اصطلاح علماء البلاغة: عرّفه السكاكي بأنه :" الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق ، استعمالاً في الغير، بالنسبة إلى نوع حقيقتها، مع قرينة مانعة عن إرادة معناها في ذلك النوع"[٤٧٨]، فقوله: (بالتحقيق) احتراز لكي لا تخرج الاستعارة التي هي من باب المجاز؛ وذلك نظراً إلى دعوى استعمالها فيما هي موضوعة له. وقوله : (استعمالاً في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها) احتراز عما إذا اتفق لأنها مستعملة فيما تكون موضوعة له، لا بالنسبة إلى نوع حقيقتها، كما إذا استعمل صاحب اللغة (الدابة) في كل مآدب على الأرض. وقوله: (مع قرينة مانعة عن إرادة معناها في ذلك النوع) احتراز عن الكناية؛ لان قرينتها لا تمنع من إرادة المعنى الموضوع له [٤٧٩].

([٤٧٥]) ينظر: لسان العرب لابن منظور (مادة : جوزَ): ٤١٦/٢.

([٤٧٦]) ينظر: المطول على التلخيص : سعد الدين التفتازاني ، د.ط ، د.م ، د. ت : ٣٥٢.

([٤٧٧]) ينظر: تهذيب الإيضاح: ١٢٥/٢، ومعجم المصطلحات البلاغية، د . أحمد مطلوب : ١٩٣/٣.

([٤٧٨]) مفتاح العلوم:السكاكي:٣٥٩.

([٤٧٩]) ينظر: المصدر نفسه:٣٥٩.

وعرفه أبو الفتح ابن جني(المتوفى: ٣٩٢هـ) بتعريف لا يقل أهمية عما سبقه وحاصل ما قاله أنه ما لم يقرّ في الاستعمالات على أصل وضعه في اللغة، وهذا فاسد بأمرين، أما أوّلا: فلأنه يبطل بالأعلام المنقولة من نحو أسد، وثور، فإنّ هذه الأعلام لم تبق على استعمالاتها في اللغة[٤٨٠]، بل قد نقلت إلى هذه الأشخاص، والمعلوم أنها لا تكون مجازات،ولا يدخلها المجاز بحال، وأما ثانيا: فلأن ما هذا حاله يبطل بالحقائق العرفيّة، والشرعية، فإنه قد استعملت في غير ما وضعت له في أصلا للغة، ولم تقرّ على تلك الاستعمالات اللغوية، ولا يقال بأنها مجازات[٤٨١].

وعرفه عبد القاهر بأنه :" كلُّ كلمة أريد بها غيرُ ما وقعت له في وضع واضعها؛ لملاحظةٍ بين الثاني والأول، ومعنى الملاحظة: هو أنها تستند في الجملة إلى غير هذا الذي تريده بها الآن إلا أنّ هذا الإسناد يقوى ويضعف"[٤٨٢].

أما أنواع المجاز التي هي إما الحذف وإما الزيادة وإما التأخير وإما التقديم وإما تردده على الحقيقة أو الاستعارة [٤٨٣].

أما البلاغيون فقد حصروا أنواع المجاز في صنفين المفرد والمركب، وأما المجاز المركب هو:" اللفظ المركب المستعمل قصدا في غير المعنى الذي وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي"[٤٨٤].

([٤٨٠]) ينظر: الخصائص: لابن جني ٥١٣/١.

([٤٨١]) ينظر : الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، ٤٩/١.

([٤٨٢]) أسرار البلاغة ، للجرجاني: ٣٥١ -٣٥٢.

([٤٨٣]) ينظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ،عبد المتعال الصعيدي ، ط٤ ،مكتبة الآداب ومطبعتها، المطبعة النموذجية : ١٦٩/٣-١٧٠.

([٤٨٤]) علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع)، أحمد مصطفى المراغي ، دار الكتب العلمية ، بيروت –لبنان ، ط٣ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م :٢٨٦.

ومن المجاز عند لسان الدين بن الخطيب قوله:" مَا أولى أنيتي بالمجاز عِنْد الِاخْتِصَاص بِمَعْرِفَة نَفسِي، والامتياز لما كبح السّن عِناني، وَعمر التشمير للرحيل عَن الرّبع الْمُحِيل جناني ، وَاسْتقرَّ على الزّهْد فِيمَا [يُجمع ويُؤَلف] ، ويُدَوّن ويُصَنَّف شاني، وَإِن عَذَل العاذل، وَرَغمَ الشاني ، بقيت فِي لفتيات الْبَيَان، ..."[٤٨٥].

وهنا المجازي بالحذف قد دار بين العبارات: (بمعرفة نفسي) أي: معرفة أحوال نفسي،(كبح السن عناني)، أي: كبح طول العمر.

ومنه أيضا قوله:" وَلَو أَن لِسَان الدَّهْر نطق، وَتَأمل هَذِه المناقضة وَتحقّق، لأتي بِمَا شَاءَ من عتب ولوم، وَأنْشد: أعلمهُ الرماية كل يوْم"[٤٨٦].

وهنا قد جاء المجاز بإسناد اللسان للدهر، وهو خاصية للإنسان، وهذا الإسناد على سبيل المجاز.

ومن المجاز أيضا قوله:" وَالْقلب يُرْمى من الْكَفّ الرقيم، بالمقعد الْمُقِيم، وَينظر إِلَى نجُوم الوَشمْ، فَيَقُول إِنّي سَقيم، وَقد تفتَّح وردُ الخَفر، وَحكم لِزنْجيَّ الظَّفيرة بالظَّفر، واتصف أَمِير الْحُسْن بالصُّدود المُغتفر، ورشَّ بِمَاءِ الطّيب، ثمَّ أعلق بِهِ دُخان الْعود الرَّطيب، وَأَقْبَلت الغادة يُهديها الْيُمن، وتزفُّها السَّعَادَة، تّمْشِي على استحياءِ، وَقد ماع طيبُ الرَّيَّا، وراق حسن الْمحيَّا، حَتَّى إِذا نُزع الْخُفُّ، وَقُبّلت الأكفُّ وصَخِب الزمر، وتجاوب الدَّف، وذاع الأَرَجُ، وارتفع الْحَرَج ،...."[٤٨٧].

وتجلى هنا ضرب من المجاز وقد أضاف روعة من التصوير،وذلك في قوله:(وَالْقلب يرْمى من الْكَفّ الرقيم) وأسند للقلب ما للإنسان بالرمي، وهنا تعبير ملغز وهو قوله: (وَينظر إِلَى نُجُوم الوشم) وإن كان المقصود بنجوم الوشم هنا السماء، كان ذلك على سبيل المجاز، وإن كان الوشم في اليد كان من المجاز بالزيادة.

رابعا: الكناية :

([٤٨٥]) ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب ، لابن الخطيب : ١٧/١.

([٤٨٦])المصدر نفسه: ٣٢/١.

([٤٨٧]) ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب ، لابن الخطيب: ٢٢٦/٢

وردت الكناية في لسان العرب:" أنّ تتكلم بشئ وتريد غيره ، وكنّى عن الأمر بغيره يَكنّى كناية ، وتَكَنّى: تستر من كَنى عنه اذا وَرَّى ، أو من الكنية"[٤٨٨].

ومن أوائل الذي تحدثوا عن الكناية أبو عبيدة (ت ٢١٠هـ) عند شرح قوله تعالى : ﴿ أو لامَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾[النساء:٤٣]، فقال: كناية عن الغشيان[٤٨٩] .

ذكر أبو هلال العسكري إن مصطلح الكناية يدور ما بين الإرداف والتوابع والمماثلة والكناية والتعريض،إذ نلحظ إن جميع هذه المصطلحات ترجع إلى فكرة واحدة أو مفهوم واحد وهو:" إن يكنى الشيء ويعرض به ولا يصرح على حسب ما عملوا باللحن والتورية عن الشيء"[٤٩٠].

أما ابن رشيق القيرواني: فقد صنف الكناية في باب الإشارة ، فالكناية عنده من ملح الشعر تدل على فرط مقدرة الشاعر على الصياغة اللغوية ، فقال: " والعرب تجعل المهاة شاة لأنها عندهم ضائنة الظباء ، ولذلك يسمونها نعجة"[٤٩١] ، وعلى هذا المتعارف في الكناية جاء قول الله (ﷻ) في إخباره عن خصم داود(عليه السلام): ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ واحدة ﴾ [صّ: ٢٣] . كناية بالنعجة عن المرأة .

وقال امرؤ القيس [٤٩٢]:

وبَيْضةِ خِدْرٍ لا يرامُ خِباؤُها تمتَّعتُ مِن لهوٍ بها غيرَ مُعجَلِ

فهي كناية بالبيضة عن المرأة ، وذلك لبياضها ورقتها[٤٩٣].

ويبدو أنّ فن الكناية ظل مختلطاً ومتداخلاً بأنواع البلاغة حتى مجيء عبد القاهر الجرجاني فقال في تعريفها:" الكناية أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه ورِدْفُه في الوجود ، فيومئ به إليه ، ويجعله

([٤٨٨]) اللسان (مادة : كني) : ١٧٤ .

([٤٨٩]) ينظر: مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (المتوفى: ٢٠٩هـ) ، تحقيق محمد فواد سزگين ، الناشر: مكتبة الخانجى – القاهرة :١ / ١٥٥ .

([٤٩٠]) الصناعتين، أبو هلال العسكري:٣٨١.

([٤٩١]) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،لابن رشيق : ٣١٢/١.

([٤٩٢]) ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف للنشر ، ط٤ ، ١٩٨٤ : ١٣.

([٤٩٣]) ينظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، د. أحمد مطلوب : ١ / ٥٧٠ .

دليلاً عليه ، مثال ذلك قولهم: (هو طويل النجاد) يريدون طويل القامة (وكثير رماد القدر) يَعنون كثير القرى، وفي المرأة:(نَؤُوم الضُّحَى) والمراد أنها مترفة مخدومة لها من يكفيها أمرها"[٤٩٤].

وبالنظر إلى تعريف لم تعدّ الكناية عند الجرجاني مجرد إشارات متفرقة بل مفاتيح للمعنى الثانوي للفظ لا من اللفظ نفسه، وهذا ما أوقفه على الحديث عن المعنى ومعنى المعنى[٤٩٥].

أما السكاكي فعدّ الكناية فناً من فنون البيان عندما عرفها بأنها:" ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما هو يلزمه ، لينتقل من المذكور إلى المتروك"[٤٩٦].

ومن الكناية عند لسان الدين بن الخطيب قوله:" من إِيجَاب حَقه على السُّنَن اللاحب، شَأْنهَا فِي الصحة والشباب، والتمتع بالأحباب،والغنى والأمان، ومساعدة الزَّمَان،حَتَّى إِذا ذهب،واسترجع الله مِنْهُ مَا وَهَب ، قدر حنين قدره ، وَأعظم أمره ، وكثر عليه الأسف واللهف ، وأمل الْعود وَرمى الْخَلف، على هَذَا تبع السَّلُف الْخلف، إِلَّا من بَان لَدَيْهِ بالحكمة الكلَف"[٤٩٧].

وهنا كنايات: (ومساعدة الزَّمَان) كناية عن الصحة، (واسترجع الله مِنْهُ مَا وهب)، كناية عن الموت، (أمل العود) كناية عن طلب طول العمر.

ومن الكناية عند لسان الدن بن الخطيب قوله:" فَإِنِّي لما يسَّر الله مني للآداب جالى سِماتها ،وناشر رِمَمِها بعد مماتها. وصاقِلُ صفحاتها ،وَقد محا محاسنها الصَّدا بَعْد بُعْد المدَا، وموضح طريقتها المثلَى، وَقد أضحت طرائق قِدَدا، والغاشي لضوءِ نورها، لعلّي أجد على النَّار هدى"[٤٩٨].

قوله: (قد محا محاسنها الصدا)، كناية عن الكبر في السن.

([٤٩٤]) دلائل الإعجاز الجرجاني:٦٦.

([٤٩٥]) ينظر: الكناية أساليبها ومواقعها في الشعر الجاهلي، محمد الحسن علي الأمين ، رسالة الماجستير ، جامعة أم القرى مكة المكرمة ، كلية اللغة العربية ، الدراسات العليا، فرع الأدب، ١٤٠٣- ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣-١٩٨٤م : ٣١.

([٤٩٦]) مفتاح العلوم، السكاكي : ٤٠٢ .

([٤٩٧]) ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب ، لابن الخطيب: ٥٤/١.

([٤٩٨])المصدر نفسه: ٢٧/١

وقال لسان الدين بن الخطيب:" وأندَلُسِية لَهَا الشُّفُوف، أولياؤها الكموت، وشهودها الصُّفُوف، وخُدورُها البنود، وظلالها السيوف،وبيوتها الثغور، وغروسها الْجِهَاد الْمَعْرُوف، وَهُوَ على تَرْتِيب مَعْلُوم، وَوصف مَوْسُوم من الْمَدْح وَمَا يُقَارِبه، والنسيب وَمَا يُنَاسِبه، وَالْوَصْف وَإِن تشعبت مذاهبه، وَالْملح وفيهَا محَاسِن الشَّيْء ومعايبه، وَالْحكم والزهد، وَمَا اشْتَمَل عَلَيْهِ واجبه، فجَاءَ تَمَامه نُسْك، وختامه مِسْك، ليَكُون أجمع للفكر، وأسهل للذّكر" [٤٩٩].

والكنايات هنا في:(أندلسية لَهَا الشفوف) كناية عن الجمال في بلاد الأندلس،(ظلالها السيوف) كناية عن اتصال القتال،(بيوتها الثغور) كناية عن إحاطة الأعداء بها،(غروسها الْجِهَاد) كناية عن كثرة القتال.

وقوله:" أَعلَى الْأَنَام يدًا، وأشرف الْخلق ذاتًا، وَأكْرمهمْ مَحْتِدًا، الَّذِي أنْجز الله بِهِ من نصر دينه الْحق موعد، حَتَّى بلغت دَعوته، مَا زوى لَهُ، من هَذَا الْمغرب الْأَقْصَى، فَرفعت بِكُل هَضْبة معلمًا، وَبنت بِكُل قلعة مَسْجِدا"[٥٠٠]، فقوله: (أَعلَى الْأَنَام يدا) كناية عن كثرة العطاء.

وتظهر القيمة البيانية في نثره من خلال في التشبيه ، والاستعارة ، والمجاز ، والكناية)، وهذه القيم تمنحه جمالاً أكثر، ومن أبرز هذه القيم التي اتضحت في الصور البيانية عنده:(المبالغة، والإيجاز، والإيضاح، والتأكيد)، فكان كثيرا ما يتخذ من هذه الأساليب وسيلة مهمة للربط بين الجمل والتراكيب، ولتقريب بعضها من بعض ويلجأ إليه الشاعر ليزيد المعنى وضوحاً فيتطلب قدراً من المهارة وسعة في الخيال حتى يستطيع الشاعر التعبير عما يريد وعليه ينبغي، فقد اختار من الألفاظ أقربها للفهم، فكان لا يحل على الصعب ولا البعيد، فكانت كنايتها مما تألفها النفس، ومجازها كان من السهل القريب.

([٤٩٩])المصدر نفسه: ٢٨/١.

([٥٠٠]) المصدر نفسه: ٣١/١– ٣٢ .

الخاتمة

بعد جولة علمية مع أديب من أدباء العصر الأندلسي، أَلَا وهو لسان الدين بن الخطيب، فتنوعت هذه الدراسة بين الأنواع الفنية النثرية المذكورة في كتاب المؤلف ودراستها فنياً، ومن خلال هذه الدراسة توصلتُ إلى نتائج مهمة منها :

١- لقد أسهمت الحياة السياسية والاجتماعية التي شهدتها غرناطة آنذاك في رفد لسان الدين بن الخطيب بالمواهب المتعددة بصورة عامة، وأثرت عنده مصادر الصورة الفنية، بصورة

خاصة حتى أضحت تلك الأحداث التي شهدها عصره، المنهل الأول الذي أرتوت ثقافته منه ، فضلاً عن الموروث الديني، والموروث الأدبي الشرقي والأندلسي.

٢- لقد انماز النثر في عصر ابن الخطيب بالسلاسة والسهولة في الكتابة مما وفر له شروط الانتشار، وحسن الاستثمار، فكثر الكتاب وتنوعت فنون الكتابة واختلفت مستوياتها، وتعددت توجهاتها، وظهرت فنون نثرية جديدة إضافة للفنون النثرية القديمة وفي مقدمتها الرسائل الفنية، وهذا ما عزز عناصر الإبداع عند لسان الدين بن الخطيب فأبدع في صياغة مختلف الفنون النثرية، بالإضافة إلى تميزه بنظم الشعر.

٣- تنوعت الفنون النثرية عند لسان الدين ابن الخطيب إلا إننا وجدنا طائفة من فنون الرسائل في كتاب ريحانة الكُتاب ونُجعة المرتاب على غيره من الفنون النثرية، وقد تنوعت هذه الرسائل بين الرسائل الديوانية التي كانت هي الأكثر؛ بسبب عمل ابن الخطيب في دواوين السلاطين، والرسائل الإخوانية التي كتبها لبعض معاصريه من الأدباء أو الأقارب.

٤- نلحظ في رسائل ابن الخطيب إنها جاءت مكتملة البناء متوافرة على جميع شروط بناء الرسالة من حيث وجود طرفي التراسل وهما (المرسل والمرسل إليه)، وموضوع الرسالة المحدد وأداة التواصل والإرسال.

٥- وجدنا في لغة رسائل ابن الخطيب أنها لغة منمقة تميل إلى الإطالة في المدح والثناء وإلى استعمال الألفاظ الجزلة التي تراعي الإيقاع الموسيقي،وتنتهي بعبارات مسجوعة في الغالب.

٦- وجدنا الجدية في لغة الخطاب في رسائله الديوانية، فيما توافرت لغة المزاح والهزل في الرسالة الإخوانية؛ لأن التراسل يكون بين الأصدقاء، فيغلب جو المرح عليها، وهذا ما وجدناه في رسالته لابن خلدون .

٧- تعد المقامة فناً نثرياً مشرقياً ظهر على يدي بديع الزمان الهمذاني، وقد تابعه الكثير من الكتاب في المشرق والمغرب، ومن هؤلاء الكتاب لسان الدين بن الخطيب الذي جاءت مقاماته بنمطين مختلفين: النمط الأول النمط التقليدي يتبع فيه الكاتب المقامات المشرقية يحافظ فيها على عناصر بناء المقامة (البطل، والراوي، والعقدة، والسخرية والوصف،وغيرها) فجاءت مقامات لسان الدين بن الخطيب في هذه الكتاب لوصف رحلة الفتح الي قام بها أبو

الحجاج بن أبي الوليد إسماعيل، وقد وجدنا في هذا النمط أنه يبتعد من أسلوب بديع الزمان الهمذاني في الحوار، ويقترب من الأسلوب القصصي الذي يستعمله الحريري في مقاماته.

٨- أما المقامات ذات النمط الخاص عند لسان الدين الخطيب فقد جاءت متميزة تعتمد على اسلوب مفارق يعتمد تكرار حرف واحد وهو (حرف السين) في جميع كلمات المقامة وهذا ما منحها جرساً موسيقياً مميزاً، قد دلَّ على قدرة الكاتب وسعة ثقافته.

٩- تعد المفاخرات من الفنون النثرية التي انماز بها لسان الدين بن الخطيب، وتعد مفاخرته بين (مالقة وسلا) من أهم المفاخرات المكانية التي أظهرت مكانة البلدين من جميع النواحي بأسلوب أدبي جميل اعتمد على الوصف، واستعمال أساليب الحجاج الاقناعية.

١٠- ومن الفنون النثرية التي انماز بها لسان الدين بن الخطيب هي التراجُم، فقد ترجم ابن الخطيب للكثير من أبناء عصره ترجمة وافية في العديد من كتبه، إلا أن تراجمه في كتاب (ريحانة الكُتّاب ونُجعة المنتاب) قد اقتصرت على ذكر اسم المترجم له بنسب قصير، وذكر بعض صفاته الحميدة وما فعلته الأيام به، دون التركيز على أصوله ونسبه، أو سنة ولادته ووفاته ومدة حياته، ذاكراً المنجزات الثقافية أو الأدبية للمترجَم له، فاكتفى بموجز شبه وسيط في بعض الأحيان، أو قصير يحتمل عدّة أسطر.

المصادر والمراجع

*القران الكريم .

أولاً- الكتب العلمية :

أ

١-الاتجاهات النقدية والأدبية الحديثة (دليل القارئ العام)، أحمد العشيري، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ٢٠٠٣م .

٢-الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين بن الخطيب، حققه محمد عبد الله عنان،مكتبة الخانجي بالقاهرة، الشركة المصرية للطباعة ، ط٢، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٣-الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين بن الخطيب، حققه محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي بالقاهرة للنشر، جميع الحقوق محفوظة، القاهرة الشركة المصرية للطباعة والنشر، ط١، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

٤-الإحاطة في أخبار غرناطة: لسان الدين بن الخطيب، طبع بمطبعة الموسوعات بشارع باب الحلق بمصر،ط١، ١٣١٩ هـ.

٥-الأحاطة في أخبار غرناطة :لسان الدين بن الخطيب (المتوفى:٧٧٦هـ)، شرحه وضبطه وقدم عليه الدكتور يوسف غلي طويل، أستاذ الادب الاندلسي بالجامعة اللبنانية ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

٦-الأدب الأندلسي: محمد رضوان الداية،دار الفكر المعاصر بيروت –لبنان، دار الفكر دمشق – سورية، ط١، جمادي الآخرة ١٤٢١هـ، أيلول٢٠٠٠م .

٧-الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، منجد مصطفى بهجت أستاذ مساعد في كلية الآداب،دار الكتب للطباعة والنشر،جامعة الموصل .

٨-أدب الرسائل في الأندلس، في القرن الخامس الهجري، فايز عبد النبي فلاح القيسي، دار البشير للنشر والتوزيع، تنسيق وفهرسة: د. الشويحي ،جميع الحقوق محفوظة، ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٩-الأدب وفنونه دراسة ونقد، عز الدين إسماعيل، دار النشر المصرية، مصر، د.ت.

١٠- أسرار البلاغة، عبد القاهرة الجرجاني، تحقيق محمود شاكر أبو فهر، الناشر مكتبة الخانجي،ط١، ١٩٩١ م.

١١- أسرار البلاغة، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، الجرجاني النحوي (المتوفى: ٤٧١هـ أو سنة ٤٧٤)، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، الناشر مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، د.ط ،د.ت .
١٢- أسس النقد الأدبي عند العرب، لأحمد أحمد بدوي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٦ .
١٣- الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، للدكتور أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية للنشر، مطيعة الاعتماد بمصر، ط٢.
١٤- الأسلوبية ونظرية النص، إبراهيم خليل ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الفارس للتوزيع والنشر، عمان، ط١ ، ١٩٩٧م .
١٥- الإشارة الى أدب الوزارة، لسان الدين بن الخطيب، دراسة وتحقيق، د. محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية للنشر ،جميع الحقوق محفوظة للناشر ط١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.
١٦- الأعلام، خير الدين الزركلي، قاموس تراجم، لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان .
١٧- الأندلس ، ج . س . كولان، لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية، إبراهيم خُورشيد – د. عبد الحميد يونس – حسن عُثمان، دار الكتاب اللبناني – دار الكتاب المصري، بيروت – القاهرة، كتب دار المعارف الإسلامية، ط١٩٨٠،١.
١٨- الأندلس (التاريخ والحضارة والمحنة) دراسة شاملة ، محمد عبدة حتامله، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، طباعة مطابع الدستور التجارية،عمان – الأردن، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.
١٩- أنوار الربيع في أنواع البديع، للسيد علي صدر الدين بن معصوم المدني (١٠٥٢- ١١٢٠هـ)، تحقيق شاكر هادي شكر ، نشر وتوزيع مكتبة العرفان – بكربلاء – العراق ، مطبعة النعمان – النجف الأشرف، ط١، ١٣٨٨هـ -١٩٦٨م.

٢٠- ابن زُمْرَك الغرناطي(٧٣٣ -٧٩٦هـ / ١٣٣٣ -١٣٩٣م) سيرته وأدبه، للمؤلف أحمد سليم الحمصي، مؤسسة الرسالة، دار الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع- طرابلس- لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
٢١- أزهار الرياض في أخبار عياض،أحمد بن محمد المقري التلمساني شهاب الدين، أعيد طبع هذا الكتاب تحت إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية حكومة دولة الإمارات العربية المتحدة.
٢٢- أزهار الرياض في أخبار عياض، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، ضبطه وحققه وعلق عليه، مصطفى السقا، إبراهيم الابياري، عبد الحفيظ شلبي، مطبعة فضالة، المعهد الخليفي للأبحاث المغربية، بيت المغرب.
٢٣- أوصاف الناس في التواريخ والصلات: لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: د. محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢م.

ب

٢٤- البحر المحيط في أصول الفقه، للزركشي، وهو بدر الدين محمد بن عبد الله الشافعي (٧٤٥ - ٧٩٤هـ)، قام بتحريره، الشيخ عبد القادر عبد الله العاني، وراجعه د. عمر سليمان الأشقر، حقوق الطبع محفوظة لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت ،تشرفت بإعادة طبعه دار الصفوة للطباعة والنشر والتوزيع – بالغردقة، ط٢، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م .
٢٥- بديعيات الزمان، فيكتور الكك، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، د.ط.
٢٦- البديع، أبو العباس عبد الله بن محمد المعتز (المتوفى: ٣٩٩هـ)، شرحه وعلق عليه عرفان مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م .
٢٧- برنامج ابن جابر الوادي آشي، للمؤلف شمس الدين محمد بن جابر الوادي آشي التونسي (المتوفى: ٧٤٩هـ)، تقديم وتحقيق الدكتور محمد الحبيب الهيلة، أستاذ بالكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين بتونس، المملكة العربية السعودية، جامعة ام القرى، مركز البحث

العلمي وإحياء التراث الإسلامي، من التراث الإسلامي، الكتاب الحادي عشر، تونس ١٤٠١هـ /١٩٨١م .
٢٨- البربر في الأندلس، محمد حقي، دراسة لتاريخ مجموعة أثنية من الفتح إلى سقوط الخلافة الأموية،(٩٢هـ / ٧١١م – ٤٢٢هـ / ١٠٣١ م)،المكتبة التاريخية، شركة النشر والتوزيع – المدارس، الدار البيضاء .
٢٩- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة: عبد المتعال الصعيدي، ط٤ ،مكتبة الآداب ومطبعتها، المطبعة النموذجية.
٣٠- بُغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط١، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٥م .
٣١- بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت ،صدرت السلسلة في يناير ١٩٧٨ بإشراف أحمد مشاري العدواني ١٩٢٣ – ١٩٩٠ .
٣٢- بلاغة العرب في الأندلس: أحمد ضيف،سلسلة الدراسات الأدبية، دار المعارف للطباعة والنشر – سوسة – ط١، ١٩٢٤، ط٢، ١٩٩٨ .
٣٣- البلاغة – البيان والبديع ، جامعة المدينة العالمية ٢٠١١، د.ط .
٣٤- البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة، الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥ هـ) ، الناشر دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط١، ١٤١٦ هـ .
٣٥- البلاغة العربية تأصيل وتجديد، مصطفى الصّاوي الجويني أستاذ البلاغة والنقد الأدبي، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٥ .
٣٦- البلاغة الواضحة(البيان والمعاني والبديع): تأليف علي الجارم ومصطفى أمين، دار المعارف ، د.ط ، د.ت .
٣٧- البنيويَّة : جان بياجيه أستاذ في كلية العلوم في جنيف، ترجمة: عارف منيمنه وبشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت – باريس، ط٤، ١٩٨٥م.

٣٨- البيان والتبيين،أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، د.ط د.ت.

ت

٣٩- تاريخ الأدب الأندلسي:أحسان عباس،عصر سيادة قرطبة،المكتبة الأندلسية،دار الثقافة،بيروت – لبنان،ط٢، ١٩٦٩ .

٤٠- تاريخ الأدب الجاهلي: علي الجندي، مكتبة دار التراث للنشر، ط١، ١٤١٢هـ- ١٩٩١م.

٤١- تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، دار النهضة بمصر، القاهرة، د.ط.

٤٢- تاريخ الأدب العربي- العصر العباسي الأول: شوقي ضيف، دار المعارف، النيل – القاهرة،ط٨،د.ت.

٤٣- تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، دار المعارف بمصر، النيل– القاهرة،ط٢ ،د.ت.

٤٤- تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات الأندلس، شوقي ضيف،دار المعارف، القاهرة ، ١٩٨٩م .

٤٥- تاريخ إسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الإعلام ، في من بويِع قبل الاحتلام، من ملوك الإسلام، للسان الدين بن الخطيب السلماني ، حققه وعلق عليه إ. ليفي برُوفنسَال، أستاذ الحضارة العربية الإسلامية بالسربون مدير معهد الدراسات الدراسات الإسلامية بجامعة باريس ، دار المكشوف، بيروت – لبنان ، آذار ،ط٢، ١٩٥٦.

٤٦- تاريخ قضاة الأندلس، للمؤلف الشيخ أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي، وسماه كتاب المرقبة العليا ، نشر إ. ليفي بروفنسال، أستاذ اللغة والحضارة العربية بالسربون، مدير معهد الدراسات الإسلامية بجامعة باريس، دار الكاتب المصري، القاهرة .

٤٧- تاريخ مدينة دمشق، أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر ٤٩٩هـ – ٥٧١م، دراسة وتحقيق محبّ الدين أبي سعيد العموري،١٤١٥هـ – ١٩٩٥م ،دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، لبنان .

٤٨- تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، السيد عبد العزيز سالم، دار المعارف –لبنان.

٤٩- تاريخ المغرب والأندلس: أحمد مختار العبادي، أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعتي الإسكندرية وبيروت العربية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت .

٥٠- تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني (٦١٠ هـ - ١٢١٣ م) -(٨٦٩ هـ - ١٤٦٥م)، محمد عيسى الحريري، أستاذ للتاريخ الإسلامي والحضارة، المساعد في كلية الآداب ، دار القلم للنشر والتوزيع ،الكويت،ط١: ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م،ط٢ : ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م .
٥١- تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس : السيد عبد العزيز سالم ، أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ،(١٤٠٦هـ / ١٩٨٥ م).
٥٢- التذكرَة الحَمدُونيّة ،لابن حمدُون محمد بن الحسن بن محمد بن علي، تحقيق إحسان عبّاس، وبكر عبّاس، دار صادر بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٦.
٥٣- تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي، لأنيس المقدسي، من منشورات الدائرة العربية في جامعة بيروت الأميركية، د.ط، د.ت .
٥٤- التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً :عبد الرحمن بن خلدون ، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر،١٩٧٩
٥٥- تقريب الوصول إلى علم الأصول، أبي القاسم محمد بن أحمد بن جُزيّ الكلبي الغرناطي المالكي (٦٩٣- ٧٤١هـ)، تحقيق وتعليق الدكتور محمد المختار بن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ، المدينة المنورة ، ط٢، ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م .
٥٦- التلخيص في علوم البلاغة، للإمام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب، ضبطه وشرحه الأديب الكبير الأستاذ عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، ط١، ١٩٠٤ .

ج

٥٧- الجامع في تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٦م.
٥٨- جدلية الخفاء والتجلي، دراسات بنيوية في الشعر، كمال أبو ديب، مكتبة الأدب المغربي ، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان،ط١: ١٩٧٩،ط٣: ١٩٨٤.
٥٩- جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال، العراق، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠ .

٦٠- جواهر البلاغة: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي(المتوفى:١٩٤٣م)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان،ط١ ، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م .
٦١- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، ضبط وتدقيق وتوثيق د. يوسف الصمَيلي، المكتبة العصرية صيدا – بيروت، د. ط ، د.ت .
٦٢- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، الناشر مؤسسة هنداوي سي آي سي، ٢٠١٧، د.ط .
٦٣- جيش التوشيح، لسان الدين بن الخطيب، اعد اصلاً من أصليه محمد ماضور، حققه وقدم وترجم لوشاحيه هلال ناجي، مطبعة المنار – تونس .

ح

٦٤- الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف، ألبير حبيب مُطلق ، المكتبة العصرية، بيروت،١٩٦٧.
٦٥- الحياة الاجتماعية في الأندلس وأثرها في الأدب العربي والأدب الأندلسي، محمد سعيد الدغلي ، جميع الحقوق محفوظة، دار أسامة للنشر ،ط١، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤ م .
٦٦- الحيوان: أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (١٥٠ – ٢٥٥)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر،ط٢ ، ١٣٨٥هـ – ١٩٦٥م .

خ

٦٧- خزانة الأدب وغاية الأرب،لأبي بكر علي بن عبد الله المعروف بابن حجة الحموي(٧٦٧- ٨٣٧هـ / ١٣٦٦ – ١٤٣٤م)، دراسة وتحقيق الدكتورة كوكب دياب، دار صادر – بيروت – لبنان، تأسست١٨٦٣، ط١: ٢٠٠١م – ١٤٢١هـ ، ط٢: ٢٠٠٥ – ١٤٢٥هـ .
٦٨- الخطاب والمترجم، باسل حاتم و أيان ميسون ، ترجمة عمر فايز عطاري،الرياض جامعة الملك سعود ، إدارة النشر العلمي والمطابع ،١٩٩٨ .

٦٩- خطرة الطيف، رحلات في المغرب والأندلس ١٣٦٢- ١٣٧٤: أبي عبد الله محمّد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد السلماني لسان الدين بن الخطيب،المحقق أحمد مختار العبّادي ، الموضوع (التاريخ والجغرافيا)، ط١، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر .

د

٧٠- دراسات لغوية في أمهات كتب اللغة، إبراهيم محمد أبو سكين، د.ط، د.م، د.ت .

٧١- دراسات في الأدب الأندلسي،د. محمد الديب، توزيع المكتبة الأزهرية للتراث بالقاهرة ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٧٢- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامِنة، أحمد بن علي بن محمد بن علي بن أحمد الشهير بابن حجر العسقلان (المتوفى: ٨٥٢)، دار المعارف العثمانية للنشر،١٣٤٩.

٧٣- دمية القصر وعصرة أهل العصر، علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي، أبو الحسن (المتوفى:٤٦٧هـ) الناشر: دار الجيل، بيروت، ط١: ١٤١٤هـ .

٧٤- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون المالكي، تحقيق وتعليق الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، مدرس الحديث بجامعة الأزهر، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة .

٧٥- ديوان ابن زمرك الأندلسي، محمد بن يوسف الصّريحي(٧٣٣ هـ بعد ٧٩٧هـ /١٣٣٣م بعد ١٣٩٥)، بالاعتماد على مخطوط فريد عنوانه(البقية والمدرك من شعر ابن زمرك)، تحقيق الدكتور محمد توفيق النّيفر، الأستاذ المحاضر بالجامعة التونسية، دار الغرب الإسلامي – بيروت .

٧٦- ديوان ابن سهيل الأندلسي، دراسة وتحقيق يُسرى عبد الغني عبد الله، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط٣، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م.

٧٧- ديوان زهير بن أبي سلمى، شرحه وقدم عليه الأستاذ علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

ر

٧٨- الرسائل والمقامات عبد الحميد الكاتب – بديع الزمان- الحريري، لعمر فرّوخ، دراسات قصيرة في الأدب والتاريخ والفلسفة، منشورات مكتبة ميمنة- بيروت، ط٢ ، ١٣٦٩هـ – ١٩٥٠م .

٧٩- رماد الشعر، دراسة في البنية الموضوعية للشعر الوجداني الحديث في العراق، عبد الكريم راضي جعفر، دار الشؤون الثقافية العامة،ط١، ١٩٩٨ .

٨٠- الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث(السياب ونازك والبياتي)، محمد علي كندي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠٠٣ م .

٨١- روضة التعريف بالحب الشريف: لسان الدين بن الخطيب ،تحقيق وتعليق وتقديم عبد القادر أحمد عطا، دار الفكر العربي للطبع والنشر، د.ط،د.ت،د.م .

٨٢- ريحانة الكُتّاب ونُجعة المُنتاب، لسان الدين بن الخطيب، حققه محمد عبد الله عنان، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، المطبعة العربية الحديثة، ط١، ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠م .

٨٣- ريحانة الكتاب ونُجعة المُنتاب، لسان الدين بن الخطيب، تحقيق محمد عبد الله عنان، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ،المطبعة العربية الحديثة، ط١، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م .

س

٨٤- السّحر والشّعر، لابن الخطيب، حققه المستشرق الاسباني: ج.م. كونتننته فيرير، راجعه ودققه : محمد سعيد اسبر، الناشر بدايات للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٦ .

٨٥- سلطة المثقف بين الاقتراب والاغتراب(قراءة في سيرة لسان الدين بن الخطيب، وتجربته السياسية)، د. محمد فاتح زغل، منشورات وزارة الثقافة . الهيئة العامة السورية للكتاب ٢٠٠٦.

٨٦- السيرة الذاتية في الأدب، تهاني عبد الفتاح شاكر، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت –لبنان، ط١، ٢٠٠٢م.

ش

٨٧- شرح الشواهد الشعرية في آمات الكتب النحوية، لمحمد حسن شُرَّاب، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ –٢٠٠٧م .

ص

٨٨- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي (المتوفى:٨٢١هـ) المطبعة الأميرية – دار الكتاب السلطاني – القاهرة – سنة ١٣٣٨ هـ – ١٩١٩ م.
٨٩- الصناعتين،أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري(المتوفى٣٩٥:هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي – ومحمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر عيسى البابي الحلبي،ط١، ١٣٧١ – ١٩٥٢.
٩٠- الصناعتين، أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري(المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي – ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط٢ .
٩١- الصناعتين، الكتابة والشعر، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري(المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م .
٩٢- الصورة الفنيَّة في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، د. جابر عصفور، المركز الثقافي العربي، ط٣، ١٩٩٢ .

ط

٩٣- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، العلويّ اليمني (المتوفى:٧٤٥هـ)، دار الكتب الخديوية، طبع بمطبعة المقتطف بمصر ١٣٣٢هـ – ١٩١٤م .

ظ

٩٤- ظهر الإسلام ،أحمد أمين، جميع الحقوق محفوظة للناشر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، جمهورية مصر العربية .

ع

٩٥- علم البديع، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان ،د.ط ،د.ت .
٩٦- علم البيان، عبد العزيز عتيق، الناشر دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د.ط، د.ت .
٩٧- علوم البلاغة(البيان والمعاني والبديع)، أحمد مصطفى المراغي، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط٣ ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م .

٩٨- علوم البلاغة(البديع والبيان والمعاني)، الدكتور محمد أحمد قاسم،الدكتور محيي الدين ديب، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس – لبنان، ط١، ٢٠٠٣ .

٩٩- العمدة في محاسن الشعر، وآدابه، ونقده، لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى: ٣٩٠ – ٤٥٦ من الهجرة)، حققه وفصله وعلق حواشيه محمد مُحي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى،مطبعة السعادة بمصر، ط٢، ذو القعدة ١٣٧٤ – ١٩٥٥ .

غ

١٠٠- غاية النهاية في طبقات القرّاء، شمس الدين ابن الجزري الدمشقي الشافعي(المتوفى: ٨٣٣هـ)، المحقق ج. برجسُتراسر، دار الكتب العلمية، أسسها محمد علي بيضون سنة ١٩٧١، بيروت – لبنان،ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

١٠١- غرناطة في ظل بني الأحمر(دراسة حضارية)،د. يوسف شكري فرحات،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،١٩٨٢، دار الجيل،بيروت، ط١، ١٤١٣هـ -١٩٩٣م .

ف

١٠٢-فصول في الأدب الأندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة، د. حكمة علي الاوسي، مطبعة سلمان الأعظمي – بغداد، ١٩٧١.

١٠٣-فَنُّ التحرير العربي ضوابطه وأنماطه، محمد صالح الشنطي، دار الأندلس للنشر والتوزيع، ط٥، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م.

١٠٤-فن المقامة بين الأصالة العربية والتطور القصصي،عباس مصطفى الصالحي ، دار الحرية للطباعة الموسوعة الصغيرة ، تصدرها دائرة الشؤون الثقافية والنشر، بغداد، الجمهورية العراقية، ١٩٨٤.

١٠٥-الفنّ ومذاهبه في النثر العربي، الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف النيل – القاهرة، ط١٠، د.ت .

١٠٦-فنون بلاغية(البيان – البديع)، أحمد مطلوب، أستاذ في جامعتي بغداد والكويت، دار البحوث العلمية، ط١، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥م .

١٠٧-فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب، المضامين والخصائص الأسلوبية، د. محمد مسعود جبران، دار المدار الإسلامي، بيروت .
١٠٨-في بنية الشعر العربي المعاصر ،محمد لطفي اليوسفي،سراس للنشر، تونس،ط١، ١٩٨٥م.
١٠٩-في نظرية الأدب، شكري الماضي، دار الحداثة، بيروت، ط١، ١٩٨٦م .

ق

١١٠-قضية البنيوية دراسة ونماذج،عبد السلام المسدي، وزارة الثقافة، تونس، ط١، ١٩٩١م .

ك

١١١-الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة – بيروت، طبعة ١٩٨٣ .
١١٢-كُناسة الدّكان بعد انتقال السكان،حول السياسة بين مملكتي غرناطة والمغرب في القرن الثامن الهجري: لابن الخطيب،تحقيق د. محمد كمال شبانة، مراجعة د. حسن محمود ،وزارة الثقافة، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر.
١١٣-كنز الكتاب ومنتخب الآداب، لأبي إسحاق إبراهيم بن أبي الحسن علب بن أحمد بن علي الفهري الشريشي المعروف بالبونسي(المتوفى:٦٥١هـ)، تحقيق ودراسة حياة قارة، المجمع الثقافي، أبو ظبي – الأمم العربية المتحدة، د.ت، د.ط.

ل

١١٤-اللباب في تهذيب الأنساب، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري،عز الدين ابن الأثير(المتوفى:٦٣٠هـ)، باب الصاد والقاف، الناشر دار صادر – بيروت .
١١٥-اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب النحو والصرف والبلاغة والعروض واللغة والمثل، محمد علي السَّراج، دار الفكر –دمشق،ط١، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .

١١٦-لسان الدين بن الخطيب حياته وتراثه الفكري، للمؤلف محمد عبد الله عنان، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
١١٧-لسان الدين بن الخطيب في آثار الدارسين، دراسة وبيبليوجرافية: حسن الوراكلي، سلسلة المعتمد بن عباد للتاريخ الأندلسي ومصادره، منشورات عكاظ .
١١٨-لسانيات النص(مدخل إلى انسجام الخطاب)، محمد الخطابي،المركز الثقافي العربي للنشر، ط١ ، ١٩٩١.
١١٩-لسانيات النص(مدخل إلى انسجام الخطاب)، محمد الخطابي، المركز الثقافي العربي ، بيروت ،لبنان،ط ٢، ٢٠٠٦.
١٢٠-اللغة وعلم اللغة، جون ليونز، دار النهضة العربية، ط١.
١٢١-علم اللغة، علي عبد الواحد وافي، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط١.
١٢٢-اللمحة البدرية في الدولة النصرية ، أبو عبد الله محمد لسان الدين ابن الخطيب،دراسة وتحقيق الدكتور محمد مسعود جبران، دار المدار الإسلامي ،توزيع دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية، ط١، آذار - مارس - الربيع ٢٠٠٩.
١٢٣-اللمحة البدرية في الدولة النصرية، لسان الدين بن الخطيب،صححه ووضع فهارسه ناشره محبّ الدين الخطيب منشئ مجلة الزهراء وصحيفة الفتح،القاهرة،المطبعة السلفية - ومكتبتها - لصاحبهما : محي الدين الخطيب وعبد الفتاح محمد

م

١٢٤-مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (المتوفى:٢٠٩هـ)، تحقيق محمد فواد سزگين، الناشر: مكتبة الخانجى - القاهرة .
١٢٥-مدخل إلى علم لغة النص، تأليف روبرت ديبوغراند وولفغانغ دريسلر، جامعة فلورينا، وجامعة فينا ، الهام ابو غزالة، وعلي خليل حمد، جامعة بيرزيت، مكتب التربية - نابلس ،مطبعة دار الكاتب، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .

١٢٦-المدخل اللغوي في نقد الشعر قراءة بنيوية، مصطفى السعدني، منشأة المعارف، مصر، د.ط، د.ت .
١٢٧-مروج الذهب و معادن الجوهر، أبي الحسن علي المسعودي(المتوفى: ٣٤٦هـ - ٩٥٧م)، اعتنى به وراجعه كمال حسم مرعي، المكتبة العصرية صيدا - بيروت، ط١ ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م .
١٢٨-المسند الصحيح الحسن في مآثرِ ومحاسن مولانا أبي الحسن، محمد بن مرزوق التلمساني، دراسة وتحقيق الدكتورة ماريا خيسوس بيغيرا ، الأستاذة في كلية الآداب بجامعة سرقسطا، تقديم محمود بو عيّاد، مدير المكتبة الوطنية الجزائرية ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٤٠١ الجزائر ١٩٨١.
١٢٩-مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس، أحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع بالإسكندرية، ١٩٨٣ .
١٣٠-مشكلة البنية أو أضواء على البنيوية، زكريا إبراهيم، دار مصر للطباعة، د.ط، د.ت .
١٣١-المطول على التلخيص، سعد الدين التفتازاني ، د.ط ، د.م ، د. ت .
١٣٢-معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، لسان الدين بن الخطيب السلماني (٧١٣-٧٧٦ هـ)، تحقيق ودراسة الدكتور محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية للنشر، القاهرة ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م .
١٣٣-المغرب في ترتيب المعرب،أبي الفتح ناصر الدين المطرّزي ٥٣٨- ٦١٠هـ، حققه محمود فاخوري وعبد الحميد مختار، مكتبة اسامة بن زيد، حلب - سورية ،ط١، ١٩٣٣هـ-١٩٧٩م.
١٣٤-المغرب والأندلس، مصطفى الشكعة، دار الكتب الإسلامية للنشر، دار الكتاب المصري ، ودار الكتاب اللبناني القاهرة، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
١٣٥-مفاتيح العلوم، للإمام الأديب اللغوي الشيخ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب الخُوارزمي، إدارة الطباعة المُنيرية بمصر، مطبعة الشرق لصاحبيها عبد العزيز وأخيه، عني بتصحيحه ونشره للمرة الأولى سنة ١٣٤٢.

١٣٦-مفاتيح العلوم، أبي يعقوب يوسف بن محمّد بن علي السّكّاكي (المتوفى: ٢٢٦ هـ)، تحقيق الدكتور عبد الحميد الهنداوي، الناشر دار الكتب العلميّة، بيروت – لبنان، ط١: ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، ط٢: ١٤-٧هـ - ١٩٨٧م .

١٣٧-المقامة، شوقي ضيف وآخرون، دار المعارف ، مصر، ط٣.

١٣٨-المقامة البغدادية، د.رابح العوبي، دار الكتاب الثقافي،د.ط،د.ت.

١٣٩-المقامة بين الأدب العربي والأدب الفارسي (الحريري والحميدي خصوصا): د. فرح ناز علي، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠١١.

١٤٠-مقدمة في اللغويات المعاصرة، شحدة فارخ وجهاد حمدان وموسى عمايرة و محمد عناني ، الجامعة الاردنبة ، ط٧ ، ٢٠١٥ .

١٤١-المناقب المرزوقية، لأبي عبد اله محمد بن مرزوق التلمساني، (المتوفى:٧٨١هـ)، دراسة وتحقيق الأستاذة سلوى الزاهري ،منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – المملكة المغربية ، مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء، ط١، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م .

١٤٢-مناهج التأليف عند العلماء العرب (قسم الأدب)، مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين للتأليف والنشر والترجمة، بيروت – لبنان، ط٦، نيسان / ابريل١٩٩١.

١٤٣-الموازنة في شعر أبي تمام والبحتري، لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي(المتوفى:٣٧٠هـ) ، تحقيق أحمد صقر،ط٤، دار المعارف، د.ت.

١٤٤-موسى بن ميمون حياته ومصنفاته، إسرائيل ولفنسون (أبو ذؤيب)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط١، ١٣٥٥-١٩٣٦.

ن

١٤٥-نحو نظرية وظيفية للنحو الوظيفي، يحيى يعطيش، تحقيق عبد الله خلخال، جامعة منتوري للنشر، الجزائر، ط١، ٢٠٠٦م .

١٤٦-النثر الأدبي في الأندلس في القرن الخامس، مضامينه وأشكاله، لعلي بن محمد، دار الغرب الإسلامي بيروت – لبنان، مكتبة لسان العرب، ط١٩٩٠،١.

١٤٧-النثر الفني في القرن الرابع، زكي مبارك، السعادة الكبرى، مصر ، ط٢، ١٩٥٧م.

١٤٨-نثير الجمان في شعر من نظميني وإياه الزمان،أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر،أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن، حققه وقدم له :محمد رضوان الداية ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م .
١٤٩-نُخب تاريخية، جامعة لإخبار المغرب الأقصى، نشر إ . ليفي بُروفنسال، أستاذ اللغة والحضارة العربية بجامعة باريس، مطبوعات لاروز – باريس، ١٩٤٨.
١٥٠-نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، لسان الدين بن الخطيب (٧١٣هـ – ٧٧٦ هـ) ، نشر وتعليق احمد مختار العبادي، مراجعة عبد العزيز الأهواني،دار النشر المغربية، الدار البيضاء.
١٥١-نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (١٠٤١هـ -١٦٣١م)، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م .
١٥٢-النقد الأدبي، قُدامة بن جعفر، تحقيق الدكتور بدوي طبانة، ط٣، ١٣٨٩هـ -١٩٦٩م، مكتبة الأنجلو المصرية للنشر- القاهرة، طبعت الطبعة الأولى بمطبعة مخيمر ١٣٧٣هـ – ١٩٥٤م / وطبعت الطبعة الثانية بمطبعة الرسالة ١٣٧٨هـ – ١٩٥٨م.
١٥٣-النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، إبراهيم محمود خليل، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٣م .
١٥٤-النقد الأدبي الحديث منطلقات وتطبيقات، فائق مصطفى و عبد الرضا، دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد، د.ط، ١٩٨٩م .
١٥٥-نقد النثر، أبي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي، تحقيق طه حسين، وعبد الحميد العبادي، مطبوعات كلية الآداب، مطبعة الكتب المصرية بالقاهرة، ط١٥، ١٣٥١ هـ – ١٩٣٣م.
١٥٦-نقد الشعر، قدامه بن جعفر،أبو الفرج (المتوفى: ٣٣٧ هـ)، الناشر مطبعة الجوائب – قسطنطينية، ط١، ١٣٠٢ .

١٥٧-نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، محمد عبد الله عنان،العصر الرابع من كتاب دولة الإسلام في الأندلس ،القاهرة،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٣ ، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.

١٥٨-نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج: أحمد بابا التنبكتي ، عناية وتقديم، الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرَّرامة، منشورات دار الكاتب، طرابلس، جميع الحقوق محفوظة للمؤلف، الجماهرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العُظمى، ط٢ ، ٢٠٠٠ .

هـ

١٥٩- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، أسماعيل باشا البغدادي، طبع بعناية وكالة المعرف الجليلة في مطبعتها البهية، ١٩٥٥،أعادت طبعه بالأوفست، مكتبة الإسلامية والجعفري، تبريزي، بطهران ، ط٣، ١٣٨٧هـ - ١٩٥٧م .

و

١٦٠-الوساطة بين المتنبي وخصومه: أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني (المتوفى: ٣٩٢هـ) تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه .

١٦١-الوسيط في الأدب العربي وتاريخه: أحمد الاسكندري، ومصطفى عناني ، دار المعارف بمصر ،ط١٨، ١٩١٦.

١٦٢-الوفيات،أبي العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب،الشهير بابن قنفذ القسنطيني، معجم زمني صحابي وإعلام المحدثين والفقهاء والمؤلفين من سنة ١١ - ٨٠٧ هـ، تحقيق عادل نويهض، دار الأفاق الجديدة - بيروت ، ط٤، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

ثانياً- المعجمات العربية:

١٦٣-تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

١٦٤-تهذيب اللغة،أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تحقيق محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب.
١٦٥-جمهرة اللغة، لابن دُريد أبي بكر محمد بن الحسن الأردي البصري(المتوفى: ٣٢١هـ)، مكتبة المثنى، بغداد، ط١، ١٣٥٤هـ.
١٦٦-الصّحاح تاج اللّغة وصحاح العربيّة، إسماعيل بن حمّاد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين ، بيروت- لبنان، ط٣ ،١٤٠٤هـ - ١٩٨٤.
١٦٧-القاموس المحيط: مجد الدّين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي(المتوفى: ٨١٧هـ)، تنقيح وتعليق الشيخ أبو الوفا نصر الهُوريتي المصري الشافعيّ(المتوفى: ١٢٩١هـ) ،راجعه واعتنى به انس محمد الشّامي زكريّا جابر احمد، دار الحديث القاهرة، طبع سنة ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .
١٦٨-لسان العرب، ابن منظور(٦٣٠- ٧١١هـ) اعتنى بتصحيحه أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، مؤسسة التاريخ العربي ،بيروت – لبنان ، ط٣ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .
١٦٩-مُجمل اللّغة: أبي الحُسين أحمد بن فارس بن زكريّا اللّغوي(المتوفى: ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق زهير عبد المحسن سُلطان، طبع بمساعدة اللجنة الوطنية، بمطلع القرن الخامس عشر الهجري، مؤسسة الرسالة، بيروت.
١٧٠-معجم البلدان: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ،المجلد الخامس، دار صادر – بيروت، ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م .
١٧١-معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د . أحمد مطلوب، الدار العربية للموسوعات، ط١ ، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .
١٧٢-معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، كامل المهندس وآخرون، مكتبة لبنان ساحة الصلح، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.
١٧٣-معجم مصطلحات النقد العربي القديم، أحمد مطلوب، مكتبة لبنان الناشرون، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

١٧٤- المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر دار الدعوة ، د.ط، د.ت .

ثالثاً- رسائل الماجستير:

١٧٥- أثر القرآن الكريم في الخطاب النثري الأندلسي، في القرن الخامس الهجري، أعداد الطالب طارق محمد السلامين، إشراف د. فايز القيس، رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليا استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الأدب العربي قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مؤتة، ٢٠١٠.

١٧٦- الرؤية والتشكيل في شعر أبن خاتمة الأنصاري الأندلسي، سعد بن ماشي العنزي، إشراف الدكتور حمدي منصور، قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، كانون الثاني ٢٠٠٩ م .

١٧٧- فنون النثر في أدب ابن الخطيب الأندلسي(المتوفى٧٧٦هـ)، سعود غازي محمد الجودي، رسالة ماجستير، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات العليا، فرع أدب، ١٩٩٠م.

١٧٨- الكناية أساليبها ومواقعها في الشعر الجاهلي، محمد الحسن علي الأمين، رسالة الماجستير ، جامعة أم القرى مكة المكرمة، كلية اللغة العربية، الدراسات العليا، فرع الأدب، أشراف الدكتور محمد أبو موسى، ١٤٠٣- ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣-١٩٨٤م .

١٧٩- المقامات الأندلسية في عصر الطوائف والمرابطين، شاهر عوض الكفاوين، مكة المكرمة، جامعة الملك عبد العزيز، رسالة ماجستير، ٢٠٠٧م.

رابعاً- أطاريح الدكتوراه:

١٨٠- الأدب الأندلسي في الموسوعات الأدبية في العصر المملوكي: نضال سالم النوافعة ، إشراف الأستاذ الدكتور سمير الدروبي، رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليا استكمالاً

لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في الدراسات الأدبية قسم اللغة العربية وآدابها،جامعة مؤتة،٢٠٠٨.
١٨١- اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس(٩٢- ٨٩٧هـ - ٧١١- ١٤٩٢ م): خالد يونس عبد العزيز الخالدي، رسالة دكتوراه أجيزت من قسم التاريخ بجامعة بغداد عام ١٩٩٩م،إشراف، أ.د.خليل إبراهيم الكبيسي، مطبعة ومكتبة دار الأرقم فلسطين – غزة.

خامساً- المجلات والدوريات:

١٨٢- ابنُ الخَطيب الأندلسي وإحاطته، د. فريد أمعضشو- المغرب، مجلة ثقافية فصلية، الناشر: د.عدلي الهواري،العدد ٧٠: ٤/٢٠١٢ ، ٣٥٨. https://www.oudnad.net/spip.php?article
١٨٣-أدب المقامات أو الفن الأقصوصي المسجع، بحث الدكتور صفاء خلوصي، مجلة المعلم الجديد – العدد الأول،مجلد ٢٥، كانون الثاني، شباط، ١٩٦٢.
١٨٤-أوصاف الناس في التواريخ والصلات كتاب لسان الدين بن الخطيب ومنهجه، للباحثة سرى طه ياسين الجامعة العراقية / كلية التربية للبنات، مجلة كلية الإمام الأعظم .
١٨٥-الحياة الاجتماعية في الأندلس والمغرب كما تُصوّرها رحلات لسان الدين بن الخطيب، أبو عبد الرحمن الشوابكة، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية،المجلد ٨،العدد ٣، ٢٠١٥ .
١٨٦-الحياة الثقافية في الأندلس خلال القرنين(٧-٩ هـ / ١٣ -١٥ م): زكري لامعة، دورية كان التاريخية، العدد الثامن عشر، ديسمبر ٢٠١٢ .
١٨٧-العلاقات السياسية بين سلطنة غرناطة والدولة العثمانية : عامر عجاج حميد الجنابي، يوسف كاظم جغيل الشمري، خلال الربع الأخير من القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلاد، مجلة كلية التربية الأساسية/ جامعة بابل ، العدد١٣،أيلول/٢٠١٣ م.
١٨٨-لسان الدين بن الخطيب حياته ومنهجه في كتابه نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، أ.م.د. ساجد مخلف حسن، قسم التاريخ – كلية التربية، جامعة سامراء، مجلة جامعة تكريت للعلوم، المجلد ٢٠، العدد ١، كانون الثاني ٢٠١٢.

١٨٩-لسان الدين بن الخطيب ومنهجه في كتابه (أوصاف الناس في التواريخ والصلات)، سرى طه ياسين، الجامعة العراقية/ كلية التربية للبنات، مجلة كلية الإمام الأعظم.
١٩٠-مفهوم الشعر وبواعثه في ديوان لسان الدين بن الخطيب: فاروق أسليم، مجلة جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد ٢٣ ،العدد الثاني، سوريا، ٢٠٠٧ م .

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Qadisiya
College of Arts
Department of Arabic language

The prose in the book (Rayhana al-Kitab and Najat al-Muntab) Lisan Al-Din Bin Al-Khatib (d. 776 AH) a study on the subject and art

Aresearch by the student

GhufranJabbarHamza

To Council of the Arabic Department, college of Arts, to gain “Master Degree” in Arabic and its Arts

Supervised by

A MD . Salah HassonJabbar

2021-2022 **1443-1444**